لقطة العجلان

مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان

تأليف

الملك محمد صديق حسن خان

المتوفى ١٣٠٧ هـ - ١٨٨٩ م

القنوجي

دار الكتب العلمية

بيروت — لبنان

الطبعة الاولى
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية - بيروت

يطلب من : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
هاتف : ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص.ب ٩٤٢٤-١١ - تلكس : NASHER 41245 Le

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

الحمد لله الذي كان ولم يكن معه شيء من الأكوان ، فخلق الأرض والسموات ، واستوى على العرش ، وخلق الانسان وعلمه البيان ، ثم حكم على الكل بالفناء . وقال في الكتاب : ﴿ وكل من عليها فان ﴾[1] وسينقلهم إلى البرزخ ومنه إلى دار الجزاء ، التي نطق بها الحديث وأثبتها القرآن . والصلاة والسلام على مصطفاه محمد عبده ورسوله ، الذي بعثه إلى الخلق أجمعين ، وختم به الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان . وبعد .

فاعلم أن التاريخ عبارة عن يوم ينسب إليه ما يأتي بعده ، ويقال أيضاً : التاريخ عبارة عن مدة معلومة ، تعد من أول زمن مفروض ، لتعرف بها الأوقات المحدودة ، ولا غنى عن التاريخ في جميع الأحوال الدنيوية والأمور الدينية ، ولكل أمة من أمم البشر تاريخ تحتاج اليه في معاملاتها ، وفي معرفة أزمنتها ، تنفرد به دون غيرها من بقية الأمم ، وأول الأوائل القديمة وأشهرها ، هو كون مبدأ البشر ولأهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس ، في كيفيته وسياقة التاريخ منه خلاف لا يجوز مثله في التواريخ ، وكل ما تتعلق معرفته ببدء الخلق وأحوال القرون السالفة فإنه مختلط بتزويرات وأساطير لبعد العهد وعجز المعتنى به عن حفظه .

---

(١) سورة الرحمن ، الآية : ٢٦ .

وقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود ، والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله﴾[١] .

وعن ابن مسعود ، أنه كان يقرأ هذه الآية ويقول : كذب النسابون . وعن عمرو بن ميمون مثله .

وعن أبي مجلز قال : قال رجل لعلي بن أبي طالب : أنا أنسب الناس ، قال : إنك لا تنسب الناس ، قال : بلى . قال علي : أرأيت قوله ﴿عاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيرا﴾[٢] قال : أنا أنسب ذلك الكثير قال : أرأيت قوله : ﴿ والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله ﴾ فسكت .

وعن عروة ابن الزبير قال : ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء معد ابن عدنان .

وعن ابن عباس ، قال : ما بين عدنان واسماعيل ثلاثون لا يعرفون.

وقال أهل التفسير في هذه الآية عدم العلم من غير الله ، أما أن يكون راجعاً إلى صفاتهم وأحوالهم وأخلاقهم ومدد أعمارهم ، أي هذه الأمور لا يعلمها إلا الله ولا يعلمها غيره ، أو يكون راجعاً إلى ذواتهم أي إنه لا يعلم ذوات أولئك الذين من بعدهم إلا الله تعالى ، ولم يبلغنا خبرهم أصلاً ولا مانع من حمل الآية على الكل ، فالأولى أن لا يقبل من ذلك إلا ما يشهد به كتاب أنزل من عند الله يعتمد على صحته ، لم يرد فيه نسخ ولا طرقه تبديل أو خبر ينقله الثقاة .

وإذا نظرنا في التاريخ وجدنا فيه بين الأمم خلافاً كثيراً ، وسأتلو عليك من ذلك ما لا أظنك تجده مجموعاً في كتاب .

والتاريخ كلمة فارسية أصلها ماه روز ثم عربت . قال محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف البلخي في كتاب : « مفاتيح العلوم » ، وهو

---

(١) سورة ابراهيم ، الآية : ٩ .
(٢) سورة الفرقان ، الآية : ٣٨ .

كتاب جليل القدر : وهذا اشتقاق بعيد لولا أن الرواية جاءت به .

وقال قدامة بن جعفر في كتاب « الخراج » : تاريخ كل شيء آخره ، وهو في الوقت غايته يقال : فلان تاريخ قومه أي إليه ينتهي شرفهم ، ويقال ورخت الكتاب توريخاً وأرخته تاريخاً . اللغة الأولى لتميم والثانية لقيس .

ولكل أهل ملة تاريخ فكانت الأمم تؤرخ أولاً بتاريخ الخليقة ، وهو ابتداء كون النسل من آدم عليه السلام ، ثم أرخت بالطوفان وأرخت ببخت نصر ، وأرخت بفيلبس ، وأرخت بالاسكندر ثم باغشطش ثم بالظينس ثم بدقلطيانوس ، وبه تؤرخ القبط ، ثم لم يكن بعد تاريخ القبط إلا تاريخ الهجرة ، ثم تاريخ يزدجرد ، فهذه تواريخ الأمم المشهورة وللناس تواريخ أخرى قد انقطع ذكرها .

فأما تاريخ الخليقة :

ويقال له ابتداء كون النسل وبعضهم يقول بدء التحرك فإن لأهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس في كيفيته وسياقة التاريخ منه خلافاً كثيراً . قال المجوس والفرس ، عمر العالم اثنا عشر ألف عام على عدد بروج الفلك وشهور السنة وزعموا أن زرادشت صاحب شريعتهم ، قال أن الماضي من الدنيا إلى وقت ظهوره ثلاثة آلاف سنة مكبوسة الأرباع ، وبين ظهور زرادشت وأول تاريخ الاسكندر ثلاثة آلاف ومائتا سنة وثمان وخمسون سنة .

وإذا حسبنا من أول يوم كيومرت الذي هو عندهم الانسان الأول وجمعنا مدة كل من ملك بعده فإن الملك ملصق فيهم ، غير منقطع عنهم ، كان العدد منه إلى الاسكندر ثلاثة آلاف وثلاثمائة وأربعاً وخمسين سنة . فإذا لم يتفق التفصيل مع الجملة ، قال قوم الثلاثة الآلاف الماضية إنما هي من خلق كيومرت فإنه مضى قبله ألف سنة والفلك فيها واقف غير متحرك ، والطبائع غير مستحيلة ، والأمهات غير متمازجة ، والكون والفساد غير

موجود فيها، والأرض غير عامرة، فلما تحرك الفلك حدث الانسان الأول في معدل النهار وتولد الحيوان وتوالد وتناسل الإنس، فكثروا وامتزجت أجزاء العناصر للكون والفساد فعمرت الدنيا، وانتظم العالم.

وقال اليهود، الماضي من آدم إلى الاسكندر ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمان وأربعون سنة.

وقال النصارى، المدة بينهما خمسة آلاف ومائة وثمانون سنة، وزعموا أن اليهود نقصوها ليقع خروج عيسى بن مريم عليه السلام في الألف الرابع وسط السبعة الآلاف التي هي مقدار العالم عندهم، حتى تخالف ذلك الوقت الذي سبقت البشارة من الأنبياء الذين كانوا بعد موسى ابن عمران عليه السلام بولادة المسيح عيسى، وإذا جمع ما في التوراة التي بيد اليهود من المدة التي بين آدم عليه السلام، وبين الطوفان كانت ألفاً وستمائة وستاً وخمسين سنة، وعند النصارى في إنجيلهم ألفان ومائتا سنة واثنتان وأربعون سنة.

وتزعم اليهود أن توراتهم بعيدة عن التخاليط، وتزعم النصارى أن توراة السبعين التي هي بأيديهم لم يقع فيها تحريف ولا تبديل، وتقول اليهود فيها خلاف ذلك، وتقول السامرية بأن توراتهم هي الحق، وما عداها باطل، وليس في اختلافهم ما يزيل الشك بل يقوي الجالبة له. وهذا الاختلاف بعينه بين النصارى أيضاً في الانجيل، وذلك أن له عند النصارى أربع نسخ مجموعة في مصحف واحد، أحدها أنجيل متى، والثاني لمارقوس، والثالث للوقا، والرابع ليوحنا. قد ألف كل من هؤلاء الأربعة إنجيلاً على حسب دعوته في بلاده، وهي مختلفة اختلافاً كثيراً حتى في صفات المسيح عليه السلام، وأيام دعوته ووقت الصلب بزعمهم، وفي نسبه أيضاً، وهذا الاختلاف لا يحتمل مثله، ومع هذا فعند كل من أصحاب مرقيون وأصحاب ابن ويصان إنجيل يخالف بعضه هذه الأناجيل، ولأصحاب ماني إنجيل على حدة يخالف ما عليه النصارى من أوله إلى آخره، ويزعمون أنه هو الصحيح وما عداه باطل، ولهم

أيضاً إنجيل يسمى : إنجيل السبعين، ينسب إلى تلامس والنصارى وغيرهم ينكرونه .

وإذا كان الأمر من الاختلاف بين أهل الكتاب كما قد رأيت ، ولم يكن للقياس والرأي مدخل في تمييز حق ذلك من باطله، امتنع الوقوف على حقيقة ذلك من قبلهم ولم يعول على شيء من أقوالهم فيه .

وأما غير أهل الكتاب فإنهم أيضاً مختلفون في ذلك .

قال أشوس : بين خلق آدم ، وبين ليلة الجمعة أول الطوفان ، ألفا سنة ومائتا سنة وست وعشرون سنة وثلاثة وعشرون يوماً وأربع ساعات.

وقال ماشاه ، واسمه منشا بن أثرى منجم المنصور والمامون في كتاب القرانات: أول قران وقع بين زحل والمشتري في بدء التحرك يعني ابتداء النسل من آدم ، كان على مضي خمسمائة وتسع سنين وشهرين وأربعة وعشرين يوماً مضت من ألف المريخ ، فوقع القران في برج الثور من المثلثة الأرضية على سبع درج واثنتين وأربعين دقيقة ، وكان انتقال القمر من برج الميزان والمثلثة الهوائية إلى برج العقرب والمثلثة المائية بعد ذلك بألفي سنة ، وأربعمائة سنة ، واثنتي عشرة سنة ، وستة أشهر ، وستة وعشرين يوماً ، ووقع الطوفان في الشهر الخامس من السنة الأولى من القران الثاني من قرانات هذه المثلثة المائية ، وكان بين وقت القران الأول الكائن في بدء التحرك ، وبين الشهر الذي كان فيه الطوفان ألفان وأربعمائة وثلاث وعشرون سنة وستة أشهر واثنا عشر يوماً . قال : وفي كل سبعة آلاف سنة ، وسنتين ، وعشرة أشهر وستة أيام ، يرجع القران إلى موضعه من برج الثور الذي كان في بدء التحرك ، وهذا القول ، أعزك الله ، هو الذي اشتهر ، حتى ظن كثير من أهل الملل أن مدة بقاء الدنيا سبعة آلاف سنة ، فلا تغتر به ، وتنبه إلى أصله تجده أوهن من بيت العنكبوت فاطرحه .

وقيل ، كان بين آدم وبين الطوفان ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وثلاثون سنة . وقيل: كانت بينهما مدة ألفين ومائتين وست وخمسين سنة وقيل: ألفان وثمانون سنة .

وأما تاريخ الطوفان :

فإنه يتلو تاريخ الخليقة ، وفيه من الاختلاف ما لا يطمع في حقيقته من أجل الاختلاف فيما بين آدم وبينه ، وفيما بينه وبين تاريخ الاسكندر . فإن اليهود عندهم ، أن بين الطوفان وبين الاسكندر ألفاً وسبعمائة واثنتين وتسعين سنة ، وعند النصارى بينهما ألفا سنة وتسعمائة وثمان وثلاثون سنة ، والفرس وسائر المجوس والكلدانيون أهل بابل والهند وأهل الصين وأصناف الأمم المشرقية ينكرون الطوفان ، وأقر به بعض الفرس ، لكنهم قالوا لم يكن الطوفان بسوى الشام والمغرب ، ولم يعم العمران كله ولا غرق إلا بعض الناس ولم يتجاوز عقبة حلوان ، ولا بلغ إلى ممالك المشرق .

قالوا ، ووقع في زمان طهمورث أن أهل المغرب لما أنذر حكماؤهم بالطوفان ، اتخذوا المباني العظيمة كالهرمين بمصر ونحوهما ، ليدخلوا فيها عند حدوثه ، ولما بلغ طهمورث الانذار بالطوفان قبل كونه بمائة وإحدى وثلاثين سنة ، أمر باختيار مواضع في مملكته صحيحة الهواء والتربة ، فوجد ذلك بأصفهان ، فأمر بتجليد العلوم ودفنها فيها في أسلم المواضع ، ويشهد لهذا ما وجد بعد الثلاثمائة من سني الهجرة في حي من مدينة أصفهان من التلال التي انشقت عن بيوت مملوءة أعدالا عدة كثيرة قد ملئت من لحاء الشجر التي تلبس بها القسي وتسمى « التور » مكتوبة بكتابة لم يدر أحد ما هي .

وأما المنجمون فانهم صححوا هذه السنين من القران الاول من قرانات العلويين : زحل والمشتري التي أثبت علماء أهل بابل والكلدانيين مثلها إذ كان الطوفان ظهوره من ناحيتهم ، فإن السفينة استقرت على الجودي ، وهو غير بعيد من تلك النواحي .

قالوا ؛ وكان هذا القران قبل الطوفان بمائتين وعشرين سنة ومائة وثمانية أيام ، واعتنوا بأمرها وصححوا ما بعدها فوجدوا ما بين الطوفان وبين أول ملك بخت نصر الأول الفي سنة وستمائة وأربع سنين ، وبين

بخت نصر هذا وبين الاسكندر أربعمائة وست وثلاثون سنة ، وعلى ذلك بنى أبو معشر أوساط الكواكب في زيجه ، وقال : كان الطوفان عند اجتماع الكواكب في آخر برج الحوت وأول برج الحمل ، وكان بين وقت الطوفان وبين تاريخ الاسكندر قدر ألفي سنة وسبعمائة وتسعين سنة مكبوسة وسبعة أشهر وستة وعشرين يوماً ، وبينه وبين يوم الخميس أول المحرم من السنة الأولى من سني الهجرة النبوية ألف ألف يوم وثلاثمائة ألف يوم ، وتسعة وخمسون ألف يوم ، وتسعمائة يوم وثلاثة وسبعون يوماً يكون من السنين الفارسية المصرية ثلاثة آلاف سنة وسبعمائة سنة ، وخمس وعشرون سنة ، وثلاثمائة يوم ، وثمانية وأربعون يوماً .

ومنهم من يرى أن الطوفان كان يوم الجمعة وعند أبي معشر أنه كان يوم الخميس ، ولما تقرر عنده الجملة المذكورة وخرجت له المدة التي تسمى أدوار الكواكب وهي بزعمهم : ثلاثمائة ألف وستون ألف سنة شمسية ، وأولها مقدم على وقت الطوفان بمائة ألف وثمانين ألف سنة شمسية ، حكم بأن الطوفان كان في مائة ألف وثمانين ألف سنة ، وسيكون فيما بعد كذلك . ومثل هذا لا يقبل إلا بحجة أو من معصوم .

وأما « تاريخ بخت نصر » :

فانه على سني القبط وعليه يعمـــل في استخراج مواضع الكواكب من كتاب المجسطي ، ثم ادوار قالليس وأول أدواره في سنة ثماني عشرة وأربعمائة لبخت نصر ، وكل دور منها ست وسبعون سنة شمسية .

وكان قالليس من جملة أصحاب التعاليم . وبخت نصر هذا ليس هو الذي خرب بيت المقدس ، وإنما هو آخر كان قبل بخت نصر مخرب بيت المقدس بمائة وثلاث وأربعين سنة ، وهو اسم فارسي أصله بخت برسي ومعناه كثير البكاء والأنين ، ويقال له بالعبرانية نصار ، وقيل ؛ تفسيره عطارد وهو ينطق وذلك لتجنبه عن الحكمة وتغريب أهلها ، ثم عرب فقيل بخت نصر .

وأما « تاريخ فيلبش » :

فإنه على سني القبط ، وكثيراً ما يستعمل هذا التاريخ من موت الاسكندر البناء المقدوني ، وكلا الأمرين سواء ، فإن القائم بعد البناء هو فيلبش ، فسواء كان من موت الأول أو من قيام الآخر ، فإن الحالة المؤرخة هي كالفصل المشترك بينهما .

وفيلبش هذا هو أبو الاسكندر المقدوني . ويعرف هـذا التاريخ بتاريخ الاسكندرانيين ، وعليه بنى تاون الاسكندراني في تاريخه المعروف بالقانون ، والله أعلم .

وأما « تاريخ الاسكندر » :

فإنه على سني الروم وعليه يعمل أكثر الامم إلى وقتنا هذا من أهل الشام ، وأهل بلاد الروم ، وأهل المغرب ، والاندلس ، والافرنج ، واليهود .

وقال أبو الريحان محمد بن أحمد البيروتي : تاريخ الاسكندر اليوناني الذي يلقبه بعضهم بذي القرنين على سني الروم ، وعليه عمل أكثر الأمم لما خرج من بلاد يونان ، وهو ابن ست وعشرين سنة لقتال دارا ملك الفرس .

ولما ورد بيت المقدس أمر اليهود بترك تاريخ داود وموسى عليهما السلام والتحول إلى تاريخه ، فأجابوه وانتقلوا إلى تاريخه واستعملوه فيما يحتاجون اليه بعد أن عملوه من السنة السادسة والعشرين لميلاده ، وهو أول وقت تحركه ليتموا ألف سنة من لدن موسى عليه السلام . وبقوا معتصمين بهذا التاريخ ومستعملين له وعليه عمل اليونانيين ،وكانوا قبله يؤرخون بخروج يونان بن نورس عن بابل إلى المغرب .

وأول تاريخ الاسكندر يوم الاثنين أول تشرين الأول وموافقه اليوم الرابع من بابه ، ومبادي الأيام عندهم من طلوع الشمس إلى غروبها ، إلى أن يصبح الصباح وتطلع الشمس . فقد كمل بليلة ، ومبادي الشهور

ترجع إلى عدد واحد له نظم يجري عليه دائماً شهور سنتهم اثنا عشر شهراً يخالف بعضها بعضاً في العدد . وهذه أسماؤها وعدد أيام كل شهر منها : تشرين الأول أحد وثلاثون يوماً ، تشرين الثاني ثلاثون يوماً ، كانون الأول أحد وثلاثون يوماً ، كانون الثاني أحد وثلاثون يوماً ، شباط ثمانية وعشرون يوماً وربع ، آذار احد وثلاثون يوماً ، نيسان ثلاثون يوماً ، أيار أحد وثلاثون يوماً ، حزيران ثلاثون يوماً ، تموز أحد وثلاثون يوماً ، آب أحد وثلاثون يوماً أيلول ثلاثون يوماً ، وشهر واحد ثمانية وعشرون يوماً وربع يوم ، وذلك أنهم جعلوا شباط كل ثلاث سنين متواليات ثمانية وعشرين يوماً وجعلوه في السنة الرابعة تسعة وعشرين يوماً ، فيكون عدد أيام سنتهم ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم ، ويجعلون السنة الرابعة ثلاثمائة وستة وستين يوماً ويسمونها : « السنة الكبيسة » ، وإنما زادوا الربع في كل سنة ليقرب عدد أيام سنتهم من عدد أيام السنة الشمسية ، حتى تبقى أمورهم على نظام واحد ، فتكون شهور البرد ، وشهور الحر ، وأوان الزرع ، ولقاح الشجر ، وجني الثمر في وقت معلوم من السنة لا يتغير وقت شيء من ذلك البتة .

وكان ابتداء الكبيس في السنة الثالثة من ملك الاسكندر وبين يوم الاثنين أول يوم من تاريخ الاسكندر هذا ، وبين يوم الخميس أول شهر المحرم من السنة الـتي هاجر نبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة تسعمائة سنة ، وثلاث وثلاثون سنة ومائة وخمسة وخمسون يوماً ، وبينه وبين يوم الجمعة أول يوم من الطوفان ألفا سنة وسبعمائة سنة واثنتان وتسعون سنة ومائة وثلاثة وتسعون يوماً ، وبين ابتداء ملك بخت نصر وبين أول تاريخ الاسكندر أربعمائة وخمس وثلاثون سنة شمسية ، ومائتا يوم وثمانية وثلاثون يوماً .

قال أبو بكر أحمد بن علي في كتاب الفلاحة النبطية : أن شهورهم هذه كل واحد منها اسم رجل فاضل عالم .

قف : التحقيق عند علماء الأخبار أن ذا القرنين الذي ذكره الله في

كتابه، فقال : ﴿ويسألونك عن ذي القرنين﴾[1] الآيات، عربي قد كثر ذكره في أشعار العرب ، وأن اسمه الصعب بن ذي مراثد بن الحارث الرائش بن الهمال ذي سدد بن عاد بن دلدار فخشد بن سام بن نوح عليه السلام ، وأنه ملك من ملوك حمير ، وهم العرب العاربة ، ويقال لهم أيضاً : العرب العرباء .

وكان ذو القرنين تبعاً متوجاً ولما ولي الملك تجبر ثم تواضع لله واجتمع بالخضر . وقد غلط من ظن أن الاسكندر بن فيلبش هو ذو القرنين الذي بنى السد ، فإن لفظة ذو عربية ، وذو القرنين من ألقاب العرب ملوك اليمن وذاك رومي يوناني .

قال أبو جعفر الطبري : وكان الخضر في أيام أفريدون الملك بن الضحاك في قول عامة أهل الكتاب الاول وقبل موسى بن عمران عليه السلام .

وقيل ؛ إنه كان على مقدمة ذي القرنين الأكبر الذي كان على أيام إبراهيم الخليل عليه السلام .

وقال آخرون : إن ذا القرنين هذا هو أفريدون .

وقال عبد الملك بن هشام في كتاب «التيجان في معرفة ملوك الزمان» : بعدما ذكر نسب ذي القرنين اجتمع بالخضر في بيت المقدس ، وسار معه مشارق الأرض ومغاربها ، وأوتي من كل شيء سببا ، كما أخبر الله تعالى ، وبنى السد على يأجوج وماجوج ومات بالعراق .

وأما الاسكندر فإنه يوناني ويعرف بالمجدوني، ويقال المقدوني .

وسئل ابن عباس عن ذي القرنين ممن كان ؟ فقال : من حمير . قيل له : فالاسكندر ، قال : كان رومياً حكيماً بنى على البحر في أفريقية مناراً وأخذ أرض رومة وأتى بحر الغرب وأكثر من عمل المصانع والمدن.

وسئل كعب الاحبار عنه فقال : الصحيح عندنا من أخبارنا وأسلافنا

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ٨٣ .

أنه من حمير ، والاسكندر كان رجلاً من يونان من ولد عيصو بن اسحاق ابن ابراهيم ، ورجال الاسكندر أدركوا المسيح بن مريم منهم: جالينوس وأرسطا طاليس .

وقال الرازي في التفسير : ومما يعترض به على من قال إن الاسكندر هو ذو القرنين أن معلم الاسكندر كان أرسطاطاليس بأمره يأتمر وبنهيه ينتهي .

واعتقاد أرسطاطاليس مشهور ، وذو القرنين نبي فكيف يقتدي نبي بأمر كافر ! في هذا اشكال ؟ .

وقال الجاحظ في كتاب « الحيوان » أن ذا القرنين كانت أمه آدمية وأبوه من الملائكة ، ولذلك لما سمع عمر بن الخطاب رجلاً ينادي رجلاً : يا ذا القرنين ! قال : أفرغتم من أسماء الأنبياء ، فارتفعتم إلى أسماء الملائكة ، وكان عليّ إذا ذكره قال : ذلك الملك الأمرط . انتهى .

قلت : وفي ذي القرنين أقاويل كثيرة ذكرتها في « فتح البيان في مقاصد القرآن » تفسير لي في أربعة مجلدات .

وأما « تاريخ اغشطش » :

فإنه لا يعرف اليوم أحد يستعمله ، وأغشطش هذا هو أول القياصرة ، ومعنى قيصر بالروميّة شق عنه ، فإن أغشطش هذا لما حملت به أمه ماتت في المخاض فشق بطنها حتى أخرج منه ، فقبل قيصر وبه يلقب من بعده من ملوك الروم ، ويزعم النصارى أن المسيح عليه السلام ولد لأربعين سنة من ملكه ، وفي هذا القول نظر ، فإنه لا يصح عند سياقة السنين والتواريخ ، بل يجيء تعديل ولادته عليه السلام في السنة السابعة عشرة من ملكه .

وأما « تاريخ الظينس » :

فإن بطليموس صحح الكواكب الثابتة في كتابه المعروف « بالمجسطي» لأول ملكه على الروم وسنو هذا التاريخ رومية .

ذكر السنة الشمسية والقمرية

هي عبارة عن عود الشمس في فلك البروج إذا تحركت ، على خلاف حركة الكل إلى أي نقطة فرضت ابتداء حركتها ، وذلك أنها تستوفي الأزمنة الأربعة التي هي : « الربيع » و « الصيف » و « الخريف » و « الشتاء » وتحوز طبائعها الأربع ، وتنتهي إلى حيث بدأت .

وفي هذه المدة يستوفي القمر اثني عشرة عودة وأقل من نصف عودة ويستهل اثنتي عشرة مرة فجعلت المدة التي فيها عودات القمر الاثنتا عشرة في فلك البروج سنة للقمر على جهة الاصطلاح ، وأسقط الكسر الذي هو أحد عشر يوماً بالتقريب ، فصارت السنة على قسمين : سنة شمسية وسنة قمرية . وجميع من على وجه الأرض من الأمم أخذوا تواريخ سنيهم من مسير الشمس والقمر ، فالآخذون بسير الشمس خمس أمم : اليونانيون والسريانيون والقبط والروم والفرس . والآخذون بسير القمر خمس أمم هم : العرب واليهود والنصارى والمسلمون والهند . فأهل قسطنطينية والاسكندرية وسائر الروم والسريانيون والكلدانيون وأهل مصر ومن يعمل برأي المعتضد أخذوا بالسنة الشمسية التي هي ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم بالتقريب ، وصيروا السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً ، وألحقوا الأرباع بها في كل أربع سنين يوماً حتى انجبرت السنة ، وسموا تلك السنة « كبيسة » لانكباس الأرباع فيها .

وأما قبط مصر القدماء فانهم كانوا يتركون الارباع حتى يجتمع منها أيام سنة تامة وذلك في كل ألف وأربعمائة وستين سنة ، ثم يكبسونها سنة

واحدة ، ويتفقون حينئذ في أول تلك السنة مع أهل الاسكندرية وقسطنطينية .

وأما الفرس فانهم جعلوا السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً من غير كبس حتى اجتمع لهم من ربع اليوم في مائة وعشرين سنة أيام شهر تام ، ومن خمس الساعة الذي يتبع ربع اليوم عندهم يوم واحد ، فألحقوا الشهر التام بها في كل مائة وست عشرة سنة ، واقتفى أثرهم في هذا أهل خوارزم القدماء والصغد ومن دان بدين فارس .

وكانت الملوك البيشدادية منهم وهم الذين ملكوا الدنيا بحذافيرها يعملون السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً ، كل شهر منها ثلاثون يوماً سواء . وكانوا يكبسون السنة كل ست سنين بشهر ويسمونها كبيسة ، وكل مائة وعشرين سنة بشهر أحدهما بسبب خمسة الأيام والثاني بسبب ربع اليوم . وكانوا يعظمون تلك السنة ويسمونها المباركة .

وأما قدماء القبط وأهل فارس في الاسلام وأهل خوارزم والصغد فتركوا الكسور ، أعني الربع وما يتبعه أصلاً .

وأما العبرانيون وجميع بني إسرائيل والصابئون والحرانيون فانهم أخذوا السنة من مسير الشمس ، وشهورها من مسير القمر لتكون أعيادهم وصيامهم على حساب قمري ، وتكون مع ذلك حافظة لأوقاتها من السنة ، فكبسوا كل تسع عشرة سنة قمرية بستة أشهر ، ووافقهم النصارى في صومهم وبعض أعيادهم ، لأن مدار أمرهم على نسخ اليهود وخالفوهم في الشهور إلى مذهب الروم والسريانيين .

وكانت العرب في جهالتها تنظر إلى فضل ما بين سنتهم وسنة القمر وهو عشرة أيام وإحدى وعشرون ساعة وخمس ساعة ، فيلحقون ذلك بها شهراً ، كلما تم منها ما يستوفي أيام شهر ، ولكنهم كانوا يعملون على أنه عشرة أيام وعشرون ساعة ، وكان يتولى ذلك النسأة من بني كنانه المعروفون بالقلامس واحدهم قلمس وهو البحر الغزير ، وهو أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية بن قلع وأول من فعل ذلك منهم حذيفة بن عبد فقيم وآخر من فعله أبو ثمامة .

وأخذ العرب الكبس من اليهود قبل مجيء دين الاسلام بنحو مائتي سنة وكانوا يكبسون في كل أربع وعشرين سنة تسعة أشهر حتى تبقى أشهر السنة ثابتة مع الازمنة على حالة واحدة لا تتأخر عن أوقاتها ولا ولا تتقدم ، إلى أن حج رسول الله ﷺ وأنزل الله تعالى : ﴿ إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ [1] . فخطب ﷺ وقال : « إن الزمان قد استدار كهيأة يوم خلق الله السموات والأرض فبطل النسيء وزالت شهور العرب عما كانت عليه وصارت أسماؤها غير دالة على معانيها » .

وأما أهل الهند فانهم يستعملون رؤية الاهلة في شهورهم ويكبسون كل تسعمائة سنة وسبعين يوماً بشهر قمري ويجعلون ابتداء تاريخهم اتفاق اجتماع في أول دقيقة من برج ما ، وأكثر طلبهم لهذا الاجتماع أن يتفق في إحدى نقطتي الاعتدالين ، ويسمون السنة الكبيسة « بذمات » فهذه آراء الخليقة في السنة .

ذكر الأيام

اليوم عبارة عن عود الشمس بدوران الكل إلى دائرة قد فرضت، وقد اختلف فيه فجعله العرب من غروب الشمس إلى غروبها من الغد ، ومن أجل أن شهور العرب مبنية على مسير القمر وأوائلها مقيدة برؤية الهلال ، والهلال يرى لدن غروب الشمس صارت الليلة عندهم قبل النهار .

وعند الفرس والروم اليوم بليلة من طلوع الشمس بارزة من أفق المشرق إلى وقت طلوعها من الغد ، فصار النهار عندهم قبل الليل ، واحتجوا على قولهم بأن النور وجود والظلمة عدم والحركة تغلب على السكون لأنها وجود لا عدم وحياة لا موت. والسماء أفضل من الأرض والعامل الشاب أصح والماء الجاري لا يقبل عفونة كالراكد ، واحتج

(١) سورة التوبة ، الآية : ٣٧ .

الآخرون بأن الظلمة أقدم من النور والنور طار عليها . فالاقدم يبدأ به . وغلبوا السكون على الحركة بإضافة الراحة والدعة اليه وقالوا ؛ الحركة إنما هي الحاجة والضرورة والتعب نتيجة الحركة ، والسكون إذا دام في استقصاآت مدة لم يولد فساداً ، فإذا دامت الحركة في الاستقصاآت واستحكمت أفسدت ، وذلك كالزلازل والعواصف والأمواج وشبهها .

وعند أصحاب التنجيم أن اليوم بليلة من موافاة الشمس فلك نصف النهار إلى موافاتها إياه في الغد ، وذلك من وقت الظهر إلى وقت العصر ، وبنوا على ذلك حساب أزياجهم ، وبعضهم ابتدأ باليوم من نصف الليل وهو صاحب زيج شهريار از انساه . وهذا هو حد اليوم على الاطلاق إذا اشترط الليلة في التركيب ، فأما على التفصيل فاليوم بانفراده والنهار بمعنى واحد وهو من طلوع جرم الشمس إلى غروب جرمها ، والليل خلاف ذلك وعكسه وحد بعضهم أول النهار بطلوع الفجر وآخره بغروب الشمس لقوله تعالى : ﴿ وكلُوا واشربوا حتى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود منَ الفجر ثم أتمّوا الصيامَ إلى اللّيل ﴾ [1] ، وقال : هذان الحدان هما طرفا النهار .

وعورض بأن الآية إنما فيها بيان طرفي الصوم لا تعريف أول النهار وبأن الشفق من جهة المغرب نظير الفجر من جهة المشرق وهما متساويان في العلة ، فلو كان طلوع الفجر أول النهار ، لكان غروب الشفق آخره ، وقد التزم ذلك بعض الشيعة فنقول تاريخ القبط يعرف عند نصارى مصر الآن بتاريخ الشهداء ويسميه بعضهم تاريخ دقلطيانوس ، وهو أحد ملوك الروم المعروفين بالقياصرة ملك في منتصف سنة خمس وتسعين وخمسمائة من سني الاسكندر ، وكانت أيامه شنعة قتل فيها من أصناف الأمم وهدم من بيوت العبادات ما لا يدخل تحت حصر . وكان بين يوم الجمعة أول يوم من تاريخ دقلطيانوس ، وبين يوم الخميس أول يوم من سنة الهجرة النبوية ، ثلاثمائة وثمان وثلاثون سنة قمرية وتسعة وثلاثون يوماً وجعلوا شهور السنة القبطية اثني عشر شهراً كل شهر

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٨٧ .

منها عدده ثلاثون يوماً سواء، فإذا تمت الأشهر الإثنا عشر أتبعوها بخمسة أيام زيادة على عدد أيامها، وسموا هذه الخمسة أبو عمنا وتعرف اليوم بأيام النسيء ، فيكون الحال في النسيء على ذلك ثلاث سنين متواليات ، فإذا كان في السنة الرابعة ، جعلوا النسيء ستة أيام فتكون سنوهم ثلاث سنين متواليات كل سنة ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً ، والرابعة يصير عددها ثلاثمائة وستة وستين يوماً . ويرجع حكم سنتهم إلى حكم سنة اليونانيين بأن تصير سنتهم الوسطى ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم إلا أن الكبس يختلف ، فإذا كان كبس القبط في سنة كان كبس اليونانيين في السنة الداخلة ، وأسماء شهور القبط : « توت » ، « بابه » « هتور » ، « كيهك » ، « طوبه» ، « امشير »، « برمهات » ، « برموده » « بشنش » ، «بودنة» ، «ابيب » ، « مسرى » ، فهذه اثنا عشر شهراً كل شهر منها عدده ثلاثون يوماً ، وإذا كانت عدة شهر مسرى وهو الشهر الثاني عشر زادوا أيام النسيء بعد ذلك وعملوا النوروز أول يوم من شهر توت .

ذكر أسابيع الأيام

اعلم أن القدماء من الفرس والصغد وقبط مصر الأُول لم يكونوا يستعملون الأسابيع من الأيام في الشهور ، وأول من استعملها أهل الجانب الغربي من الأرض لا سيما أهل الشام وما حواليه من أجل ظهور الأنبياء عليهم السلام فيما هنالك وأخبارهم عن الأسبوع الأول وبدء العالم فيه . وأن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام من الأسبوع ، ثم انتشر ذلك منهم في سائر الأمم واستعملته العرب العاربة بسبب تجاور ديارهم وديار أهل الشام، فانهم كانوا قبل تحولهم إلى اليمن ببابل وعندهم أخبار نوح عليه السلام .

ثم بعث الله تعالى اليهم هوداً ثم صالحاً عليهما السلام وأنزل فيهم إبراهيم خليل الرحمن وابنه اسماعيل عليهما السلام ، فتعرب اسماعيل وكانت القبط الاول تستعمل أسماء الأيام الثلاثين من كل شهر فتجعل لكل يوم منها اسماً كما هو العمل في تاريخ الفرس .

وما زالت القبط على هذا إلى أن ملك مصر أغشطش بن بوحس ، فأراد أن يحملهم على كبس السنين ليوافقوا الروم أبداً فيها ، فوجدوا الباقي حينئذ إلى تمام السنة الكبيسة الكبرى خمس سنين ، فانتظر حتى مضى من ملكه خمس سنين ، ثم حملهم على كبس الشهور في كل أربع سنين بيوم كما تفعل الروم فترك القبط من حينئذ استعمال أسماء الأيام الثلاثين لاحتياجهم في يوم الكبس إلى اسم يخصه .

وانقرض بعد ذلك مستعملو أسماء الأيام الثلاثين من أهل مصر والعارفون بها ، ولم يبق لها ذكر يعرف في العالم بين الناس بل دثرت كما دثر غيرها من أسماء الرسوم القديمة والعادات الأول . ﴿ سنّة الله في الذين خلوْا من قبلُ ﴾[1] . وكانت أسماء شهور القبط في الزمن القديم توت، بودني ، أتور ، سواق ، طوبى ، ماكير ، فامينوت ، برموتي ، ماجون ، ياوني ، افيعي ، أبيقا . وكل شهر منها ثلاثون يوماً ، ولكل يوم اسم يخصه ، ثم أحدث بعض رؤساء القبط بعد استعمالهم الكبس الأسماء التي هي اليوم متداولة بين الناس بمصر ، إلا أن من الناس من يسمي كيهك كياك ، ويقول في برمهات برمهوت ، وفي بشنس بشاش وفي مسرى ماسوري . ومن الناس من يسمي الخمسة الأيام الزائدة أيام النسيء ، ومنهم من يسميها « أبو عمنا » ، ومعنى ذلك الشهر الصغير وهي كما تقدم تلحق في آخر مسرى وفيه يزاد اليوم الكبيس فيكون ستة أيام حينئذ ، ويسمون السنة الكبيسة النقط ومعناه العلامة من خرافات القبط أن شهورهم هي شهور سني نوح وشيث وآدم منذ ابتداء العالم وإنها لم تزل على ذلك إلى أن خرج موسى ببني اسرائيل من مصر فعملوا أول سنتهم خامس عشر نيسان كما أمروا به في التوراة ، إلى أن نقل الاسكندر رأس سنتهم إلى أول تشرين .

وكذلك المصريون نقل بعض ملوكهم أول سنتهم إلى أول يوم من ملكه ، فصار أول توت عندهم يتقدم أول يوم خلق فيه العالم بمائتين وثمانية أيام ، أولها يوم الثلاثاء وآخرها يوم السبت .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٨ و ٦٢ .

وكان توت أوله في ذلك الوقت يوم الأحد وهو أول يوم خلق الله فيه العالم الذي يقال له الآن تاسع عشري برمهات وذلك أن أول من ملك على الأرض بعد الطوفان نمرود بن كنعان بن حام بن نوح ، فعمر بابل وهو أبو الكلدانيين ، وملك بنو مصر ايم بن حام بن نوح عليه السلام متش فبنى منف بمصر على النيل وسماها باسم جده مصرايم ، وهو ثاني ملك مُـلِّكَ على الأرض . وهذان الملكان استعملا تاريخ جدهما نوح عليه السلام واستن بسنتهم من جاء بعدهم حتى تغيرت كما تقدم .

قال المقريزي في الخطط : « في ذكر تحويل السنة الخراجية القبطية إلى السنة الهلالية العربية » : إني قد استخرجت حساب السنين الشمسية والسنين القمرية من القرآن الكريم بعدما عرضته على أصحاب التفسير ، فذكروا أنه لم يأت فيه شيء من الأثر ، فكان ذلك أوكد في لطف استخراجي ، وهو أن الله تعالى قال في سورة الكهف : ﴿ ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ﴾ [1] ، فلم أجد أحداً من المفسرين عرف معنى قوله : ﴿ وازدادوا تسعاً ﴾ ، وإنما خاطب الله عز وجل نبيه ﷺ بكلام العرب وما تعرفه من الحساب ، فمعنى هذا التسع أن الثلاثمائة كانت شمسية بحساب العجم ، ومن كان لا يعرف السنين القمرية ، فإذا أضيف إلى الثلاثمائة القمرية زيادة التسع كانت سنين شمسية صحيحة .

« تاريخ العرب » :

فإنه لم يزل في الجاهلية والاسلام يعمل بشهور الأهلّة ، وعدة شهور السنة عندهم اثنا عشر شهراً إلا أنهم اختلفوا في أسمائها ، فكانت العرب العاربة تسميها: « ناتق » و« نقيل » و« طليق » و«اسخ » و « انخ » و « حلك » و « كسح » و« زاهر » و « نوط » و« حرف » و« يغش » فناتق هو « المحرم » ،ونقيل هو « صفر » وهكذا ما بعده على سرد الشهور . وكانت « ثمود » تسميها : « موجب » و« موجر » و« مورد »

(١) سورة الكهف ، الآية : ٢٥ .

و « ملزم » و« مصدر » و « هوبر » و« هوبل » و « موها » و« دمير »
و « دابر » و« حيقل » و« مسيل » . فموجب هو المحرم ، وموجر صفر ،
إلا أنهم كانوا يبدأون بالشهور من ديمر وهو شهر رمضان فيكون أول
شهور السنة عندهم .

ثم كانت العرب تسميها بأسماء أُخر وهي « موتمر » و« ناجر » و« خوان »
و« صوان » و« حنتم » و« زبا » و « الاصم » و « عادل » و « بابق »
و« واغل » و« هواع » و« برك » .

ومعنى المؤتمر أنه يأتمر بكل شيء مما تأتي به السنة من أقضيتها .

وناجر من النجر ، وهو شدة الحر .

وخوان فعال من الخيانة .

وصوان بكسر الصاد وضمها فعال من الصيانة .

والزبا ، الداهية العظيمة المتكاثفة . سمي بذلك لكثرة القتال فيه .
ومنهم من يقول بعد صوان الزبا ، وبعد الزبا بائدة ، وبعد بائدة الأصم ،
ثم واغل ، وباطل ، وعادل ، ورنة ، وبرك فالبائد من القتال إذ كان
فيه يبيد كثير من الناس ، وجرى المثل بذلك فقيل : « العجب كل العجب
بين جمادى ورجب » . وكانوا يستعجلون فيه ويتوخون بلوغ النار والغارات
قبل رجب فإنه شهر حرام ، ويقولون له « الاصم » لأنهم كانوا يكفون
فيه عن القتال فلا يسمع فيه صوت سلاح .

والواغل ؛ الداخل على شرب ولم يدعوه ، وذلك لأنه يهجم على
شهر رمضان . وكان يكثر في شهر رمضان شربهم الخمر لأن الذي يتلوه
هي شهور الحج .

وباطل ؛ هو مكيال الخمر سمي به لافراطهم فيه في الشرب وكثرة
استعمالهم لذلك المكيال .

وأما العادل ؛ فهو من العدل لأنه من أشهر الحج وكانوا يشتغلون
فيه عن الباطل .

وأما الزبا ؛ فلأن الأنعام كانت تزب فيه لقرب النحر ،

وأما برك ؛ فهو لبروك الابل إذا حضرت المنحر .

وقد روي أنهم كانوا يسمون المحرم مؤتمر ، وصفر ناجر ، وربيع الأول نصار ، وربيع الآخر خوان ، وجمادى الأولى حمتن ، وجمادى الأخرى الرنة ، ورجب الأصم ، وهو شهر مضر ، وكانت العرب تصومه في الجاهلية ، وكانت تمتار فيه وتمير أهلها ، وكان يأمن بعضهم بعضاً فيه ويخرجون إلى الأسفار ولا يخافون ، وشعبان عادل ، ورمضان ناتق ، وشوال واغل ، وذو القعدة هواع ، وذو الحجة برك ، ويقال فيه أيضاً أبروك وكانوا يسمونه الميمون .

ثم سمّت العرب أشهرها بالمحرم ، وصفر ، وربيع الأول ، وربيع الآخر ، وجمادى الأولى ، وجمادى الآخرة ، ورجب ، وشعبان، ورمضان ، وشوال ، وذي القعدة ، وذي الحجة ، واشتقوا أسماءها من أمور اتفق وقوعها عند تسميتها . فالمحرم كانوا يحرمون فيه القتال ، وصفر كانت تصفر فيه بيوتهم لخروجهم إلى الغزو ، وشهرا ربيع كانا زمن الربيع ، وشهرا جمادى كانا يجمد فيهما الماء لشدة البرد ، ورجب الوسط ، وشعبان يشعب فيه القتال ، ورمضان من الرمضاء ، لأنه كان يأتي فيه القيظ ، وشوال تشيل فيه الابل أذنابها ، وذو القعدة لقعودهم في دورهم ، وذو الحجة لأنه شهر الحج ، وأنت إذا تأملت اشتقاق أسماء شهور الجاهلية أولاً ثم اشتقاقها ثانياً ، تبيّن ذلك أن بين التسميتين زماناً طويلاً ، فإن صفر في أحدهما هو صميم الحروب ، وفي الآخر رمضان ولا يمكن ذلك في وقت واحد أو وقتين متقاربين .

وكانت العرب أولاً تستعمل هذه الشهور على نحو ما يستعمله أهل الاسلام ، إما بطريق آلهي ، أو لأن العرب لم يكن لها دراية بمراعاة حساب حركات النيرين ، فاحتاجت إلى استعمال مبادىء الشهور لرؤية الاهلّة ، وجعلت زمان الشهر بحسب ما يقع بين كل هلالين ، فربما كان بعض الشهور تاماً أعني ثلاثين يوماً ، وربما كان ناقصاً أعني تسعة

وعشرين يوماً ، وربما كانت أشهراً متوالية تامة أكثرها أربعة وهذا نادر ، وربما كانت أشهراً متوالية ناقصة أكثرها ثلاثة . وكان يقع حج العرب في أزمنة السنة كلها وهو أبداً عاشر ذي الحجة من عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

فإذا انقضى موسم الحج تفرقت العرب طالبة أماكنها ، وأقام أهل مكة بها ، فلم يزالوا على ذلك دهراً طويلاً إلى أن غيروا دين إبراهيم وإسماعيل ، فأحبوا أن يتوسعوا في معيشتهم ويجعلوا حجهم في وقت إدراك شغلهم من الادم والجلود والثمار ونحوها ، وأن يثبت ذلك على حالة واحدة في أطيب الازمنة وأخصبها ، فتعلموا كبس الشهور من اليهود الذين نزلوا يثرب من عهد شمويل نبي بني إسرائيل ، وعلموا النسيء قبل الهجرة بنحو مائتي سنة . وكان الذي يلي النسيء يقال له « القلمس » يعني الشريف .

وقد اختلف في أول من انسأ الشهور منهم فقيل القلمس هو عدي بن زيد ، وقيل القلمس هو سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة وأنه قال أرى شهور الاهلة ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوماً وأرى شهور العجم ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً فبيننا وبينهم أحد عشر يوماً . ففي كل ثلاث سنين ثلاثة وثلاثون يوماً ، وفي كل ثلاث سنين شهر ، وكان إذا جاءت ثلاث سنين قدم الحج في ذي القعدة ، فإذا جاءت ثلاث سنين أخر في المحرم .

وكانت العرب إذا حجت قلدت الابل النعال ، وألبستها الجلال ، وأشعرتها ، فلا يتعرض لها أحد الا خثعم .

وكان النسيء في بني كنانة ، ثم في بني ثعلبة بن مالك بن كنانة .

وكان الذي يلي ذلك منهم أبو ثمامة المالكي ثم من بني فقيم ، وبنو فقيم هم النسأة وهو منسيء الشهور وكان يقوم على باب الكعبة ، فيقول : إن آلهتكم العزى قد انسأت صفر الأول وكان يحله عاماً ويحرمه عاماً ، وكان أتباعهم على ذلك غطفان وهوازن وسليم وتميم وآخر النسأة

جنادة بن عوف بن أمية بن قلع بن عباد بن حذيفة بن عبد بن فقيم ، وقيل القلمس هو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة ابن الحارث بن مالك بن كنانة . ثم توارث ذلك منه بنوه من بعده حتى كان آخرهم الذي قام عليه الاسلام أبو ثمامة جنادة .

وكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت اليه فأحل لهم من الشهور وحرم ، فأحلوا ما أحل وحرموا ما حرم ، وكان إذا أراد أن ينسيء منها شيئاً أحل المحرم فأحلوه وحرم مكانه صفراً فحرموه ليواطئوا عدة الأربعة ، فإذا أرادوا الهدي اجتمعوا اليه فقال : اللهم إني لا أجاب ولا أعاب في أمري والأمر لما قضيت ، اللهم إني قد أحللت دماء المحلين من طيء وخثعم فاقتلوهم حيث ثقفتموهم أي ظفرتم بهم ، اللهم إني قد أحللت أحد الصفرين الصفر الأول وأنسأت الآخر من العام المقبل ، وإنما أحل دم طيء وخثعم لأنهم كانوا يعدون على الناس في الشهر الحرام من بين جميع العرب ، وقيل ؛ أول من أنسأ سرير بن ثعلبة وانقرض ، فأنسأ من بعده ابن أخيه القلمس واسمه عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث ابن كنانة ثم صار النسيء في ولده ، وكان آخرهم أبو ثمامة جنادة ، وقيل ؛ عوف بن أمية بن قلع ، عن أبيه أمية بن قلع ، عن جده قلع بن عباد ، عن جد أبيه عباد بن حذيفة ، عن جد جده حذيفة بن عبد بن فقيم ، وكان يقال لحذيفة القلمس ، وهو أول من أنسأ الشهور على العرب ، فأحلّ منها ما أحل وحرّم ما حرم ، ثم كان بعد عوف المذكور ولده أبو ثمامة جنادة بن عوف وعليه قام الاسلام ، وكان أبعدهم ذكراً وأطولهم أمداً يقال إنه أنسأ أربعين سنة . ولهم يقول عمير بن قيس جذل الطعان يفتخر :

وأيُّ الناسِ لم يسبــق بوتـــــر   وأيُّ الناسِ لم يعلكْ لجامــــا
ألَسْنا الناسئـــين عــلى معــدٍ   شهور الحلِّ نجعلهــــا حراما

وقال آخر :

أتزعم أني من فقيمٍ بن مالكٍ   لعمري لقد غيرت ما كنتُ أعلمُ

لهم ناسيء يمشون تحت لوائــه يحلُّ إذا شاء الشهورَ ويحرِّمُ

وقيل ؛ كانت العرب تكبس في كل أربع وعشرين سنة قمرية بتسعة أشهر فكانت شهورهم ثابتة مع الأزمنة جارية على سنن واحد لا تتأخر عن أوقاتها ولا تتقدم . وكان النسيء الأول للمحرم فسمي صفر باسمه وشهر ربيع الأول باسم صفر .

ثم والوا بين أسماء الشهور فكان النسيء الثاني بصفر فسمي الذي كان يتلوه بصفر أيضاً وكذلك حتى دار النسيء في الشهور الاثني عشر وعاد إلى المحرم فأعادوا فعلهم الأول ، وكانوا يعدون أدوار النسيء ويحدون بها الأزمنة ، فيقولون قد دارت السنون من لدن زمان كذا إلى زمان كذا وكذا دورة ، فإن ظهر لهم مع ذلك تقدم شهر عن فصل من الفصول الأربعة لما يجتمع من كسور سنة الشمس بقية فضل ما بينها ، وبين سنة القمر الذي ألحقوه بها كبسوها كبساً ثانياً .

وكان يظهر لهم ذلك بطلوع منازل القمر وسقوطها حتى هاجر النبي ﷺ وكانت نوبة النسيء بلغت شعبان فسمي محرماً وشهر رمضان صفر .

وقيل : إن الناسيء الأول نسأ المحرم وجعله كبساً وأخر المحرم إلى صفر وصفر إلى ربيع الأول ، وكذا بقية الشهور فوقع لهم في تلك السنة عاشر المحرم وجعل تلك السنة ثلاثة عشر شهراً ونقل الحج بعد كل ثلاث سنين شهراً فمضى على ذلك مائتان وعشر سنين ، وكان انقضاؤها سنة حجة الوداع ، وكان وقوع الحج في السنة التاسعة من الهجرة عاشر ذي القعدة وهي السنة التي حج فيها أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالناسيء ثم حج رسول الله ﷺ في السنة العاشرة حجة الوداع لوقوع الحج فيها عاشر ذي الحجة كما كان في عهد إبراهيم وإسماعيل ولذلك قال ﷺ في حجته هذه : « إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض » يعني رجوع الحج والشهور إلى الوضع وأنزل الله تعالى إبطال النسيء بقوله تعالى : ﴿ إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا

يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرّم الله فيحلوا ما حرّم الله زين لهم سوء أعمالهم ﴾ (1) ، فبطل ما أحدثته الجاهلية من النسيء ، واستمر وقوع الحج والصوم برؤية الأهلّة ، ولله الحمد .

ثمّ انقَضَتْ تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحــلامُ

وكانت العرب لها تواريخ معروفة عندها قد بادت ، فما كانت تؤرخ به أن كنانة أرخت من موت كعب بن لؤي حتّى كان عام الفيل ، فأرخوا به وهو عام مولد رسول الله ﷺ ، وكان بين كعب بن لؤي والفيل خمسمائة وعشرون سنة ، وكان بين الفيل وبين الفجار أربعون سنة ، ثم عدوا من الفجار إلى وفاة هشام بن المغيرة فكان ست سنين ، ثم عدوا من وفاة هشام بن المغيرة إلى بنيان الكعبة فكان تسع سنين ، ثم كان بين بنائها وبين هجرة رسول الله ﷺ خمس عشرة سنة ثم وقع .

---

(1) سورة التوبة ، الآية : ٣٧ .

التاريخ من الهجرة النبوية

فعن سعيد بن المسيب قال : جمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس فسألهم : من أي يوم يكتب التاريخ ؟ فقال علي بن أبي طالب : من يوم هاجر رسول الله ﷺ ، وترك أرض الشرك ففعله عمر ، وعن سهل بن سعد الساعدي قال : أخطأ الناس في العدد ما عدوا من مبعثه ولا من وفاته إنما عدوا من مقدمه المدينة .

وعن ابن عباس قال : كان التاريخ من السنة التي قدم فيها رسول الله ﷺ المدينة. وقال قرة بن خالد عن محمد : كان عند عمر بن الخطاب عامل جاء من اليمن فقال لعمر : أما تؤرخون تكتبون في سنة كذا وكذا من شهر كذا وكذا؟ فأراد عمر والناس أن يكتبوا من مبعث رسول الله ﷺ ثم قالوا من عند وفاته ، ثم أرادوا أن يكون ذلك من الهجرة ، ثم قالوا من أي شهر فأرادوا أن يكون من رمضان ، ثم بدا لهم فقالوا من المحرم.

وقال ميمون بن مهران : رفع إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب صك محله شعبان ،فقال : أي شعبان هو ؟ أشعبان الذي نحن فيه أو الآتي؟ ثم جمع وجوه الصحابة ، فقال : إن الأموال قد كثرت وما قسمنا منها غير موقت فكيف التوصل إلى ما يضبط به ذلك ؟ فقالوا : يجب أن يعرف ذلك من رسوم الفرس . فعندها استحضر عمر الهرمزان وسأله عن ذلك ، فقال : إن لنا حساباً نسميه « ماه روز » معناه : حساب الشهور والأيام ، فعربوا الكلمة وقالوا : مؤرخ ، ثم جعلوه اسم التاريخ واستعملوه ، ثم طلبوا وقتاً يجعلونه أولاً لتاريخ دولة الاسلام ، فاتفقوا على أن يكون المبدأ من سنة الهجرة ، وكانت الهجرة النبوية من مكة إلى

المدينة ، وقد تصرم من شهور السنة وأيامها المحرم وصفر وأيام من ربيع الأول ، فلما عزموا على تأسيس الهجرة ، رجعوا القهقري ثمانية وستين يوماً ، وجعلوا التاريخ من أول محرم هذه السنة ، ثم أحصوا من أول يوم في المحرم إلى آخر عمر رسول الله ﷺ ، فكان عشر سنين وشهرين وأما إذا حسب عمره المقدس من الهجرة حقيقة ، فيكون قد عاش ﷺ بعدها تسع سنين وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً ، وكان بين مولده ﷺ وبين مولد المسيح عليه السلام خمسمائة وثمان وسبعون سنة تنقص شهرين وثمانية أيام .

ابتداء تاريخ الهجرة :

يوم الخميس أول شهر الله المحرم ، وبينه وبين الطوفان ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وثلاثون سنة وعشرة أشهر واثنان وعشرون يوماً ، وبينه وبين تاريخ الاسكندر المقدوني الرومي بن فيلبس تسعمائة واحدى وستون سنة قمرية وأربعة وخمسون يوماً تكون من السنين الشمسية تسعمائة واثنتان وثلاثون سنة ومائتان وتسعة وثمانون يوماً ، منها تسعة أشهر وتسعة عشر يوماً ، وبينه وبين تاريخ القبط ثلاثمائة وسبع وثلاثون سنة وتسعة وثلاثون يوماً .

وقال ابن ماشاء الله : إن انتقال الممر من الثلاثة الهوائية التي هي برج الجوزاء دولتها إلى برج السرطان ومثلثة المائية التي كانت دولة الاسلام فيها عند تمام سنة آلاف وثلاثمائة وخمس وأربعين سنة وثلاثة أشهر وعشرين يوماً من وقت القران الأول الواقع في بدء التحرك يعني خلق آدم عليه السلام ، وإن القران من هذه المثلثة وقع في أربع درج ودقيقة واحدة من برج العقرب ، وهو قران الملة الاسلامية .

قال : وفي السنة الثانية من هذا القران ولد رسول الله ﷺ ، وكان بين دخول الشمس برج الحمل في هذه السنة ، وبين أول يوم من سنة الهجرة سنون فارسية عدتها إحدى وخمسون سنة وثلاثة أشهر وثمانية أيام وست عشرة ساعة ، فكان من وقت الطوفان إلى وقت قران الملة

ثلاثة آلاف وتسعمائة واثنتا عشرة سنة وستة أشهر وأربعة عشر يوماً .

وزعمت اليهود أن من آدم عليه السلام إلى سنة الهجرة أربعة آلاف واثنتين وأربعين سنة وثلاثة أشهر ، وزعمت النصارى أن بينهما خمسة آلاف وتسعمائة وتسعين سنة وثلاثة أشهر ، وزعمت المجوس أعني الفرس أن بينهما أربعة آلاف ومائة واثنتين وثمانين سنة وعشرة أشهر وتسعة عشر يوماً .

وقد عرفت أن شهور تاريخ الهجرة قمرية وأيام كل سنة منها عدتها ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وخمس وسدس يوم وجميع الأحكام الشرعية مبنية على رؤية الهلال عند جميع فرق الاسلام ما عدا الشيعة فإن الأحكام مبنية عندهم على عمل شهور السنة بالحساب ، على ما ذكر، المقريزي في ذكر القاهرة وخلفائها .

ثم لما احتاج منجمو الاسلام إلى استخراج ما لا بد منه من معرفة الاهلة وسمت القبلة وغير ذلك بنوا أزياجهم على التاريخ العربي، وجعلوا شهور السنة العربية شهراً كاملاً وشهراً ناقصاً وابتدأوا بالمحرم اقتداء بالصحابة رضي الله عنهم ، فجعلوا المحرم ثلاثين يوماً ، وصفر تسعة وعشرين يوماً ، وربيع الأول ثلاثين يوماً ، وربيع الآخر تسعة وعشرين يوماً ، وجمادى الأولى ثلاثين يوماً ، وجمادى الآخرة تسعة وعشرين يوماً ، ورجب ثلاثين يوماً ، وشعبان تسعة وعشرين يوماً ، ورمضان ثلاثين يوماً ، وشوال تسعة وعشرين يوماً ، وذا القعدة ثلاثين يوماً ، وذا الحجة تسعة وعشرين يوماً . وزادوا من أجل كسر اليوم الذي هو خمس وسدس يوماً في ذي الحجة إذا صار هذا الكسر أكثر من نصف يوم ، فيكون شهر ذي الحجة في تلك السنة ثلاثين يوماً ويسمون تلك السنة كبيسة ، ويصير عددها ثلاثمائة وخمسة وخمسين يوماً ويجتمع في كل ثلاثين من الكبس أحد عشر يوماً والله أعلم . وسيأتي الكلام على تاريخ الهجرة أوسع من هذا إن شاء الله تعالى .

« تاريخ الفرس » :

ويعرف أيضاً بتاريخ يزدجر ، فإنه من ابتداء تملك يزدجرد بن شهريار بن كسرى ابرويز أرخ به الفرس من أجل أن يزدجرد قام في المملكة بعدما تبدد ملك فارس ، واستولى عليها النساء والمتغلبون وهو أيضاً آخر ملوك فارس وبقتله تمزق ملكهم . وأول هذا التاريخ يوم الثلاثاء ، وبينه وبين تاريخ الهجرة تسع سنين وثلاثمائة وثمانية وثلاثون يوماً ، وأيام سنة هذا التاريخ تنقص عن السنة الشمسية ربع يوم ، فيكون في كل مائة وعشرين سنة شهر واحد ، ولهم في كبس السنة آراء ليس هذا موضع إيرادها ، وعلى هذا التاريخ يعتمد في زماننا أهل العراق وبلاد العجم ، وهذه أسماء شهورهم « فروردين » ، « ماردي » ، « بهشت » ، « خرداد » ، « تير » ، « شهريور » ، « مهرابان » ، « آذر » ، « دي » ، « بهمن » ، « اسفندار » ، جعلوا كل شهر منها ثلاثين يوماً وزادوا خمسة أيام في آخر اسفندار وسموها خمسة مسترقة ، ولهم لكل يوم من أيام هذا الشهر اسم معلوم .

« تاريخ الهند » :

ويقال له في لسانهم « سنبت واساكا » فهذه أسماء شهورهم : «جيت» ، « بيساكهه » ، « جيهه » ، « اساره » ، « ساون » ، « بهادون » ، «كوار» ، « كاتك » ، « اكهن » ، « بوس » ، « ماكهه » « بهاكن » . وينسب هذا التاريخ إلى بكر ماجيت وهو كبيرهم من بين ملوك الهند ومداره على السنين شمسية كفعل غيرهم من العجم .

« تاريخ البرطانية » :

وهم النصارى ملوك الهند اليوم ، فهو على سني الروم كما تقدم ، وهذه أسماء شهورهم الاثنى عشر على لغتهم : « جنيوري » ، « فبروري» « مارج » ، « ابريل » ، « ماي » ، « جون » ، « جولاي » ، « اكست » ، « سبتمبر » ، « اكتوبر » ، « نوفمبر » ، « ديسمبر » ، فالأربعة الأشهر

منها وهي : ابريل وجون وسبتمبر ونوفمبر ثلاثون يوماً ، والسبعة الشهور الباقية ما خلا فبروري إحدى وثلاثون يوماً ، وأما فبروري فهو ثمانية وعشرون يوماً ، ويجعلونه في السنة الرابعة تسعة وعشرين يوماً ويسمونها الكبيسة ، ومبدأ هذا التاريخ من ولادة المسيح بن مريم عليهما السلام ، والله أعلم ولله عاقبة الأمور .

ذكر ابتداء الدول والامم
والكلام على الملاحم والكشف عن مسمى الجفر

إعلم أن من خواص النفوس البشرية التشوف إلى عواقب أمورهم ، وعلم ما يحدث لهم من حياة وموت وخير وشر ، سيما الحوادث العامة كمعرفة ما بقي من الدنيا ، ومعرفة مدد الدول أو تفاوتها ، والتطلع إلى هذا طبيعة البشر مجبولة عليه ، ولذلك نجد الكثير من الناس يتشوفون إلى الوقوف على ذلك في المنام ، والأخبار من الكهان لمن قصدهم بمثل ذلك من الملوك والسوقة معروفة .

ولقد نجد في المدن صنفاً من الناس ينتحلون المعاش من ذلك لعلمهم بحرص الناس عليه ، فيقفون لهم في الطرقات والدكاكين يتعرضون لمن يسألهم عنه ، فتغدو عليهم وتروح نسوان المدينة وصبيانها وكثير من ضعفاء العقول يستكشفون عواقب أمرهم في الكسب والجاه والمعاش والمعاشرة والعداوة .

وأمثال ذلك ما بين خط في الرمل ويسمونه المنجم ، وطرق بالحصى والحبوب ويسمونه الحاسب ، ونظرا في المرايا والمياه ويسمونه ضارب المندل ، وهو من المنكرات الفاشية في الأمصار لما تقرر في الشريعة من ذم ذلك ، وأن البشر محجوبون عن الغيب ، إلا من أطلعه الله عليه من عنده في نوم أو ولاية .

وأكثر ما يعتني بذلك ويتطلع اليه الأمراء والملوك في آماد دولهم ، ولذلك انصرفت العناية من أهل العلم اليه ، وكل أمة من الأمم يوجد

لهم كلام من كاهن أو منجم أو ولي في مثل ذلك ، من ملك يرتقبونه أو دولة يحدثون أنفسهم بها ، وما يحدث لهم من الحرب والملاحم ومدة بقاء الدولة وعدد الملوك فيها والتعرض لأسمائهم ، ويسمى مثل ذلك الحدثان .

وكان في العرب الكهان والعرافون يرجعون إليهم في ذلك وقد أخبروا بما سيكون للعرب من الملك والدولة كما وقع لشق في تأويل رؤيا ربيعة ابن نصر من ملوك اليمن أخبرهم بملك الحبشة بلادهم ثم رجوعها اليهم ثم ظهور الملك والدولة للعرب من بعد ذلك، وكذا تأويل سطيح لرؤيا الموبذان حين بعث اليه كسرى بها مع عبد المسيح وأخبرهم بظهور دولة العرب، وكذا كان في جيل البربر كهان من أشهرهم موسى بن صالح من بني يقرن ، ويقال من غمرة ، وله كلمات حدثانية على طريقة الشعر برطانتهم وفيها حدثان كثير ومعظمه فيما يكون لزناتة من الملك والدولة بالمغرب وهي متداولة بين أهل الجيل ، وهم يزعمون تارة أنه ولي وتارة أنه كاهن .

وقد يزعم بعض مزاعمهم أنه كان نبياً لأن تاريخه عندهم قبل الهجرة بكثير والله أعلم .

وقد يستند الجيل إلى خبر الأنبياء إن كان لعهدهم كما وقع لبني إسرائيل ، فإن أنبياءهم المتعاقبين فيهم كانوا يخبرونهم بمثله عندما يعنونهم في السؤال عنه .

وأما في الدولة الاسلامية فوقع منه كثير فيما يرجع إلى بقاء الدنيا ومدتها على العموم ، وفيما يرجع إلى الدولة وإعمارها على الخصوص .

وكان المعتمد في ذلك في صدر الاسلام آثاراً منقولة عن الصحابة ، وخصوصاً مسلمة بني إسرائيل مثل : كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وأمثالهما وربما اقتبسوا بعض ذلك من ظواهر مأثورة وتأويلات محتملة ، ووقع لجعفر وأمثاله أهل البيت كثير من ذلك مستندهم فيه والله أعلم الكشف بما كانوا عليه من الولاية .

وإذا كان مثله لا ينكر من غيرهم من الأولياء في ذويهم وأعقابهم ، وقد قال ﷺ أن فيكم محدثين فهم أولى الناس بهذه الرتب الشريفة والكرامات الموهوبة .

وأما بعد صدر الملة وحين علق الناس على العلوم والاصطلاحات وترجمت كتب الحكماء إلى اللسان العربي فأكثر معتمدهم في ذلك كلام المنجمين في الملك والدول وسائر الأمور العامة من القرانات وفي المواليد والمسائل وسائر الأمور الخاصة من الطوالع لها وهي شكل الفلك عند حدوثها . وقد يستندون في حدثان الدول على الخصوص إلى كتاب الجفر ، ويزعمون أن فيه علم ذلك كله من طريق الآثار والنجوم لا يزيدون على ذلك ولا يعرفون أصل ذلك ولا مستنده .

فاعلم أن كتاب الجفر كان أصله أن هارون بن سعيد العجلي وهو رأس الزيدية كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق ، وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم ،ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص ؛ وقع ذلك لجعفر ونظائره من رجالاتهم على طريق الكرامة والكشف الذي يقع لمثلهم من الأولياء ، وكان مكتوباً عند جعفر في جلد ثور صغير فرواه عنه هارون العجلي وكتبه وسماه « الجفر » باسم الجلد الذي كتب منه لأن الجفر في اللغة هو الصغير ، وصار هذا الاسم علماً على هذا الكتاب عندهم وكان فيه تفسير القرآن وما في بطنه من غرائب المعاني مروية عن جعفر الصادق .

وهذا الكتاب لم تتصل روايته ولا عرف عينه ، وإنما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصحبها دليل ولو صح السند إلى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه أو من رجال قومه فهم أهل الكرامات .

وقد صح عنه أنه كان يحذر بعض قرابته بوقائع تكون لهم فتصبح كما يقول .

وقد حذر يحيى ابن عمه زيد من مصر وعصاه فخرج وقتل بالجوزجان كما هو معروف ، وإذا كانت الكرامة تقع لغيرهم فما ظنك بهم علماً

وديناً وآثاراً من النبوة وعناية من الله بالأصل الكريم تشهد لفروعه الطيبة، وقد ينقل بين أهل البيت كثير من هذا الكلام غير منسوب إلى أحد.

وفي أخبار دولة العبيديين كثيراً منه وانظر إلى ما حكاه ابن الدقيق في لقاء أبي عبد الله الشيعي لعبد الله المهدي مع ابنه محمد الحبيب وما حدثاه به . وكيف بعثاه إلى ابن حوشب داعيتهم باليمن، فأمره بالخروج إلى المغرب، وبث الدعوة فيه على علم لقنه أن دعوته تتم هناك ، وأن عبد الله لما بنى المهدية بعد استفحال دولتهم بافريقية.

قال : بنيتها ليعتصم بها الفواطم ساعة من نهار، وأراهم موقف صاحب الحمار أبي يزيد بالمهدية، وكان يسأل عن منتهى موقفه حتى جاءه الخبر ببلوغه إلى المكان الذي عينه جده عبيد الله، فأيقن بالظفر وبرز من البلد فهزمه واتبعه إلى ناحية الزاب فظفر به وقتله. ومثل هذه الأخبار عندهم كثيرة .

وأما المنجمون فيستندون في حدثان الدول إلى الأحكام النجومية. أما في الأمور العامة مثل الملك والدول فمن القرانات، وخصوصاً بين العلويين وذلك أن العلويين زحل والمشترى يقترنان في كل عشرين سنة مرة ، ثم يعود القران إلى برج آخر في تلك المثلثة من التثليث الأيمن، ثم بعده إلى آخر كذلك إلى أن يتكرر في المثلثة الواحدة اثنتي عشرة مرة تستوي بروجه الثلاثة في ستين سنة ، ثم يعود فيستوي بها في ستين سنة، ثم يعود ثالثة ، ثم رابعة ، فيستوي في المثلثة بإثنتي عشرة مرة، وربع عودات في مائتين وأربعين سنة ، ويكون انتقاله في كل برج على التثليث الأيمن وينتقل من المثلثة إلى المثلثة التي تليها أعني البرج الذي يلي البرج الأخير من القران الذي قبله في المثلثة ، وهذا القران الذي هو قران العلويين ينقسم إلى كبير وصغير ووسط .

فالكبير هو اجتماع العلويين في درجة واحدة من الفلك إلى أن يعود اليها بعد تسعمائة وستين سنة مرة واحدة،

والوسط هو اقتران العلويين في كل مثلثة اثنتي عشرة مرة وبعد مائتين وأربعين سنة ينتقل إلى مثلثة أخرى.

والصغير هو اقتران العلويين في درجة برج وبعد عشرين سنة يقترنان في برج آخر على تثليثه الأيمن في مثل درجة ، أو دقائقه مثال ذلك وقع القران في أول دقيقة من الحمل ، وبعد عشرين يكون في أول دقيقة من القوس ، وبعد عشرين يكون في أول دقيقة من الأسد ، وهذه كلها نارية ، وهذا كلها قران صغير ثم يعود إلى أول الحمل بعد ستين سنة ويسمى دور القران وعود القران ، وبعد مائتين وأربعين ينتقل من النارية إلى الترابية لأنها بعدها وهذا قران وسط ثم ينتقل إلى الهوائية ، ثم المائية ، ثم يرجع إلى أول الحمل في تسعمائة وستين سنة، وهو الكبير والقران الكبير يدل على عظام الأمور ، مثل تغيير الملك والدولة وانتقال الملك من قوم إلى قوم ، والوسط على ظهور المتغلبين والطالبين للملك والصغير على ظهور الخوارج والدعاة وخراب المدن أو عمرانها.

ويقع أثناء هذه القرانات قران التحسين في برج السرطان في كل ثلاثين سنة مرة ويسمى الرابع ، وبرج السرطان هو طالع العالم وفيه وبال زحل وهبوط المريخ، فتعظم دلالة هـذا القران في : الفتن ، والحروب ، وسفك الدماء ، وظهور الخوارج ، وحركة العساكر ، وعصيان الجند ، والوباء ، والقحط ، ويدوم ذلك أو ينتهي على قدر السعادة والنحوسة في وقت قرانهما على قدر تيسير الدليل فيه .

قال جراس بن أحمد الحاسب في الكتاب الذي ألفه لنظام الملك ورجوع المريخ إلى العقرب له أثر عظيم في الملة الاسلامية لأنه كان دليلها، فالمولد النبوي كان عند قران العلويين ببرج العقرب ، فلما رجع هنالك حدث التشويش على الخلفاء وكثر المرض في أهل العلم والدين ونقصت أحوالهم وربما انهدم بعض بيوت العبادة.

وقد يقال أنه كان عند قتل علي رضي الله عنه، ومروان من بني أمية، والمتوكل من بني العباس ، فإذا روعيت هذه الأحكام مع أحكام القرانات كانت في غاية الاحكام .

قال أبو معشر في « كتاب القرانات » : القسمة إذا انتهت إلى السابعة والعشرين من الحوت فيها شرف الزهرة ووقع القران مع ذلك ببرج

العقرب ، وهو دليل العرب ، ظهرت حينئذ دولة العرب وكان منهم نبي ويكون قوة ملكه ومدته على ما بقي من درجات شرف الزهرة ، وهي إحدى عشرة درجة بتقريب من برج الحوت ، ومدة ذلك ستمائة وعشر سنين ، وكان ظهور أبي مسلم عند انتقال الزهرة ووقوع القسمة أول الحمل وصاحب الحد المشتري ، وسيأتي قول شادان البلخي وغيره في انتهاء مدة تلك الملة.

قال جراس : سأل هرمز افريد الحكيم عن مـــدة اردشير وولده وملوك الساسانية ، فقال : دليل ملكه المشترى ، وكان في شرفه فيعطى أطول السنين وأجودها أربعمائة وسبعاً وعشرين سنة ، ثم تزيد الزهرة وتكون في شرفها وهي دليل العرب فيملكون، لأن طالع القران الميزان وصاحبهالزهرة .

وكانت عند القران في شرفها فدل أنهم يملكون ألف سنة وستين سنة.

قال جراس: وانتقال القران إلى المثلثة المائية من برج الحوت يكون سنة ثلاث وستين وثمانمائة ليزدرجرد وبعدها إلى برج العقرب حبث كان قران الملة سنة ثلاث وخمسين.

قال: والذي في الحوت هو أول الانتقال والذي في العقرب يستخرج منه دلائل الملة . قال : وتحويل السنة الأولى من القران الأولفي المثلثات المائية في ثاني رجب سنة ثمان وستين وثمانمائة ، ولم يستوف الكلام على ذلك .

وأما مستند المنجمين في دولة على الخصوص فمن القران الأوسط وهيئة الفلك عند وقوعه، لأن له دلالة عندهم على حدوث الدولة وجهاتها من العمران والقائمين بها من الأمم وعدد ملوكهم وأسمائهم وأعمارهم ونحلهم وأديانهم وعوائدهم وحروبهم كما ذكر أبو معشر في كتابه في القرانات ، وقد توجد هذه الدلالة من القران الأصغر إذا كان الأوسط دالاً عليه ، فمن هذا يوجد الكلام في الدول .

وقد كان يعقوب بن اسحاق الكندي منجم الرشيد والمأمون وضع

في القرانات الكائنة في الملة كتاباً سماه : « الشيعة بالجفر » باسم كتابهم المنسوب إلى جعفر الصادق ، وذكر فيه فيما يقال حدثان دولة بني العباس وأنها نهايته ، وأشار إلى انقراضها ، والحادثة على بغداد أنها تقع في انتصاف المائة السابعة ، وأن بانقراضها يكون انقراض الملة ولم نقف على شيء من خبر هذا الكتاب ولا رأينا من وقف عليه ولعله غرق في كتبهم التي طرحها هلاكو ملك التتر في دجلة عند استيلائهم على بغداد وقتل المستعصم آخر الخلفاء .

وقد وقع بالمغرب جزء منسوب إلى هذا الكتاب يسمونه الجفر الصغير ، والظاهر أنه وضع لبني عبد المؤمن لذكر الأولين من ملوك الموحدين فيه على التفصيل ومطابقة من تقدم عن ذلك من حدثانه وكذب ما بعده ، وكان في دولة بني العباس من بعد الكندي منجمون وكتب في الحدثان ، وانظر ما نقله الطبري في أخبار المهدي عن أبي بديل من أصحاب صنائع الدولة .

قال : بعث إلى الربيع والحسن في غزاتهما مع الرشيد أيام ابيه فجئتهما جوف الليل فإذا عندهما كتاب من كتب الدولة يعني الحدثان ، وإذا مدة المهدي فيه عشر سنين ، فقلت : هذا الكتاب لا يخفى على المهدي ، وقد مضى من دولته ما مضى ، فإذا وقف عليه كنتم قد نعيتم اليه نفسه . قالا : فما الحيلة ؟ فاستدعيت عنبسة الوراق مولى آل بديل وقلت له : انسخ هذه الورقة واكتب مكان عشر أربعين ففعل فوالله لولا أني رأيت العشرة في تلك الورقة والأربعين في هذه ما كنت أشك أنها هي .

ثم كتب الناس من بعد ذلك في حدثان الدول منظوماً ومنثوراً ورجزاً ما شاء الله أن يكتبوه بأيدي الناس متفرقة كثير منها وتسمى « الملاحم » وبعضها في حدثان الملة على العموم وبعضها في دولة على الخصوص ، وكلها منسوبة إلى مشاهير من أهل الخليقة ، وليس منها أصل يعتمد على روايته عن واضعه المنسوب اليه ، فمن هذه الملاحم بالمغرب قصيدة ابن مرانة من بحر الطويل على روي الراء وهي متداولة بين الناس وتحسب

العامة أنها من الحدثان العام فيطلقون الكثير منها على الحاضر والمستقبل ، والذي سمعناه من شيوخنا أنها مخصوصة بدولة لمتونة ، لأن الرجل كان قبيل دولتهم وذكر فيها استيلاءهم على سبتة من يد موالي بني حمود وملكهم لعدوة الاندلس ، ومن الملاحم بيد أهل المغرب أيضاً قصيدة تسمى التبعية أولها :

طربتُ وما ذاك مـــني طربُ وقد يطرب الغائب المغتضبُ

قريباً من خمسمائة بيت أو ألف فيما يقال ذكر فيها كثيراً من دولة الموحدين ، وأشار فيها إلى الفاطمي وغيره والظاهر أنها مصنوعة .

ومن الملاحم بالمغرب أيضاً ملعبة من الشعر الزجل منسوبة لبعض اليهود ، وذكر فيها أحكام القرانات لعصرا العلويين والتحسين وغيرهما، وذكر منيته قتيلاً بفاس ، وكان كذلك فيما زعموه ، وأبياته نحو الخمسمائة وهي في القرانات التي دلت على دولة الموحدين ومنها قصيدة ابن الابار في حدثان دولة بني أبي حفص بتونس من الموحدين ، ومنها ملعبة الهوثني على لغة العامة في عروض البلد والغالب عليها الوضع لأنه لم يصح منها قول إلا على تأويل تحرفه العامة أو المحرف فيـــه من ينتحلها من الخاصة ، ومنها ملحمة ابن العربي الحاتمي في كلام طويل شبه الألغاز لا يعلم تأويله إلا الله لتخلله أوفاق عددية ورموز ملغوزة وأشكال حيوانات تامة ورؤوس مقطعة وتماثيل من حيوانات غريبة ، وفي آخرها قصيدة على روي اللام والغالب أنها كلها غير صحيحة لأنها لم تنشأ عن أصل علمي من نجامة ولا غيرها .

وهناك ملاحم أخرى منسوبة لابن سينا وابن عقب وليس في شيء منهما دليل على الصحة ، لأن ذلك إنما يؤخذ من القرانات .

وملحمة أخرى من حدثان دولة الترك منسوبة إلى رجل من الصوفية يسمى الباجريقي وكلها ألغاز بالحروف ، والغالب أنها موضوعة ومثل صنعتها كان في القديم كثيراً ومعروف الانتحال ، وعند أهل الهند قصيدة فارسية وملحمة عجمية منسوبة إلى الشاه نعمة الله الولي الهندي فيها

حدثان دولة التيمورية التي كانت بالهند ، والظاهر أنها مصنوعة ، ولم يصح شيء مما ذكر فيها إلا بتأويل بعيد وتكلف طويل لا يلتفت إلى مثلها.

وحكى المؤرخون لأخبار بغداد أنه كان بها أيام المقتدر وراق ذكي يعرف بالدانيالي يبل الأوراق ويكتب فيها بخط عتيق ، يرمز فيه بحروف من أسماء أهل الدولة ويشير بهـــا إلى ما يعرف ميلهم اليه من أحوال الرفعة والجاه كأنها ملاحم ، ويحصل على ما يريده منهم من الدنيا ، وذكر فيها كوائن أخرى وملاحم مما وقع ومما لم يقع ونسب جميعه إلى دانيال .

قال ابن خلدون : ولقد سألت أكمل الدين ابن شيخ الحنفية من العجم بالديار المصرية عن هذه الملحمة ، وعن هذا الرجل الذي تنسب اليه من الصوفية وهو الباجريقي ، وكان عارفاً بطرائقهم ، فقال : كان من القلندرية المبتدعة في حلق اللحية ، وكان يتحدث عما يكون بطريق الكشف ، ويومىء إلى رجال معينين عنده ، ويلغز عليهم بحروف يعينها في ضمنها لمن يراه منهم ، وربما يظهر نظم ذلك في أبيات قليلة كان يتعاهدها ، فتنوقلت عنه ، وولع الناس بها وجعلوها ملحمة مرموزة ، وزاد فيها الخراصون من ذلك الجنس في كل عصر ، وشغل العامة بفك رموزها وهو أمر ممتنع ، إذ الرمز إنما يهدي إلى كشفه قانون يعرف قبله ويوضع له ، وأما مثل هذه الحروف فدلالتها على المراد منها مخصوصة بهذا النظم لا يتجاوزه . فرأيت من كلام هذا الرجل الفاضل شفاء لما كان في النفس من أمر هذه الملحمة ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق وهو المستعان .

ذكر ما قيل في مدة ايام الدنيا ماضيها وباقيها

اعلم أن الناس قد اختلفوا قديماً وحديثاً في هذه المسألة ، فقال قوم من القدماء الأول بالاكوار والأدوار وهم « الدهرية » وهؤلاء هم القائلون بعود العوالم كلها على ما كانت عليه بعد ألوف من السنين معدودة وهم في ذلك غالطون من جهة طول أدوار النجوم ، وذلك أنهم وجدوا قوماً من الهند والفرس قد عملوا أدواراً للنجوم ليصححوا بها في كل وقت مواضع الكواكب ، فظنوا أن العدد المشترك لجميعها هو عدد سني العالم أو أيام العالم ، وإنه كلما مضى ذلك العدد عادت الأشياء إلى حالها الأول ، وقد وقع في هذا الظن ناس كثير مثل أبي معشر وغيره وتبع هؤلاء خلق وأنت تقف على فساد هذا الظن إن كنت تخبر من العدد شيئاً ما وذلك أنك إذا طلبت عدداً مشتركاً بعده أعداد معلومة فإنك تقدر أن تضع لكل زيج أياماً معلومة كالذي وضعه الهند والفرس . فهؤلاء حيث جهلوا صورة الحال في هذه الأدوار ظنوا أنها عدد أيام العالم فتفطن ترشد .

وعند هؤلاء أن الدور هو أخذ الكواكب من نقطة وهي سائرة حتى تعود إلى تلك النقطة وإن الكور هو استئناف الكواكب في أدوارها سيراً آخر إلى أن تعود إلى مواضعها مرة بعد أخرى .

وزعم أهل هذه المقالة أن الأدوار منحصرة في أنواع خمسة :

الأول : أدوار الكواكب السيّارة في أفلاك تداويرها .

الثاني : أدوار مراكز أفلاك التدوير في أفلاكها الحاملة .

الثالث : أدوار أفلاكها الحالة في تلك البروج .

الرابع : أدوار الكواكب الثابتة في فلك البروج .

الخامس : أدوار الفلك المحيط بالكل حول الأركان الأربعة وهذه الأدوار المذكورة منها ما يكون في كل زمان طويل مرة واحدة ، ومنها ما يكون في كل زمان قصير مرة واحدة ، فأقصر هذه الأدوار أدوار الفلك المحيط بالكل حول الأركان الأربعة ، فإنه يدور في كل أربع وعشرين ساعة دورة واحدة ، وباقي الأدوار يكون في أزمنة أُخر أطول من هذه لا حاجة لنا في هذه المسألة إلى ذكرها .

قالوا : وأدوار الكواكب الثابتة في فلك البروج تكون في كل ستة وثلاثين ألف سنة شمسية مرة واحدة ، وحينئذ تنتقل أوجات الكواكب وجوزهراتها إلى مواضع حضيضاتها ونوبهراتها وبالعكس ، فيوجب ذلك عندهم عود العوالم كلها إلى ما كانت عليه من الأحوال في الزمان والمكان والأشخاص والأوضاع بحيث لا يتخالف ذرة واحدة وهم مع ذلك مختلفون في كمية ما مضى من أيام العالم وما بقي .

فقال البراهمة من الهند في ذلك قولاً غريباً ، وهو ما حكاه عنهم الاستاذ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروتي في كتاب « القانون المسعودي» إنهم يسمون الطبيعة باسم ملك يقال له ابراهيم ، ويزعمون أنه محدث محصور الموت بين مبدأ وانتهاء عمره كعمرها مائة سنة برهموية ، كل سنة منها ثلاثمائة وستون يوماً زمان النهار بقدر مدة دوران الأفلاك والكواكب لإثارة الكون والفساد .

وهذه المدة بقدر ما بين كل اجتماعين للكواكب السبعة في أول برج الحمل بأوجاتها وجوزهراتها ومقدارها أربعة آلاف الف ألف سنة وثلاثمائة ألف ألف سنة وعشرون ألف ألف سنة شمسية ، وهو زمان اثني عشر ألف دورة للكواكب الثابتة ، على أن زمان الدورة الواحدة ثلاثمائة ألف وستون ألف سنة شمسية .

واسم هذا النهار بلغتهم « الكلية » وزمان الليل عندهم كزمان النهار ، وفي الليل تسكن المتحركات وتستريح الطبيعة من اثارة الكون والفساد

ثم يثور في مبدأ اليوم الثاني بالحركة والتكون فيكون زمان اليوم بليلته من سني الناس ثمانية آلاف ألف ألف سنة وستمائة ألف ألف سنة وأربعين ألف ألف سنة ، فإذا ضربنا ذلك في ثلاثمائة وستين تبلغ سنو أيام السنة البرهموية ثلاثـــة آلاف ألف ألف سنة وعشرة آلاف ألف ألف سنة وأربعمائة ألف ألف سنة شمسية ، فإذا ضربنا هذا في مائة يبلغ عمر الملك الطبيعي البرهموي من سني الناس ثلاثمائة ألف ألف ألف سنة ، وأحد عشر ألف ألف ألف سنة ، وأربعين ألف ألف سنة شمسية ، فإذا تمت هذه السنون بطل العالم عن الحركة والتكوين ماشاء الله ، ثم يستأنف من جديد على الوضع المذكور .

وقسموا زمان النهار المذكور إلى تسع وعشرين قطعة سموا كل أربع عشرة قطعة منها « نوبا » وسموا الخمس عشرة قطعة الباقية « فصولا » وجعلوا كل نوبة محصورة بين فصلين ، وكل فصل محصوراً بين نوبتين ، وقدموا زمان الفصل على النوبة إلى تمام المدة ، وزمان الفصل هو خمسا **الدور** ، والدور جزء من ألف جزء من المدة ، فإذا قسمنا المدة على **ألف** يحصل زمان الدور أربعة آلاف سنة وثلاثمائة ألف سنة ، وعشرين ألف سنة ، وخمسا أعني زمان الفصل ألف ألف سنة ، وسبعمائة ألف سنة وثمانية وعشرون ألف سنة ، وزمان النوبة عندهم أحد وسبعون دوراً مقدارها من السنين ثلاثمائة ألف ألف سنة ، وستة آلاف ألف سنة ، وسبعمائة ألف سنة ، وعشرون ألف سنة .

وقد قسموا الدور أيضاً بأربع قطع **أولها**،أعظمها وهي مدة الفصل المذكور .

وثانيها ؛ ثلاثة أرباع الفصل ومدتها ألف ألف سنة ومائتا ألف سنة وستة وتسعون ألف سنة .

وثالثها ؛ نصف الفصل ومدته ثمانمائة ألف سنة ، وأربعة وستون ألف سنة .

ورابعها ؛ ربع الفصل ، وهو عُشر الدور المذكور ومدته أربعمائة ألف سنة ، واثنان وثلاثون ألف سنة .

ولكل واحد من هذه القطع الأربع اسم يعرف به ، فاسم القطعة الرابعة عندهم « كلكال » لأنهم يزعمون أنهم في زمانها وأن الذي مضى من عمر الملك الطبيعي على زعم حكيمهم الأعظم المسمى عندهم : « برهمكوت » ثمان سنين وخمسة أشهر وأربعة أيام .

ونحن الآن في نهار اليوم الخامس من الشهر السادس من السنة التاسعة ، ومضى من النهار الخامس ست نوب وسبعة فصول وسبعة وعشرون دوراً من النوبة السابعة ، وثلاث قطع من الدور المذكور ، أعني تسعة أعشاره ، ومضى من القطعة الرابعة ، أعني من أول كلكال إلى هلاك « شككال » عظيم ملوكهم الواقع في آخر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة للاسكندر ثلاثة آلاف سنة ومائة سنة وتسع وسبعون سنة .

وقال : إنما عرفنا هذا الزمان من علم إلهي وقع الينا من عظماء أنبيائنا المتألهين رواياتهم جيلاً بعد جيل على ممر الدهور والأزمان ، وزعموا أن مبدأ كل دور أو فصل أو قطعة أو نوبة تتجدد أزمنة العوالم وتنتقل من حال إلى حال وأن الماضي من أول كلكال إلى شككال ثلاثة آلاف ومائة وتسع وسبعون سنة ، والماضي من النهار المذكور إلى آخر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة للاسكندر ألف ألف سنة ، وتسعمائة ألف ألف سنة ، واثنان وسبعون ألف ألف سنة ، وتسعمائة ألف سنة ، وسبعة وأربعون ألف سنة ، ومائة سنة ، وسبع وسبعون سنة ، فيكون الماضي من عُمر الملك الطبيعي إلى آخر هذه السنة ستة وعشرين ألف ألف ألف سنة، وثلاثمائة ألف ألف ألف سنة، وخمسة عشر ألف ألف ألف سنة، وسبعمائة ألف ألف سنة، واثنين وثلاثين ألف ألف سنة ، وتسعمائة ألف سنة، وسبعة وأربعين ألف سنة، ومائة سنة وتسعاً وسبعين سنة.

فإذا زدنا عليها الباقي من تاريخ الاسكندر بعد نقصان السنين المذكورة منه تحصل الماضي من عمر الملك بالوقت المفروض . والله أعلم بحقيقة ذلك .

قال الخطا والايغر في ذلك قولاً أعجب من قول الهند وأغرب على ما نقلته من زيج أدوار الأنوار ، وقد لخص هذا القول من كتب

أهل الصين وذلك أنهم جعلوا مبادي سنيهم مبنية على ثلاثة أدوار .

الأول : يعرف بالعشري مدة عشر سنين لكل سنة منها اسم يعرف به.

والثاني : يعرف بالدور الاثني عشري وهو أشهرها خصوصاً في بلاد الترك يسمون سنيه بأسماء حيوانات بلغتي الخطا والايغر .

والثالث : مركب من الدورين جميعاً ومدته ستون سنة وبه يؤرخون سني العالم وأيامه ويقوم عندهم مقام أيام الاسبوع عند العرب وغيرها ، واسم كل سنة منها مركب من اسميها في الدورين جميعاً وكذلك كل يوم من أيام السنة ، ولهذا الدور ثلاثة أسماء وهي « شانكون » و « جونكون» و « خاون » . ويصير بحسبها مرة أعظم ومرة أوسط ومرة أصغر ، فيقال دور شانكون الاعظم ودور جانكون الأوسط ودور خاون الأصغر ، وبهذه الأدوار يعتبرون سني العالم وأيامه وجملتها مائة وثمانون سنة .

ثم تدور الأدوار الثلاثة عليها مرة أخرى ، واتفق وقوع مبدأ الدور الأعظم في الشهر الأول من سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ليزدجرد واسمها بلغتهم « كادر » وبلغة العرب « سنة الغار » .

وكان دخول أول فروردين هذه السنة من سني العرب يوم الخميس وهو بلغتهم « سن جن » .

ومن هذا اليوم وعلى هذا التاريخ تترتب مبادي سنيهم وأيامهم في الماضي والمستقبل وشهورهم اثنا عشر شهراً ، لكل شهر منها اسم بلغة الخطا ، وبلغة الايغر لا حاجة بنا هنا إلى ذكرها ، ويقسمون اليوم الأول بليلته اثني عشر قسماً كل قسم منها يقال له « جاغ » وكل جاغ ثمانية أقسام ، كل قسم منها يقال له « كه » ، ويقسمون اليوم بليلته أيضاً عشرة آلاف « فنك » وكل فنك منها مائة « مياو » ، فيصيب كل جاغ ثمانمائة وثلاثة وثلاثين فنكاً وثلاث فنك ، وكل كه مائة وأربعة أفناك وسدس فنك ، وينسبون كل جاغ إلى صورة من الصور الاثنتي عشرة، ومبدأ اليوم بليلته عندهم من نصف الليل ، وفي منتصف جاغ «كسكو »

يتغير أول النهار وآخره بحسب الطول والقصر من قبل أن كل جاغ ساعتان مستويتان .

وفي منتصف النهار ينتصف جاغ « يوند » ، وهم يكبسون في كل ثلاث سنين قمرية شهراً واحداً يسمونه « سيون » ليحفظوا بالكبس مبادي سني الشمس في زمان واحد من سنة أخرى ، ويكبسون أحد عشر شهراً في كل ثلاثين سنة قمرية ، ولا يقع عندهم شهر الكبس في موضع واحد بعينه من السنة ، بل يقع في كل موضع منها وكل شهر عدة أيامه ، أما ثلاثون يوماً أو تسعة وعشرون يوماً ، ولا يمكن عندهم أكثر من ثلاثة أشهر متوالية تامة ولا أكثر من شهرين ناقصين ، ومبادي شهورهم يوم الاجتماع إن وقع اجتماع النيرين نهاراً ، فإن وقع الاجتماع ليلاً ، كان أول الشهر في اليوم الذي بعد الاجتماع .

وزمان السنة الشمسية بحسب أرصادهم ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وألفان وأربعمائة وستة وثلاثون فنكاً ، والسنة أربعة وعشرون قسماً ، كل قسم منها خمسة عشر يوماً ، وألفان ومائة وأربعة وثمانون فنكاً وخمسة أسداس فنك ، ولكل قسم من هذه الأقسام اسم ، وكل ستة أقسام منها فصل من فصول السنة ، فاسم أول قسم من فصولها : «الحن» ، وأوله ابداً حيث تكون الشمس في ست عشرة درجة من برج الدلو . وهكذا أوائل كل فصل إنما تكون في حدود أواسط البروج الثابتة .

وكان بعد مدخل الحن من أول الدور الستيني في السنة المذكورة أحد عشر فنكاً وسبعة آلاف وستمائة وستين فنكاً ، واسم مدخله : « بي خايني » ، وكان بعد دخول السنة الفارسية المذكورة بنحو عشرين يوماً ، ويبعد مدخله عن أول الدور في كل سنة بقدر فضل سنة الشمس على سنة الدور ، وهو خمسة أيام وأربعة وعشرون فنكاً ، فإن زادت الأيام على ستين يوماً كان الباقي بعد الحن في تلك السنة عن أول الدور الستيني ، ويتفاضل البعد بينهما في كل سنة بقدر فضل سنة الشمس على سنة القمر التي هي ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وثلاثة آلاف وستمائة واثنان وسبعون فنكاً ، ومقدار الفضل بينهما عشرة أيام وثمانية آلاف

وسبعمائة وأربعة وعشرون فنكاً ، وخمسة آلاف وثمانمائة وستة أفناك ، نقص منها هذا العدد واحتسب بالباقي ، فإذا عرفت هذا من حسابهم ، فاعلم أن عمر العالم عندهم ثلاثمائة ألف « ون » ، وستون ألف ون ، كل ون عشرة آلاف سنة . مضى من ذلك إلى أول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ليزدجرد ، وهي دور شانكون الأعظم ثمانية آلاف ون ، وثمانمائة ون ، وثلاثة وستون وناً ، وتسعة آلاف وسبعمائة وأربعون سنة، فتكون المدة العظمى على هذا ثلاثة آلاف ألف ألف ألف ألف سنة ، وستمائة ألف ألف ألف ألف سنة بهذه الصورة ٣,٦٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ والماضي منها إلى السنة المذكورة ثمانية وثمانون ألف ألف سنة ، وستمائة ألف سنة وتسعة وثلاثون ألف سنة ، وسبعمائة سنة ، وأربعون سنة بهذه الصورة ٨٨,٦٣٩,٧٤٠ ، ولله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله .

وإنما ذكرت طرفاً من حساب سني البراهمة وطرفاً من حساب سني الخطا والايغر المستخرج من حساب الصين ، ليعلم أن ذلك لم يضعه حكماؤهم عبثاً « ولأمر ما جدع قصير أنفه » .

وكم من جاهل بالتعاليم إذا سمع أقوالهم في مدة سني العالم يبادر إلى تكذيبهم من غير علم بدليلهم عليه ، وطريق الحق أن يتوقف فيما لا يعلمه حتى يتبين أحد طرفيه فيرجحه على الآخر : ﴿ واللهُ يعلمُ وأنتُم لا تَعْلمونَ ﴾ (١) .

وقال أصحاب السند هند : ومعناه دهر الداهران الكواكب وأوجاتها وجوزهراتها تجتمع كلها في أول برج الحمل عند كل أربعة آلاف ألف ألف سنة ، وثلاثمائة ألف ألف سنة ، وعشرين ألف ألف سنة شمسية وهذه مدة سني العالم .

قالوا : وإذا جمعت برأس الحمل فسدت المكونات الثلاث التي يحويها عالم الكون والفساد المعبر عنه بالحياة الدنيا ، وهذه المكونات هي المعدن

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢١٦ .

والنبات والحيوان . فإذا فسدت بقي العالم السفلي خراباً دهراً طويلاً إلى أن تتفرق الكواكب والاوجات والجوزهرات في بروج الفلك ؛ فإذا تفرقت فيها بدأ الكون بعد الفساد فعادت أحوال العالم السفلي إلى الأمر الأول ، وهذا يكون عوداً بعد بدء إلى غير نهاية .

قالوا : ولكل واحد من الكواكب والأوجات والجوزهرات عدة أدوار في هذه المدة يدل على كل دور منها على شيء من المكونات كما هو مذكور في كتبهم ، مما لا حاجة بنا هنا إلى ذكره . وهذا القول منتزع من قول البراهمة الذين تقدم ذكرهم .

وقال أصحاب الهازروان : من قدماء الهند إن لكل ثلاثمائة ألف سنة وستين ألف سنة شمسية يهلك العالم بأسره ، ويبقى مثل هذه المدة ثم يعود بعينه ويعقبه البدل ، وهكذا أبداً يكون الحال لا إلى نهاية .

قالوا : ومضى من أيام العالم المذكورة إلى طوفان نوح عليه السلام مائة ألف وثمانون ألف سنة شمسية ، ومضى من الطوفان إلى سنة الهجرة المحمدية على صاحبها الصلاة والتحية ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاث وعشرون سنة وأربعة أشهر وأيام ، وبقي من سني العالم حتى يبتدىء ويفنى مائة ألف وبضع وسبعون ألف سنة شمسية أولها تاريخ الهجرة الذي يؤرخ به أهل الاسلام .

وقال أصحاب الأزجهير : مدة العالم التي تجتمع فيها الكواكب برأس الحمل هي وأوجاتها وجوزهراتها جزء من ألف جزء من مدة السند هند ، وهذا أيضاً منتزع من قول البراهمة .

وقال أبو معشر وابن نوبخت : إن بعض الفرس يرى أن عمر الدنيا إثنا عشر ألف سنة بعدة البروج ، لكل برج ألف سنة ، فكان ابتداء أمر الدنيا في أول ألف الحمل ، لأن الحمل والثور والجوزاء تسمى أشرف الشرف وينسب إلى الحمل الفصل ، وفيها تكون الشمس في شرفها وعلوها وطول نهارها ، ولذلك الدنيا كانت إلى ثلاثة آلاف سنة علوية روحانية طاهرة ، ولأن السرطان والأسد والسنبلة منتقصة ، فإن الشمس تنحط من علوها في أول دقيقة من السرطان .

وكان قدر الدنيا وابناؤها منحطاً في ثلاثة آلاف الثانية ، ولأن الميزان أهبط الهبوط وبئر الآبار ، وضد البرج الذي فيه شرف الشمس ، دل على أنه أصاب الدنيا ، فاكتسب أهلها المعصية والميزان والعقرب والقوس، إذا نزلتها الشمس لم تزدد إلا انحطاطاً ، والأيام إلا نقصاناً ، فلذلك دلت على البلايا والضيق والشدة والشر ، وحيث تبلغ الآلاف إلى أول الجدي الذي فيه أول ارتفاع الشمس واشرافها على شرفها ، وفيه تزداد الأيام طولاً . والدلو والحوت اللذان تزداد الشمس فيهما صعوداً حتّى تصل لشرفهما ، فيدل على ظهور الخير وضعف الشر ، وثبات الدين والعقل والعمل بالحق والعدل ومعرفة فضل العلم والأدب في تلك الثلاثة آلاف سنة ، وما يكون في ذلك فعلى قدر صاحب الألف والمائة والعشرة ، وعلى حسب اتفاق الكواكب في أول سرطان صاحب الألف فلا يزال ذلك في زيادة حتّى يعود أمر الدنيا في آخرها إلى مثل ما كان عليه ابتداؤها وهي في ألف الحمل .

وكلما تقارب آخر كل ألف من هذه الألوف اشتد الزمان وكثرت البلايا ، لأن أواخر البرج في حدود النحوس ، وكذلك في آخر المئين والعشرات ، فعلى هذا الانقضاء للدنيا إذا كان الزمان يعود إلى الحمل كما بدأ أول مرة . وزعموا أن ابتداء الخلق بالتحرك كان والشمس في ابتداء المصير ، فدار الفلك ، وجرت المياه ، وهبت الرياح ، واتقدت النيران ، وتحرك سائر الخلائق بما هم عليه من خير وشر ، والطالع تلك الساعة تسع عشرة درجة من برج السرطان ، وفيه المشتّري .

وفي البيت الرابع الذي هو بيت العافية وهو برج الميزان زحل ، وكان الذنب في القوس ، والمريخ في الجدي ، والزهرة وعطارد في الحوت ووسط السماء برج الحمل ، وفي أول دقيقة منه الشمس .

وكان القمر في الثور وفي بيت السعادة ، وكان الرأس في برج الجوزاء وبيت الشقاء ، وفي تلك الدقيقة من الساعة كان استقبال أمر الدنيا ، فكان خيرها وشرها وانحطاطها وارتفاعها وسائر ما فيها على قدر مجاري البروج والنجوم ، وولاية أصحاب الألوف وغير ذلك من أحوالها ،

ولأن المشتري كان في السرطان في شرفه ، وزحل في الميزان في شرفه ، والمريخ والشمس والقمر في أشرافها ، دلت على كائنة جليلة ، فكان نشوء العالم ، وبرز زحل فتولى الالف هو والميزان ، وكان المشتري في الطالع مقبولاً ، وكذلك جميع الكواكب كانت مقبولة ، فدل على نماء العالم وحسن نشوئه .

وكان زحل هو المستولي والعالي في الفلك والبرج طويل الطالع ، فطالت أعمار تلك الألف وقويت أبدانهم وكثرت مياههم ، وكون الميزان تحت الأرض دل على خفاء أول حدوث العالم ، وعلى أن أهل ذلك الزمان ينظرون في عمارة الارضين وتشييد البنيان .

ثم ولـّي الألف الثاني العقرب والمريخ ، وكان في الطالع المريخ ، فدل على القتل في ذلك الالف ، وسفك الدماء ، والسبي ، والظلم ، والجور ، والخوف ، والهم ، والأحزان ، والفساد ، وجور الملوك .

وولى الألف الثالث القوس وشاركه عطارد والزهرة بطلوعهما ، وكان الذنب في القوس ، فدل المشتري على : النجدة في تلك الألف ، والشدة ، والجلد ، والبأس ، والرياسة ، والعدل ، وتقسيم الملوك الدنيا ، وسفك الدماء بسبب ذلك .

ودلت الزهرة على : ظهور بيوت العبادة ، وعلى الأنبياء .

ودل عطارد على : ظهور العقل ، والأدب ، والكلام . وكون البرج مجسراً دل على : انقلاب الخير والشر في تلك الألف مرات ، وعلى ظهور ألوان من آيات الحق والعدل والجور .

ثم ولى الالف الرابع الجدي وكان فيه المريخ فدل على : ما كان في تلك الألف من اهراق الدماء ، ودلت الشمس على : ظهور الخير ، والعلم ، ومعرفة الله تعالى ، وعبادته ، وطاعته ، وطاعة أنبيائه ، والرغبة في الدين مع الشجاعة والجلد . وكون البرج منقلباً هو والبرج الذي فيه الشمس دل على : انقلاب ذلك في آخرها ، وظهور الشر ، والتفرق ، والقسم ، والقتل ، وسفك الدماء ، والغضب في أصناف كثيرة ، وتحول

ذلك وتلونه ، وكون الجدي منحطاً دل على أنه يظهر في آخر تلك الألف الحسن الشبيه بصفة زحل والمريخ وانقطاع العظماء والحكماء وبوارهم وارتفاع السفلة وخراب العامر وعمارة الخراب وكثرة تلون الأشياء .

وولى ألف الخامس الدلو بطلوع القمر وكان القمر في الثور ، فدل الدلو لبرودته وعسره على : سقوط العظماء وعطلة أمرهم ، وارتفاع السفلة والعبيد ومحمدة البخلاء ، وظهور الجيش الأسود ، والسواد ، وعلى : كثرة التفتيش ، والتفكر ، وظهور الكلام في الأديان ، ومحبة الخصومات . وكون القمر في شرفه يدل على : قهر الملوك ، وظهور ولاة الحق ، ونفاذ الخير ، وظهور بيوت العبادة ، والكف عن الدماء ، والراحة ، والسعادة في العامة ، وثبات ما يكون من العدل والخير وطول المدة فيه . وكون البرج مائياً يدل على : كثرة الأمطار ، والغرق ، وآفة من البرد يهلك فيها الكثير .

ويلي الألف السادس برج الحوت بطلوع المشتري والرأس فيدل على : المحمدة في الناس عامة ، وعلى الصلاح ، والخير ، والسرور ، وذهاب الشر ، وحسن العيش . ولكل واحد من الكواكب ولاية ألف سنة ، فصار عطارد خاتماً في برج السنبلة .

وزعم ابن نوبخت أن من يوم سارت الشمس إلى تمام خمس وعشرين من ملك أنوشيروان ثلاثة آلاف وثمانمائة وسبع وستون سنة ، وذلك في ألف الجدي وتدبير الشمس ، ومنه إلى اليوم الأول من الهجرة سبع وثمانون سنة شمسية وستة وعشرون يوماً ، ومن الهجرة إلى قيام يزدجرد تسع سنين وثلاثمائة وسبعة وثلاثون يوماً ، فذلك الجميع إلى أن قام يزدجرد ثلاثة آلاف وتسعمائة وست وستون سنة .

وقال أبو معشر : وزعم قوم من الفرس أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة بعدة الكواكب السبعة ، وزعم أبو معشر أن عمر الدنيا ثلاثمائة ألف سنة وستون ألف سنة . وأن الطوفان كان في النصف من ذلك على رأس مائة ألف وثمانين ألف سنة .

وقال قوم : عمر الدنيا تسعة آلاف سنة ، لكل كوكب من الكواكب السبعة السيّارة ألف سنة ، وللرأس ألف سنة ، وللذنب ألف سنة ، وشرها ألف الذنب ، وأن الاعمار طالت في تدبير آلاف الثلاثة العلوية ، وقصرت في آلاف الكواكب السفلية .

وقال قوم : عمر الدنيا تسعة عشر ألف سنة بعدد البروج الاثني عشر ، لكل برج ألف سنة ، وبعدد الكواكب السبعة السيّارة لكل كوكب ألف سنة .

وقال قوم : عمر الدنيا أحد وعشرون ألف سنة ، بزيادة ألف للرأس وألف للذنب .

وقال قوم : عمر الدنيا ثمانية وسبعون ألف سنة ، في تدبير برج الحمل اثنا عشر ألف سنة وفي تدبير برج الثور أحد عشر ألف سنة ، وفي تدبير الجوزاء عشرة آلاف سنة ، فكانت الأعمار في هذا الربع أطول والزمان أجد ، ثم تدبير الربع الثاني مدة أربعة وعشرين ألف سنة ، فتكون الأعمار دون ما كانت في الربع الأول ، وتدبير الربع الثالث خمسة عشر ألف سنة ، وتدبير الربع الرابع ستة آلاف سنة .

وقال قوم : كانت المدة من آدم إلى الطوفان ألفين وثمانين سنة وأربعة أشهر وخمسة عشر يوماً ، ومن الطوفان إلى إبراهيم عليه السلام تسعمائة واثنتين وأربعين سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوماً ، فذلك ثلاثة آلاف ومائتان وثلاث وعشرون سنة .

وقال قوم من اليهود : عمر الدنيا سبعون ألف سنة منحصرة في ألف جيل ، واقتفوا ذلك من قول موسى عليه السلام في صلاته : ان الجيل سبعون سنة ، من قوله في الزبور : إن إبراهيم عليه السلام ، قطع معه الله تعالى عهد بقاء البشر ألف جيل ، فجاء من ذلك أن مدة الدنيا سبعون ألف سنة ، واستظهروا لقولهم هذا بما في التوراة من قوله : (واعلم أن الله إلهك هو القادر المهيمن الحافظ العهد والفضل لمحبيه وحافظي وصاياه لألف جيل) .

وذكر أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي في كتاب : (أخبار الزمان) عن الأوائل أنهم قالوا : كان في الأرض ثمان وعشرون أمة ، ذات أرواح وأيد وبطش وصور مختلفات بعدد منازل القمر ، لكل منزلة أمة منفردة تعرف بها تلك الأمة ، ويزعمون أن تلك الأمم كانت الكواكب الثابتة تدبرها وكانوا يعبدونها .

ويقال لما خلق الله تعالى البروج الاثني عشر قسم دوامها في سلطانها فجعل للحمل اثني عشر ألف عام ، وللثور أحد عشر ألف عام ، وللجوزاء عشرة آلاف عام ، وللسرطان تسعة آلاف عام ، وللأسد ثمانية آلاف عام ، وللسنبلة سبعة آلاف عام ، وللميزان ستة آلاف عام ، وللعقرب خمسة آلاف عام ، وللقوس أربعة آلاف عام ، وللجدي ثلاثة آلاف عام ، وللدلو ألفي عام ، وللحوت ألف عام ، فصار الجميع ثمانية وسبعين ألف عام ، فلم يكن في عالم الحمل والثور والجوزاء حيوان ، وذلك ثلاثة وثلاثون ألف عام .

فلما كان عالم السرطان ، تكونت دواب الماء وهوام الأرض .

فلما كان عالم الأسد ، تكونت ذوات الأربع من الوحش والبهائم ، وذلك بعد تسعة آلاف عام من خلق دواب الماء والهوام .

فلما كان عالم السنبلة تكون الانسانان الأولان وهما : « ادمانوس » « وحنوانوس » ، وذلك لتمام سبعة عشر ألف عام لخلق دواب الماء وهوام الأرض ، ولتمام ثمانية آلاف عام من خلق ذوات الأربع ، وخلقت الأرض في عالم الميزان .

ويقال : بل خلقت الأرض أولاً وأقامت خالية ثلاثة وثلاثين ألف عام ، ليس فيها حيوان ولا عالم روحاني ، ثم خلق الله تعالى هوام الماء ودواب الأرض ، وما بعد ذلك على ما تقدم ذكره ، فلما تم أربعة وعشرون ألف عام لخلق دواب الماء وهوام الأرض ، ولتمام خمسة عشر ألف عام من خلق ذوات الأربع ، ولتتمة سبعة آلاف عام من لدن تكون الانسانين خلقت الطيور .

ويقال : إن مدة مقام الانسانين ونسلهما في الأرض مائة ألف وثلاثة وثلاثون ألف عام ، منها لزحل ستة وخمسون ألف عام . وللمشتري أربعة وأربعون ألف عام ، وللمريخ ثلاثة و ثلاثون ألف عام .

ويقال : إن الامم المخلوقات قبل آدم هي كانت الجبلة الأولى ، وهي ثمان وعشرون أمة بازاء منازل القمر ، خلقت من أمزجة مختلفة أصلها : الماء ، والهواء ، والأرض ، والنار . فتباين خلقها .

فمنها ؛ أمة خلقت طوالاً زرقاً ذوات أجنحة ، كلامهم قرقعة ، على صفة الأسود .

ومنها ؛ أمة أبدانهم أبدان الأسود ورؤوسهم رؤوس الطير ، لهم شعور وآذان طوال ، وكلامهم دوي .

ومنها ؛ أمة لها وجهان : وجه أمامها ووجه خلفها ، ولها أرجل كثيرة ، وكلامهم كلام الطير .

ومنها ؛ أمة ضعيفة في صور الكلاب ، لها أذناب ، وكلامهم همهمة لا يعرف .

ومنها ؛ أمة تشبه بني آدم ، أفواههم في صدورهم ، يصفرون إذا تكلموا صفيراً .

ومنها ؛ أمة يشبهون نصف انسان ، لهم عين واحدة ، ورجل يقفزون بها قفزاً ، ويصيحون كصياح الطير .

ومنها ؛ أمة لها وجوه كوجوه الناس وأصلاب كأصلاب السلاحف ، في رؤوسهم قرون طوال لا يفهم كلامهم .

ومنها ؛ أمة مدورة الوجوه ، لهم شعور بيض ، وأذناب كأذناب البقر ، ورؤوسهم في صدورهم ، لهم شعور وثدي ، وهم أناث كلهن ليس فيهن ذكر يلقحن من الريح ، ويلدن أمثالهن ، ولهن أصوات مطربة يجتمع اليهن كثير من هذه الأمم لحسن أصواتهن .

ومنها ؛ أمة على خلق بني آدم ، سود وجوههم ، ورؤوسهم كرؤوس الغربان .

ومنها ؛ أمة في خلق الهوام والحشرات . إلا أنها عظيمة الأجسام ، تأكل وتشرب مثل الأنعام .

ومنها ؛ أمة كوجوه دواب البحر لها أنياب كأنياب الخنازير ، وآذان طوال ، ويقال أن هذه الثمانية والعشرين أمة تناكحت فصارت مائة وعشرين أمة .

وسئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : هل كان في الأرض خلق قبل آدم يعبدون الله تعالى ؟ فقال : نعم .. خلق الله الأرض، وخلق فيها الجن يسبحون الله ويقدسونه لا يفترون ، وكانوا يطيرون إلى السماء ويلقون الملائكة ويسلمون عليهم ، ويستعلمون منهم خبر ما في السماء .

ثم إن طائفة منهم تمردت وعتت عن أمر ربها ، وبغت في الأرض بغير الحق ، وعدا بعضهم على بعض ، وجحدوا الربوبية ، وكفروا بالله، وعبدوا ما سواه ، وتغايروا على الملك حتى سفكوا الدماء ، وأظهروا في الأرض الفساد وكثر تقاتلهم ، وعلا بعضهم على بعض ، وأقام المطيعون لله تعالى على دينهم ، وكان إبليس من الطائفة المطيعة لله والمسبحين له ، وكان يصعد إلى السماء فلا يحجب عنها لحسن طاعته » .

ويروى أن الجن كانت تفترق على إحدى وعشرين قبيلة ، وأن بعد خمسة آلاف سنة ملكوا عليهم ملكاً يقال له شملان بن أرس ، ثم افترقوا فملكوا عليهم خمسة ملوك ، وأقاموا على ذلك دهراً طويلاً ، ثم أغار بعضهم على بعض وتحاسدوا ، فكانت بينهم وقائع كثيرة ؛ فأهبط الله تعالى عليهم إبليس ، وكان اسمه بالعربية : الحارث ، كنيته : أبو مرة ، ومعه عدد كثير من الملائكة فهزمهم وقتلهم .

وصار إبليس ملكاً على وجه الأرض ، فتكبر وطغى وكان من امتناعه من السجود لآدم ما كان ، فأهبطه الله تعالى إلى الأرض فسكن البحر

وجعل عرشه على الماء ، فألقيت عليه شهوة الجماع ، وجعل لقاحه لقاح الطير وبيضه .

ويقال ؛ إن قبائل الجن من الشياطين خمس وثلاثون قبيلة ، خمس عشرة قبيلة تطير في الهواء ، وعشر قبائل مع لهب النار وثلاثون قبيلة يسترقون السمع من السماء ، ولكل قبيلة ملك موكل بدفع شرها ، ومنهم صنف من السعالى يتصورون في صور النساء الحسان ويتزوجن برجال الانس ويلدن منهم ، ومنهم صنف على صور الحيات إذا قتل أحد منهم واحدة هلك من وقته ، فإن كانت صغيرة هلك ولده أو عزيز عنده .

وعن ابن عباس أنه قال : إن الكلاب من الجن فإذا رأوكم تأكلون فالقوا اليهم من طعامكم فإن لهم أنفساً يعني أنهم يأخذون بالعين .

وقد روي ان الأرض كانت معمورة بأمم كثيرة منهم : « الطم » و « الرم » و « الجن » و « البن » و « الحسن » و « البسن » . وان الله تعالى لما خلق السماء عمرها بالملائكة ، ولما خلق الأرض عمرها بالجن فعاثوا وسفكوا الدماء فأنزل الله اليهم جنداً من الملائكة فأتوا على أكثرهم قتلاً وأسراً ، فكان ممن أسر إبليس ، وكان اسمه عزازيل ، فلما صعد به إلى السماء أخذ نفسه بالاجتهاد في العبادة والطاعة رجاء أن يتوب الله عليه ، فلما لم يجد ذلك عليه شيئاً خامر الملائكة القنوط فأراد الله أن يظهر لهم خبث طويته وفساد نيته فخلق آدم فامتحنه بالسجود له ليظهر للملائكة تكبره وإبانة ما خفي عنهم من مكتوم أنبائه ، إلى عمارة الأرض قبل آدم ممن أفسد فيها أشار بقوله تعالى حكاية عن الملائكة : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ [1] ، يعنون كما فعل بها من قبل ، والله أعلم بمراده هكذا قيل .

ويقال ؛ والذي ينبغي التعويل عليه والتصبير اليه ما ورد به الكتاب العزيز والسنّة المطهرة من بدء الخلق وما كان وما يكون وهو قليل جداً ، وما أتى الناس به من القصص وأساطير المخلوقات قبل آدم وبعده ،

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٣٠ .

فلا يقبل منه إلا ما يشهد به نص من كتاب أنزل من عند الله تعالى ،أو خبر صحيح ورد من رسول الله ﷺ .

وأما ما جاء من أهل الكتاب ومن يضاهيهم فلا نصدقه ولا نكذبه ، بل نتوقف فيه ونكل علمه إلى الله تعالى ولا نقطع بصحته لأن أسانيده إلى الذين رووا عنهم منقطعة معضلة غير متابعة لبعد العهد وطول الأمد . ﴿ وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً ﴾ (١) . ﴿ وما يعلم جنود ربّك إلاّ هو ﴾ (٢) . والنظر في كتب التواريخ لا يورث إلا خلافاً كثيراً وتعارضاً شديداً وحيرة مدهشة وباطلاً لا حق ، وخطأ لا صواب ، وكذباً لا صدق ، والخوض في أمثال ذلك شأن السفهاء دون العقلاء ، لأن ما لم يكن سبيل إلى تحقيقه لا يحسن السلوك في طريقه .

قال أبو بكر بن أحمد بن علي بن وحشية في « كتاب الفلاحة » أنه عرب هذا الكتاب ونقله من لسان الكلدانيين إلى اللغة العربية ، وأنه وجده من وضع ثلاثة حكماء قدماء وهم : « صعريث » ، و « سوساد » و « فوقاي » ، ابتدأوه الأول وكان ظهوره في الألف السابع من سبعة آلاف سني زحل وهي الألف التي يشارك فيها زحل القمر ، وتممه الثاني وكان ظهوره في آخر هذه الألف ، وأكمله الثالث وكان ظهوره بعد مضي أربعة آلاف سنة من دور الشمس الذي هو سبعة آلاف سنة ، وأنه نظر إلى ما بين زمان الأول والثالث فكان ثمانية عشر ألف سنة شمسية وبعض الألف التاسع عشر .

وقد اختلف أهل الاسلام في هذه المسألة أيضاً ، فروى سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : الدنيا جمعة من جمع الآخرة ، واليوم ألف سنة ، فذلك سبعة آلاف سنة .

وروى سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، قال : قال كعب الأحبار : الدنيا ستة آلاف سنة .

---

(١) سورة الاسراء ، الآية : ٨٥ .
(٢) سورة المدثر ، الآية : ٣١ .

وعن وهب بن منبه أنه قال : قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمائة ، إني لأعرف كل زمان منها ومن فيه من الأنبياء ، فقيل له : فكم الدنيا ؟ قال : ستة آلاف سنة .

وروى عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أجلكم في أجل من كان قبلكم من صلاة العصر إلى مغرب الشمس » ، أخرجه الشيخان .

وفي حديث أبي هريرة ، الحقب ثمانون عاماً اليوم منها سدس الدنيا والحقب هنا بكسر الحاء وضمها .

قال أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني في كتاب «الاكليل» : « وكان الدنيا جزءاً من أربعة وخمسين يوماً وخمس وسدس يوم ، فإذا كانت الدنيا ستة آلاف سنة واليوم ألف سنة تكون سنين قمرية ستة آلاف سنة ، فإذا جعلناه جزء وضربناه في أجزاء الحقب وهي أربعة آلاف وسبعمائة سنة وثلاث وعشرون وثلث خرج من السنين ثمانية وعشرون ألف ألف وثلاثمائة ألف ألف وأربعون ألف ألف ، وإذا كانت جمعة من جمع الآخرة زدنا مع هذا العدد مثل سدسه ، وهذا عدد الحقب » .

وقال ابو جعفر محمد بن جرير الطبري : « الصواب من القول ما دل على صحته الخبر الوارد ، فذكر قوله عليه السلام : « أجلكم في أجل من كان قبلكم من صلاة العصر إلى مغرب الشمس » .

وقوله عليه السلام : « بُعثت أنا والساعة كهاتين » وأشار بالسبابة والوسطى . وقوله عليه السلام : « بُعثت أنا والساعة جميعاً إن كادت لتسبقني » .

قال : فمعلوم إن كان اليوم أوله طلوع الشمس وآخره غروب الشمس .

وكان صحيحاً عن النبي ﷺ قوله : « أجلكم في أجل من كان قبلكم من صلاة العصر إلى مغرب الشمس » .

وقوله : « بُعثت أنا والساعة كهاتين » وأشار بالسبابة والوسطى وكان قدر ما بين أوسط أوقات صلاة العصر ، وذلك إذا صار كل شيء مثليه على التحري ، إنما يكون قدر نصف سبع اليوم يزيد قليلاً أو ينقص قليلاً ، وكذلك فضل ما بين الوسطى والسبابة إنما يكون نحواً من ذلك .

وكان صحيحاً مع ذلك قوله ﷺ : « لن يعجز الله أن يؤخر هذه الأمة نصف يوم » يعني نصف اليوم الذي مقداره ألف سنة ، فأولى القولين اللذين أحدهما عن ابن عباس والآخر عن كعب ، قول ابن عباس : إن الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف ، وإذا كان كذلك وكان قد جاء عنه عليه السلام أن الباقي من ذلك في حياته نصف يوم وذلك خمسمائة عام إذا كان ذلك نصف يوم من الأيام التي قدر الواحد منها ألف عام ، كان معلوماً أن الماضي من الدنيا إلى وقت قوله عليه السلام : ستة آلاف سنة وخمسمائة سنة أو نحو ذلك .

وقد جاء عنه عليه السلام خبر يدل على صحة قول من قال أن الدنيا كلها ستة آلاف سنة ، لو كان صحيحاً لم يعد القول به إلى غيره ، وهو حديث أبي هريرة يرفعه الحقب ثمانون عاماً اليوم منها سدس الدنيا ، فتبين من هذا الخبر أن الدنيا كلها ستة آلاف سنة ، وذلك أنه حيث كان اليوم الذي هو من أيام الآخرة مقداره ألف سنة من سني الدنيا ، وكان اليوم الواحد من ذلك سدس الدنيا كان معلوماً أن جميعها ستة أيام من أيام الآخرة ، وذلك ستة آلاف سنة .

وقال أبو القاسم السهيلي : وقد مضت الخمسمائة من وفاته ﷺ إلى اليوم بنيف عليها ، وليس في الحديثين ما يشهد لشيء مما ذكر مع وقوع الوجود بخلافه ، وليس في قوله : « لن يعجز الله أن يؤخر هذه الأمة نصف يوم » ما ينفي الزيادة على النصف ولا في قوله : « بُعثت أنا والساعة كهاتين » ما يقطع به على صحة تأويله يعني الطبري ، فقد نقل في تأويله غير هذا ، وهو أنه ليس بينه وبين الساعة نبي ولا شرعة غير شرعته ، مع التقريب لحينها كما قال تعالى : ﴿ اقتربت الساعة ﴾ (١) .

---

(١) سورة القمر ، الآية : ١ .

وقال : ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ [1] . ثم رجع السهيلي إلى تعيين أمد الملة من مدرك آخر لو ساعده التحقيق ، وقال : ولكن إذا قلنا إنه عليه السلام إنما بعث في الألف الآخر بعدما مضت منه سنون ، ونظرنا إلى الحروف المقطعة في أوائل السور وجدناها أربعة عشر حرفاً يجمعها قولك : « الم يسطع نص حق كره » ، ثم تأخذ العدد على حساب « أبي جاد » فيجيء تسعمائة وثلاثة .

ولم يسمِّ الله تعالى أوائل السور إلا هذه الحروف ، فليس يبعد أن يكون من بعض مقتضياتها وبعض فوائدها الإشارة إلى هذا العدد من السنين لما قدمناه من حديث الالف السابع الذي بعث عليه السلام فيه .

غير أن الحساب يحتمل أن يكون من مبعثه أو من وفاته أو من هجرته وكل قريب بعضه من بعض . فقد جاء أشراطها ولكن لا تأتيكم إلا بغتة .

وقد روي أنه عليه السلام قال : « إن أحسنت أمتي فبقاؤها يوم من أيام الآخرة وذلك ألف سنة وإن أساءت فنصف يوم » ، ففي الحديث تتميم للحديث المتقدم ، وبيان له إذ قد انقضت الخمسمائة والأمة باقية .

قال ابن خلدون : قلت وكونه لا يبعد لا يقتضي ظهوره ولا التعويل عليه ، والذي حمل السهيلي على ذلك إنما هو ما وقع في كتاب « السير » لابن إسحاق في حديث ابني أخطب من أحبار اليهود وهما (أبو ياسر) وأخوه (حيى) حين سمعا من الأحرف المقطعة (الم) وتأولاها على بيان المدة بهذا الحساب فبلغت احدى وسبعين ، فاستقلا المدة وجاء حيى إلى النبي ﷺ يسأله : هل مع هذا غيره فقال (المص) ثم استزاد (الر) ثم استزاد (المر) فكانت احدى وسبعين ومائتين ، فاستطال المدة ، وقال: قد لبس علينا أمرك يا محمد حتى لا ندري أقليلاً أعطيت أم كثيراً ، ثم ذهبوا عنه .

وقال لهم أبو ياسر : ما يدريكم لعله أعطى عددها كلها تسعمائة وأربع سنين .

---

(1) سورة النحل ، الآية : ١ .

قال ابن اسحاق : فنزل قوله تعالى : ﴿ منه آياتٌ محكماتٌ هنّ أم الكتاب وأُخر متشابهات ﴾ (1) . انتهى .

ولا يقوم من القصة دليل على تقدير الملة بهذا العدد ، لأن دلالة هذه الحروف على تلك الأعداد ليست طبيعية ولا عقلية وإنما هي بالتواضع والاصطلاح الذي يسمونه « حساب الجمل » . نعم إنه قديم مشهور وقدم الاصطلاح لا يصير حجة وليس أبو ياسر وأخوه حيي من يؤخذ رأيه في ذلك دليلاً ، ولا من علماء اليهود لأنهم كانوا بادية بالحجاز غفلا عن الصنائع والعلوم حتى عن علم شريعتهم وفقه كتابهم وملتهم ، وإنما يتلقفون مثل هذا الحساب كما تتلقفه العوام في كل ملة فلا ينهض للسهيلي دليل على ما ادعاه من ذلك . انتهى كلامه .

وقال شاذان البلخي المنجم : مدة ملة الاسلام ثلاثمائة وعشر سنين ، وقد ظهر كذب قوله ولله الحمد .

وقال أبو معشر : يظهر بعد المائة والخمسين من سني الهجرة اختلاف كثير ، ولم يصح ذلك .

وقال حراس : إن المنجمين أخبروا كسرى أنو شيروان بتملك العرب وظهور النبوة فيهم ، وأن دليلهم الزهرة وهي في شرفها ، والزهرة دليل العرب ، فتكون مدة ملك نبوتهم ألفاً وستين سنة ، ولأن طالع القران الدال على ذلك برج الميزان ، والزهرة صاحبته في شرفها .

قال : وسأل كسرى وزيره بزرجمهر عن ذلك فأعلمه أن الملك يخرج من فارس ، وينتقل إلى العرب وتكون ولادة القائم بأمرة العرب بخمس وأربعين سنة من وقت القران ، وأن العرب تملك المشرق والمغرب من أجل أن المشتري دليل فارس ، قد قبل تدبير الزهرة دليل العرب ، والقران قد انتقل من المثلثة المائية إلى برج العقرب منها ، وهو دليل العرب أيضاً ، وهذه الأدلة تقتضي بقاء الملة الاسلامية بقدر دور الزهرة ، وهو ألف وستون سنة شمسية .

---

(1) سورة آل عمران ، الآية : ٧ .

وسأل كسرى إبرويز أليوس الحكيم عن ذلك ، فقال مثل قول بزرجمهر .

وقال نفيل الرومي : وكان في أيام بني أمية تبقى ملة الاسلام بقدر مدة القران الكبيرة وهي : تسعمائة وستون سنة شمسية ، فإذا عاد القران بعد هذه المدة إلى برج العقرب ، كما كان في ابتداء الملة ، وتغير وضع تشكيل الفلك عن هيأته في الابتداء ، فحينئذ يفتّر العمل ويتجدد ما يوجب خلاف الظن .

قال : واتفقوا على أن خراب العالم يكون باستيلاء الماء والنار حتّى تهلك المكونات بأسرها ، وذلك إذا قطع قلب الأسد أربعاً وعشرين درجة من برج الأسد ، الذي هو حد المريخ بعد تسعمائة وستين سنة شمسية من قران الملة .

ويقال ؛ إن ملك زابلستان ، وهي عزبة ، بعث إلى عبد الله أمير المؤمنين المأمون بحكيم اسمه ددبان في جملة هدية ، فأعجب به المأمون ، وسأله عن ملك بني العباس ، فأخبره بخروج الملك عن عقبه واتصاله في عقب أخيه ، وأن العجم تغلبهم فيتغلب الديلم أولا في دولة سنة خمسين ، ثم يسوء حالهم حتى يظهر الترك من شمال المشرق فيملكون الفرات والروم والشام ، فقال له المأمون : من أين لك هذا ؟ قال : من كتب الحكماء ، ومن أحكام صصه بن داهر الهندي الذي وضع الشطرنج ، قلت ؛ والترك الذين أشار إلى ظهورهم بعد الديلم هم السلجوقية وقد انقضت دولتهم أول القران السابع .

وقال يعقوب بن اسحاق الكندي : مدة ملة الاسلام ستمائة وثلاث وتسعون سنة ، ووقع في الملة حدثان دولتها على الخصوص مسند من الأثر اجمالي في حديث خرجه أبو داود ، عن حذيفة بن اليمان ، قال : والله ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه ؟ والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا . يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً ، إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته .

وسكت عليه أبو داود وما سكت عليه فهو صالح ، وهذا الحديث إذا كان صحيحاً فهو مجمل ويفتقر في بيان اجماله وتعيين مبهماته إلى آثار أخرى يجود أسانيدها ، وقد وقع اسناد هذا الحديث في غير كتاب السنن على غير هذا الوجه فوقع في الصحيحين من حديث حذيفة أيضاً. قال : قام رسول الله ﷺ فينا خطيباً ، فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذاك إلى قيام الساعة إلا حدث عنه حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابه هؤلاء ، ولفظ البخاري ما ترك شيئاً إلىقيام الساعة إلا ذكره .

وفي (كتاب الترمذي) من حديث أبي سعيد الخدري ، قال : صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً صلاة العصر بنهار ثم قام خطيباً فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به . حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ، وهذه الأحاديث كلها محمولة على ما ثبت في الصحيحين من أحاديث الفتن والإشراط لا غير لإنه المعهود من الشارع ﷺ في أمثال هذه العمومات وهذه الزيادة التي تفرد بها أبو داود في هذا الطريق شاذة منكرة مع أن الأئمة اختلفوا في رجاله . فتضعف هذه الزيادة التي وقعت لأبي داود في هذا الحديث من هذه الجهات مع شذوذها .

وقال الحافظ الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : وأما اختلاف الناس في التاريخ فإن اليهود يقولون الدنيا أربعة آلاف سنة ، والنصارى يقولون : الدنيا خمسة آلاف سنة ، وأما نحن ، يعني أهل الاسلام ، فلا نقطع على علم عدد معروف عندنا .

ومن ادعى في ذلك سبعة آلاف أو أكثر أو أقل فقد قال : ما لم يأتِ قط عن رسول الله ﷺ فيه لفظة تصح ، بل صح عنه ﷺ خلافه ، بل نقطع على أن للدنيا أمداً لا يعلمه إلا الله تعالى .

قال الله تعالى : ﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم ﴾ (١) ..

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ٥١ .

وقال رسول الله ﷺ : « ما أنتم في الأمم قبلكم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود أو الشعرة السوداء في الثور الأبيض » .

وهذه نسبة من تدبرها وعرف مقدارعدد أهل الاسلام ونسبة ما بأيديهم من معمور الأرض ، وأنه الأكثر علم أن للدنيا أمداً لا يعلمه إلا الله .

وكذلك قوله عليه السلام : « بُعثت أنا والساعة كهاتين » وضم إصبعيه المقدستين ، السبابة والوسطى .

وقد جاء النص بأن الساعة لا يعلم متى تكون إلا الله تعالى لا أحد سواه ، فصح أنه ﷺ إنما عنى شدة القرب لا فضل الوسطى على السبابة ، إذ لو أراد ذلك لأخذت نسبة ما بين الاصبعين ، ونسب من طول الاصبع فكان يعلم بذلك متى تقوم الساعة ، وهذا باطل ، وأيضاً ؛ فكان تكون نسبته ﷺ إيانا إلى من قبلنا بأننا كالشعرة في الثور كذباً ومعاذ الله من ذلك ، فصح أنه عليه السلام إنما أراد شدة القرب وله ﷺ منذ بعث أربعمائة عام ونيف ، والله تعالى أعلم بما بقي للدنيا ، فإذا كان هذا العدد العظيم لا نسبة له عندما سلف لقلته وتفاهته بالاضافة إلى ما مضى فهو الذي قاله ﷺ من أننا فيمن مضى كالشعرة في الثور أو الرقمة في ذراع الحمار .

وقد رأيت بخط الأمير أبي محمد عبد الله بن الناصر ، قال : حدثني محمد بن معاوية القرشي أنه رأى بالهند بلداً له اثنتان وسبعون ألف سنة .

وقد وجد محمود بن سبكتكين بالهند مدينة يؤرخون بأربعمائة ألف سنة .

قال أبو محمد : إلا أن لكل ذلك أولاً ولا بد نهاية لم يكن شيء من العالم موجوداً قبله ولله الأمر من قبل ومن بعد ، والله أعلم ، انتهى .

وهذا ناظر في طول أمد الدنيا ، ولعل المراد بهذه المدينة بالهند بلدة « قنوج » بزنة سنور التي فتحها السلطان محمود ، وهي من المدائن القديمة

لمملكة الهند ودار حكومتها ، ولا يعرف بلد أقدم زماناً منها في أرض الهند وتتلوها في القدم بلدة (أجودهيا) التي يقال لها الآن « فيض آباد » وهي بلدة دارسة جداً حتى يقال أن بها قبر شيث بن آدم عليه السلام، والله أعلم .

وقنوج هذه كانت مسقط رأسي وملعب أترابي ومجمع ناسي ومغنى عشيرتي وحامتي وموطن خاصّي وعامّي منذ ثلاثمائة سنة تقريباً ، ثم درج الآباء والأمهات في خبر كان ولم يبق منهم أثر ولا عيان .

شرّقني غرّبني أخرجني عن وطني
فإن تغيبتُ بدا وإن بدا غيّبني

فهي اليوم يلمع وموضع بلقع بما حل بها من ريب المنون وحوادث الدهر الخؤون ، فمات أهلها ، وخربت ديارها ، وتغيرت أحوالها ، وعفى اسمها ، ولم يبق منها إلا رسمها .

وبادوا فلا مخبر عنهم وماتوا جميعاً وهذا الخبرُ
فمن كان ذا عبرةٍ فليكن فطيناً ففي من مضى معتبرُ
وكان لهم أثرٌ صالحٌ فأينَ همُ ثم أين الأثرُ

ويقال : إنها من المؤتفكات ، وليس بها الآن إلا عوامّ الناس صفر الايدي من العلم والكمال والصفراء والبيضاء كأنهم أموات غير أحياء أو صخور صماء .

وبلدةٌ ليس بها أنيسٌ إلاّ اليعافير وإلا العيسُ

وإلا ما كان يفنيها البلاء وكاد يمحو رسمها الفناء والعدم .

وما الناسُ بالناسِ الذينَ عهدتهم وما الدار بالدارِ التي كنتُ تعرفُ

فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، وإنّا إلى ربنا لراغبون ، هذا وقد ذكرنا في كتابنا « حجج الكرامة في آثار القيامة » كلاماً أبسط من ذلك في بيان أمد الدنيا وعمر العالم وطرفاً من حال قنوج وأهلها .

ذكر امم العالم وإختلاف اجيالهم والكلام على الجملة في انسابهم

اعلم أن الله سبحانه وتعالى اعتمر هذا العالم بخلقه ، وكرم بني آدم باستخلافهم في أرضه ، وبثهم في نواحيها لتمام حكمته ، وخالف بين أممهم وأجيالهم إظهاراً لآياته فيتعارفون بالأنساب ، ويختلفون باللغات والألوان ، ويتمايزون بالسير والمذاهب والأخلاق ، ويفترقون بالنحل والأديان والأقاليم والجهات .

فمنهم العرب والفرس والروم وبنو إسرائيل والبربر ومنهم الصقالبة والحبش والزنج .

ومنهم أهل الهند والسند وأهل بابل واليهود والصين وأهل اليمن وأهل مصر وأهل المغرب ،

ومنهم المسلمون والنصارى واليهود والصابئة والمجوس ومنهم أهل الوبر وهم أصحاب الخيام والحلل وأهل المدر وهم أصحاب المجاشر والقرى والأطم .

ومنهم البدو الظواهر والحضر الأهلون .

ومنهم العرب أهل البيان والفصاحة ، والعجم أهل الرطانة بالعبرانية والفارسية والافريقية واللطينية والبربرية والهندية ، خالف أجناسهم وأحوالهم وألسنتهم وألوانهم ، ليتم أمر الله تعالى في اعتمار أرضه بما يتوزعونه من وظائف الرزق وحاجات المعاش بحسب خصوصياتهم ونحلهم ،

فتظهر آثار القدرة وعجائب الصنعة وآيات الوحدانية ﴿ إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾(١).

وأن الامتياز بالنسب أضعف المميزات لهذه الأجيال والأمم لخفائه واندراسه بدروس الزمان وذهابه ، ولهذا كان الاختلاف كثيراً ما يقع في نسب الجيل الواحد ، أو الأمة الواحدة ، إذا اتصلت مع الأيام وتشعب بطونها على الأحقاب كما وقع في نسب كثير من أهل العالم مثل : اليونانيين ، والفرس ، والبربر ، وقحطان من العرب ، فإذا اختلفت الأنساب واختلفت فيها المذاهب وتباينت الدعاوى استظهر كل ناسب على صحة ما ادعاه بشواهد الأحوال ، والمتعارف من المقارنات في الزمان والمكان ، وما يرجع إلى ذلك من خصائص القبائل وسمات الشعوب والفرق التي تكون فيهم منتقلة متعاقبة في بنيهم .

وسئل مالك رحمه الله تعالى عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فكره ذلك وقال : من أين يعلم ذلك ؟ فقيل له : فمن اسماعيل . فأنكر ذلك وقال : من يخبره به ؟

وعلى هذا درج كثير من علماء السلف ، وكره أيضاً أن يرفع في انساب الأنبياء مثل أن يقال ابراهيم بن فلان بن فلان. وقال : من يخبره به ؟ وكان بعضهم إذا تلا قوله تعالى ﴿ والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله ﴾ (٢) قال : كذب النسابون واحتجوا أيضاً بحديث ابن عباس انه ﷺ لما بلغ نسبه الكريم إلى عدنان قال : « من هاهنا كذب النسابون » واحتجوا أيضاً بما ثبت فيه أنه علم لا ينفع وجهالة لا تضر إلى غير ذلك من الاستدلالات .

وذهب كثير من أئمة المحدثين والفقهاء مثل ابن إسحاق والطبري والبخاري إلى جواز الرفع في الأنساب ، ولم يكرهوه محتجين بعمل السلف ، فقد كان أبو بكر رضي الله عنه أنسب قريش لقريش ومضر بل ولسائر

---

(١) سورة الروم ، الآية : ٢٢ .

العرب ، وكذا ابن عباس وجبير بن مطعم وعقيل بن أبي طالب وكان من بعدهم ابن شهاب والزهري وابن سيرين وكثير من التابعين .

قالوا : وتدعو الحاجة اليه في كثير من المسائل الشرعية مثل تعصيب الوراثة ، وولاية النكاح ، والعاقلة في الديات ، والعلم بنسب النبي ﷺ ، وأنه القرشي الهاشمي الذي كان بمكة وهاجر إلى المدينة ، فإن هذا من فروض الإيمان ولا يعذر الجاهل به ، وكذا الخلافة عند من يشترط النسب فيها ، وكذا من يفرق في الحرية والاسترقاق بين العرب والعجم ، فهذا كله يدعو إلى معرفة الأنساب ويؤكد فضل هذا العلم وشرفه فلا ينبغي أن يكون ممنوعاً .

وأما حديث ابن عباس من هاهنا كذب النسابون يعني من عدنان . فقد أنكر السهيلي روايته من طريق ابن عباس مرفوعاً وقال الأصح أنه موقوف على ابن مسعود وخرج السهيلي عن أم سلمة أن النبي ﷺ قال : « معد بن عدنان بن أدد بن زيد بن البري بن اعراق الثرى » .

قال : وفسرت أم سلمة زيداً بأنه الهميسع والبري أنه نبت أو نابت واعراق الثرى بأنه اسماعيل ، واسماعيل هو ابن ابراهيم ، وابراهيم لم تأكله النار كما لا تأكل الثرى .

ورد السهيلي تفسير أم سلمة وهو الصحيح ،وقال : إنما معناه معنى قوله ﷺ « كلكم بنو آدم وآدم من تراب » ، لا يريد أن الهميسع ومن دونه ابن لاسماعيل لصلبه وعضد ذلك باتفاق الأخبار على بعد المدة بين عدنان واسماعيل التي تستحيل في العادة أن يكون فيما بينهما أربعة آباء ، أو سبعة ، أو عشرة ، أو عشرون ، لأن المدة أطول من هذا كله كما ذكر في نسب عدنان ، فلم يبق في الحديث متمسك لأحد من الفريقين .

وأما ما رووه من أن النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر ، فقد ضعف الأئمة رفعه إلى النبي ﷺ مثل الجرجاني وأبي محمد بن حزم ، وأبي عمر بن عبد البر .

والحق في الباب أن كل واحد من المذهبين ليس على اطلاقه ، فإن

الأنساب القريبة التي يمكن التوصل إلى معرفتها لا يضر الاشتغال بها لدعوى الحاجة اليها في الأمور الشرعية من التعصيب والولاية والعاقلة وفرض الإيمان بمعرفة النبي ﷺ ، ونسب الخلافة والتفرقة بين العرب والعجم في الحرية والاسترقاق عند من يشترط ذلك ، كما مر كله .

وفي الأمور العادية أيضاً تثبت به اللحمة الطبيعية التي تكون بها المدافعة والمطالبة ومنفعة ذلك في إقامة الملك والدين ظاهرة .

وقد كان ﷺ وأصحابه ينسبون إلى مضر ويتساءلون عن ذلك ؛ وروي عنه ﷺ أنه قال : « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم » .

وهذا كله ظاهر في النسب القريب ، وأما الأنساب البعيدة العسرة المدرك التي لا يوقف عليها إلا بالشواهد والمقارنات لبعد الزمان وطول الأحقاب إذ لا يوقف عليها رأساً لدروس الأجيال ، فهذا قد ينبغي أن يكون له وجه في الكراهة كما ذهب اليه من ذهب من أهل العلم ، مثل : مالك وغيره لأنه شغل الانسان بما لا يعنيه ، وهذا وجه قوله ﷺ فيما بعد عدنان من هنا كذب النسابون لأنها أحقاب متطاولة ومعالم دراسة لا تثلج الصدور باليقين في شيء منها مع أن علمها لا ينفع وجهلها لا يضر كما نقل ، والله الهادي إلى الصواب .

ولنأخذ الآن في الكلام في أنساب العالم على الجملة ، ونترك تفصيل كل واحد منها إلى مكانه .

فنقول : إن النسابين كلهم اتفقوا على أن الأب الأول للخليقة فهو آدم عليه السلام كما وقع في التنزيل إلا ما يذكره ضعفاء الاخباريين من أن (الحن) و (الطم) أمتان كانتا فيما زعموا من قبل آدم وهو ضعيف متروك .

وليس لدينا من أخبار آدم وذريته إلا ما وقع في المصحف الكريم وهو معروف بين الأئمة ، واتفقوا على أن الأرض عمرت بنسله أحقاباً واجيالاً بعد أجيال إلى عصر نوح عليه السلام وأنه كان فيهم أنبياء مثل : شيث وادريس ، وملوك في تلك الأجيال معدودون وطوائف مشهورون

بالنحل مثل : الكلدانيين ومعناه الموحدون ، ومثل : السريانيين وهم المشركون . وزعموا أن أمم الصابئة منهم ، وأنهم من ولد صابئ بن لمك بن أخنوخ ، وكان نحلتهم في الكواكب والقيام لهياكلها واستنزال روحانيتها ، وأن من حزبهم الكلدانيين أي الموحدين .

وقد ألف أبو إسحاق الصابئ الكاتب مقالة في أنسابهم ونحلتهم ، وذكر أخبارهم أيضاً داهر مؤرخ السريانيين والبابا الصابئ الحراني ، وذكروا استيلاءهم على العالم وجملاً من نواميسهم ، وقد اندرسوا وانقطع أثرهم .

وقد يقال أن السريانيين من أهل تلك الأجيال وكذلك النمرود والازدهاق وهو المسمى بالضحاك من ملوك الفرس ، وليس ذلك بصحيح عند المحققين . واتفقوا على أن الطوفان الذي كان في زمن نوح وبدعوته ذهب بعمران الأرض أجمع بما كان من خراب المعمور وهلك الذين ركبوا معه في السفينة ولم يعقبوا ، فصار أهل الأرض كلهم من نسله ، وعاد أبا ثانيا للخليقة وهو : نوح بن لامك ، ويقال لمك بن متوشلح بن أخنوخ ويقال أخنوخ ويقال أشنخ ويقال أخنخ وهو إدريس النبي فيما قاله ابن إسحاق بن برد ويقال بيرد بن مهلائيل ، ويقال ماهلايل ابن قاين ، ويقال قينن بن أنوش ، ويقال يانش بن شيث بن آدم ، ومعنى شيث عطية الله ، هكذا نسبه ابن إسحاق وغيره من الأئمة ، وكذا وقع في التوراة نسبه ، وليس فيه اختلاف بين الأئمة .

ونقل ابن إسحاق أن خنوخ الواقع اسمه في هذا النسب هو : ادريس النبي ، وهو خلاف ما عليه الأكثر من النسابين ، فإن ادريس عندهم ليس بجد لنوح ، ولا في عمود نسبه .

وقد زعم الحكماء الأقدمون أيضاً أن إدريس هو : هرمس المشهور بالإمامة في الحكمة عندهم .

وكذلك يقال : أن الصابئة من ولد صابئ بن لامك وهو أخو نوح ، وقيل : أن صابئ متوشلخ جده .

واعلم ، أن الخلاف الذي في ضبط هذه الأسماء ، إنما عرض في مخارج الحروف ، فإن هذه الأسماء إنما أخذها العرب من أهل التوراة . ومخارج الحروف في لغتهم غير مخارجها في لغة العرب ، فإذا وقع الحرف متوسطاً بين حرفين من لغة العرب فتردده العرب تارة إلى هذا وتارة إلى هذا ، وكذلك إشباع الحركات قد تحذفه العرب إذا نقلت كلام العجم ، فمن ههنا اختلف الضبط في هذه الأسماء .

واعلم أن الفرس والهند لا يعرفون الطوفان ، وبعض الفرس يقولون : كان ببابل فقط ، وأن آدم هو كيومرت ، وهو نهاية نسبهم فيما يزعمون ، وأن افريدون الملك في آبائهم هو نوح ، وأنه بعث لازدهاق وهو الضحاك ، فلبسه الملك وقبله كما ذكروه في أخبارهم ، وقد تترجح صحة هذه الأنساب من التوراة ، وكذلك قصص الأنبياء الأقدمين إذ أخذت عن مسلمي يهود ، أو من نسخ صحيحة من التوراة ، ويغلب على الظن صحتها ، وقد وقعت العناية في التوراة بنسب موسى عليه السلام وإسرائيل وشعوب الأسباط ونسب ما بينهم وبين آدم صلوات الله عليه ، والنسب والقصص أمر لا يدخله النسخ فلم يبق تحري النسخ الصحيحة والنقل المعتبر .

وأما ما يقال من أن علماءهم بدلوا مواضع من التوراة بحسب أغراضهم في ديانتهم ، فقد قال ابن عباس على ما نقل عنه البخاري في صحيحه : أن ذلك بعيد ، وقال : معاذ الله أن تعمد أمة من الأمم إلى كتابها المنزل على نبيها فتبدله أو ما في معناه . قال : وإنما بدلوه وحرفوه بالتأويل ويشهد لذلك قوله تعالى : ﴿ وعندهم التوراة فيها حكم الله ﴾[1] ولو بدلوا من التوراة ألفاظها لم يكن عندهم التوراة التي فيها حكم الله ، وما وقع في القرآن الكريم من نسبة التحريف والتبديل فيها إليهم ، فإنما المعنى به التأويل ، اللهم إلا أن يطرقها التبديل في الكلمات على طريق الغفلة ، وعدم الضبط وتحريف من لا يحسن الكتابة بنسخها ، فذلك يمكن في العادة لا سيما وملكهم قد ذهب ، وجماعتهم انتشرت في الآفاق ، واستوى الضابط منهم وغير الضابط ، والعالم والجاهل ، ولم يكن وازع

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤٣ .

يحفظ لهم ذلك لذهاب القدرة بذهاب الملك ، فتطرق من أجل ذلك إلى صحف التوراة في الغالب تبديل وتحريف غير معتمد من علمأيهم وأحبارهم .

ويمكن مع ذلك الوقوف على الصحيح منها إذا تحرى القاصد لذلك بالبحث عنه ، ثم اتفق النسابون ونقله المفسرون على أن ولد نوح الذين تفرعت الأمم منهم ثلاثة (سام) و (حام) و (يافث) وقد وقع ذكرهم في التوراة ، وأن يافث أكبرهم ، وحام الأصغر ، وسام الأوسط .

وخرج الطبري في الباب أحاديث مرفوعة بمثل ذلك ، وأن سام : أبو العرب ، ويافث : أبو الروم ، وحام : أبو الحبش والزنج ، وفي بعضها : السودان ، وفي بعضها : سام أبو العرب ، وفارس والروم ويافث : أبو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج ، وحام : أبو القبط والسودان والبربر .

ومثله عن ابن المسيب ووهب بن منبه .

وهذه الأحاديث وإن صحت فإنما الأنساب فيها مجملة ، ولا بد من نقل ما ذكره المحققون في تفريغ أنساب الأمم من هؤلاء الثلاثة واحداً واحداً .

وكذلك نقل الطبري : أنه كان لنوح ولد اسمه كنعان ، وهو الذي هلك في الطوفان . قال : وتسميه العرب (يام) ؛ وآخر مات قبل الطوفان اسمه (عابر) .

وقال هشام : كان له ولد اسمه (بوناطر) ، والعقب إنما هو من الثلاثة على ما أجمع عليه الناس وصحت به الأخبار .

فأما سام :

فمن ولده العرب على اختلافهم ، وإبراهيم وبنوه صلوات الله عليهم باتفاق النسابين والخلاف بينهم إنما هو في تفاريع ذلك أو في نسب غير العرب إلى سام .

فالذي نقله ابن اسحاق : أن سام بن نوح كان له من الولد خمسة

وهم : (أرفخشد) و (ارم) و (لاوذ) و (اشود) و (غليم) ، وكذا وقع ذكر هذه الخمسة في التوراة ، وان بني اشوذ أهل الموصل ، وبني غليم أهل خوزستان ومنها الأهواز ، ولم يذكر في التوراة ولد لاوذ .

وقال ابن اسحاق : وكان للاوذ أربعة من الولد وهم : (طسم) و (عمليق) و (جرجان) و (فارس) . قال : ومن العماليق امة جاسم فمنهم : بنو لف ، وبنو هزان ، وبنو مطر ، وبنو الأزرق . ومنهم: بديل ، وراحل ، وظفار . ومنهم : الكنعانيون ، وبرابرة الشام ، وفراعنة مصر .

وعن غير ابن اسحاق : أن عبد بن ضخم وأميم من ولد لاوذ .

قال إبن اسحاق : وكانت طسم ، والعماليق ، وأميم ، وجاسم يتكلمون بالعربية ، وفارس يجاورونهم إلى المشرق ويتكلمون بالفارسية ، قال : ولد أرم (عوص) و (كاثر) و (عبيل) . ومن ولد عوص عاد ومنزلهم بالرمال والأحقاف إلى حضرموت ، ومن ولد كاثر ثمود ، وجديس ، ومنزل ثمود بالحجر بين الشام والحجاز .

وقال هشام بن الكلبي : عبيل بن عوص أخو عاد .

وقال ابن حزم عن قدماء النسابين : أن لاوذ هو ابن إرم بن سام أخو عوص وكاثر .

قال : فعلى هذا يكون جديس وثمود أخوين ، وطسم وعملاق أخوين أبناء عم لحام ، وكلهم بنو عم عاد ، قال : ويذكرون أن عبد بن ضخم ابن إرم وأن أميم ابن عاد بن ارم .

قال الطبري : وفهم الله لسان العربية عاد وثمود وعبيل وطسم وجديس وأميم وعمليق وهم العرب العاربة ، وربما يقال أن من العرب العاربة (يقطن) أيضاً ويسمون أيضاً العرب البائدة ، ولم يبق على وجه الأرض منهم أحد .

قال : وكان يقال : عاد ارم ، فلما هلكوا قيل : ثمود إرم ، ثم هلكوا فقيل : لسائر ولد ارم : ارمان وهم النبط .

وقال هشام بن محمد الكلبي : إن النبط بنو نبيط بن ماش بن ارم ، والسريان بنو سريان بن نبط ، وذكر أيضاً أن فارس من ولد اشوذ بن سام ، وقال فيه فارس بن طبراش بن أشوذ ، وقيل : امهم من أميم بن لاوذ ، وقيل : ابن غليم .

وفي التوراة ذكر ملك الأهواز واسمه : (كرد) لا عمرو من بني غليم والأهواز متصلة ببلاد فارس ، فلعل هذا القائل ظن أن أهل الأهواز هم فارس ، والصحيح أنهم من ولد يافث .

وقال أيضاً أن البربر من ولد عمليق بن لاوذ ، وأنهم بنو تميلة من مارب بن قاران بن عمرو بن عمليق ، والصحيح أنهم من كنعان بن حام ، وذكر في التوراة ولد ارم أربعة : عوص وكاثر وماش ويقال : مشح والرابع حول ، ولم يقع عند بني إسرائيل في تفسير هذا شيء إلا أن الجرامقة من ولد كاثر ، وقد قيل أن الكرد والديلم من العرب ، وهو قول مرغوب عنه .

وقال ابن سعيد : كان لأشوذ أربعة من الولد : ايران ونبيط وجرموق وباسل ، فمن ايران : الفرس والكرد والخزر ، ومن نبيط : النبط والسريان ، ومن جرموق : الجرامقة وأهل الموصل ، ومن باسل : الديلم وأهل الجبل .

قال الطبري : ومن ولد أرفخشد : العبرانيون وبنو عامر بن شالخ ابن ارفخشد ، وهكذا نسبه في التوراة وفي غيرها أن شالخ بن قينن بن ارفخشد ، وإنما لم يذكر قينن في التوراة لأنه كان ساحراً ، وادعى الألوهية ، وعند بعضهم أن النمرود من ولد ارفخشد وهو ضعيف .

وفي التوراة أن عابر ولد اثنين من الولد هما قانع ويقطن وعند المحققين من النسابة أن يقطن هو قحطان عربته العرب هكذا ، ومن قانع ابراهيم عليه السلام وشعوبه ومن يقطن شعوب كثيرة .

ففي التوراة ذكر ثلاثة من الولد له وهم : المرذاذ ومعرّبه ومضاض ، وهم : جرهم وارم ، وهم : حضور وسالف ، وهم : أهل السلفات

وسبأ ، وهم : أهل اليمن من حمير والتبابعة وكهلان وهدرماوت ، وهم : حضرموت هؤلاء خمسة وثمانية أخرى ننقل إسماءهم وهـي : عبرانية ، ولم نقف على تفسير شيء منها ، ولا يعلم من أي البطون هم ، وهم : (بباراح) و (أوزال) و (دفلا) و (عوثال) و (افيمايل) و (ايوفير) و (حويلا) و (يوقاف) .

وعند النسابين أن جرهم من ولد يقطن فلا أدري من أيهم .

وقال هشام بن الكلبي : أن الهند والسند من نوفير بن يقطن ، والله أعلم .

وأما يافث :

فمن ولده الترك والصين والصقالبة ويأجوج ومأجوج باتفاق من النسابين ، وفي آخرين خلاف . وكان له من الولد على ما وقع في التوراة سبعة وهم : (كومر) و (ياوان) و (ماذاي) و (ماغوغ) و (قطوبال) و (ماشخ) و (طيراش) وعدهم ابن إسحاق هكذا ، وحذف ماذاي ولم يذكر كومر وتوغرما واشبان وريغاث هكذا في نص التوراة .

ووقع في الاسرائيليات أن توغرما هم : الخزر ، وأن أشبان هم : الصقالبة ، وأن ريغات هم : الافرنج ، ويقال لهم : برنسوس ، والخزر هم : التركمان وشعوب الترك كلهم من بني كومر ، ولم يذكروا من أي الثلاثة هم ؛ والظاهر أنهم من توغرما ونسبهم ابن سعيد إلى الترك ابن ماموربن سويل بن يافث ، والظاهر أنه غلط وأن عامور هو كومر صحف عليه ، وهم أجناس كثيرة منهم : الطغرغر وهم التتر والخطا ، وكانوا بأرض طمغاج والخزلقية والغز الذين كان منهم : السلجوقيـة والهياطلة الذين كان منهم : الخلج . ويقال للهياطلة : الصغد أيضاً .

ومن أجناس الترك الغور والخرز والقفجاق ، ويقال : الخفشاخ ، ومنهم : يمك والعلان ويقال : اللاز ، ومنهم : الشركس وازكش ، ومن ماغوغ عند الاسرائيليين : يأجوج ومأجوج .

وقال ابن إسحاق : أنهم من كومر ، ومن ماذاي الديلم ، ويسمون في اللسان العبراني (ماهان) ، ومنهم أيضاً : همذان ، وجعلهم بعض الاسرائيليين من بني همذان بن يافث ، وعد همذان ثامناً للسبعة المذكورين من ولده ، وأما ياوان واسمه يونان فعند الاسرائيليين أنه كان له من الولد أربعة وهم : داورين واليشا وكيتّم وترشيش ، وأن كيتّم من هؤلاء الأربعة هو أبو الروم والباقي يونان وأن ترشيش أهل طرطوس ، وأما قطوبال فهم أهل الصين من المشرق واللمان المغرب ، ويقال أن أهل افريقية قبل البربر منهم ، وأن الافرنج أيضاً منهم .

ويقال أيضاً أن أهل الأندلس قديماً منهم ، وأما ماشخ فكان ولده عند الاسرائيليين بخراسان وقد انقرضوا لهذا العهد فيما يظهر وعند بعض النسابين أن الاشبان منهم ، وأما طيراش فهم الفرس عند الاسرائيليين وربما قال غيرهم أنهم من كومر ، وأن الخزر والترك من طيراش وأن الصقالبة وبرجان والأشبان من ياوان ، وأن يأجوج ومأجوج من كومر وهي كلها مزاعم بعيدة عن الصواب .

وقال اهردشيوش ، مؤرخ الروم ، أن القوط واللطين من ماغوغ وهذا آخر الكلام في أنساب يافث والله أعلم .

وأما حام :

فمن ولده السودان والهند والسند والقبط وكنعان باتفـــاق ، وفي آخرين خلاف .

وكان له على ما وقع في التوراة أربعة من الولد ، وهم : مصر ويقول بعضهم مصرايم وكنعان وكوش وقوط . فمن ولد مصر عند الاسرائيليين فتروسيم وكسلوحيم ووقع في التوراة فلشنين منهما معاً ولم يتعين من أحدهما وبنو فلشنين الذين كان منهم جالوت ومن ولد مصر عندهم كفتورع ويقولون هم أهل دمياط ، ووقع الانقلوس بن أخت قيطش الذي خرب القدس في الجلوة الكبرى على اليهود وقال أن كفتورع هو قبطفاي ، ويظهر من هذه الصيغة أنهم القبط لما بين الاسمين من الشبه . ومن ولد

مصر عناميم وكان لهم نواحي اسكندرية وهم أيضاً يفتوحيم ولوديم ولهابيم ولم يقع الينا تفسير هذه الأسماء .

وأما كنعان بن حام :

فذكر من ولده في التوراة أحد عشر منهم : صيدون ولهم ناحية صيداء ، وايموري وكرساش وكانوا بالشام وانتقلوا عندما غلبهم عليه يوشع إلى افريقية فأقاموا بها ، ومن كنعان أيضاً بيوسا وكانوا ببيت المقدس وهربوا أمام داود عليه السلام حين غلبهم عليه إلى افريقية والمغرب وأقاموا بها . والظاهر أن البربر من هؤلاء المنتقلين أولاً وآخراً ، إلا أن المحققين من نسابهم على أنهم من ولد مازيغ بن كنعان فلعل مازيغ ينتسب إلى هؤلاء ، ومن كنعان أيضاً حيث الذين كان ملكهم عوج بن عناق ومنهم عرفان واروادى وخوى ولهم نابلس وسبأ ولهم طرابلس وضمارى ولهم حمص وحماة ولهم انطاكية وكانت تسمى حماة باسمهم . وأما كوش بن حام فذكر له في التوراة خمسة من الولد وهم : سفتا وسبأ وجويلا ورعما وسفخا . ومن ولد رعما شاد ، وهم : السند . ودادان وهم : الهند وفيها أن النمرود من ولد كوش ولم يعينه ، وفي تفاسيرها أن جويلا زويلة وهم أهل برقة ، وأما أهل اليمن من ولد سبأ وأما قوط فعند أكثر الاسرائيليين أن القبط منهم .

ونقل الطبري عن ابن إسحاق أن الهند والسند والحبشة من بني السودان من ولد كوش ، وأن النوبة وقزان وزغاوه والزنج منهم من كنعان .

وقال ابن سعيد : أجناس السودان كلهم من ولد حام ، ونسب ثلاثة منهم إلى ثلاثة سماهم من ولده غير هؤلاء : الحبشة إلى حبش والنوبة إلى نوابة أو نوى والزنج إلى زنج ، ولم يسم أحداً من أباء الأجناس الباقية . وهؤلاء الثلاثة الذين ذكروا لم يعرفوا من ولد حام فلعلهم من أعقابهم أو لعلها أسماء أجناس .

وقال هشام بن محمد الكلبي : أن النمرود هو ابن كوش بن كنعان .

وقال اهردشيوش ، مؤرخ الروم : أن سبأ وأهل افريقية يعني البربر ، من جويلا بن كوش ويسمى يضول وهذا والله أعلم غلط لأنه مران يضول في التوراة من ولد يافث ولذلك ذكر أن حبشة المغرب من دادان بن رعما من ولد مصر بن حام بنو قبط بن لاب بن مصر ؛ انتهى الكلام في بني حام .

وهذا آخر الكلام في أنساب أمم العالم على الجملة والخلاف الذي في تفاصيلها ذكره ابن خلدون في أماكنه ، والله ولي العون والتوفيق .

ذكر طرف من تاريخ بعض الرسل والأمم الماضية

اعلم أن للناس في العالم مذاهب ثلاثة : « الحدوث » ؛ وهو مذهب أهل الملل والمجوس وغيرهم . « والقدم المطلق » ؛ أي قدم أصول هذا العالم من الأفلاك ومواد العناصر وأنواع صورها على الاتصال بلا انقطاع ، وهو مذهب الفلاسفة والآباديين ، وهم قوم من أوائل الفرس يدعون أن مبدأ نوعهم وقدوة دينهم رجل اسمه « مه آباد » وأنزل عليه كتاب اسمه « دساتير » بالفارسية . و « القدم بالنوع والحدوث بالشخص » ؛ وهو مذهب الهنود .

وهذه الاحتمالات بعينها تجري في نوع الانسان ، إذا أقمنا وجود هذا النوع على الاتصال مقام الوجود الشخصي ، والتجدد في الأعيان مع الانقطاع مقام القدم النوعي ، وعلى تقدير الحدوث هذا النوع الموجود مختلف في بدايته على أقوال لا يمكن الجمع بينها ؛ وأصحاب هذا الرأي المسلمون واليهود والنصارى والمجوس والترك والافرنج قبل ظهـــور النصرانية فيهم ، والمنقح عند جميع اليهود والمسلمين ما صور في كتابي تقويم التواريخ ، وتاريخ بيت المقدس ، للناصر مجير الدين عبد الرحمن العلمي الحنبلي العمري ، صنفه في آخر سنة تسعمائة .

وقد وقع في الكتابين في بعض المواضع تفاوت قليل ، تارة في التعرض والترك وتارة في الرقوم . وإني قد جمعت ذلك مع زيادة فائدة على ما فيهما وأشرت إلى مواضع الاختلاف ، وجعلت مبدأ التاريخ على ما في الكتابين هبوط آدم أبي البشر عليه السلام ، والظاهر أنه وقت الخلقة والله أعلم ، ولكنهما اعتبراه من وقت الهبوط ولم يتعرضا لما بين الخلقة

والهبوط من المدة وكذا صنع غيرهما في غيرهما فأقول : « هبوط آدم أبي البشر عليه السلام » كان وقت العصر يوم الجمعة ثامن شهر نيسان مطابق لعاشر المحرم في جزيرة سرانديب ، وإنما سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض . وخلق الله جسده وتركه أربعين ليلة ، وقيل : أربعين سنة ملقى بغير روح ، فلما نفخ فيه الروح سجد له الملائكة كلهم أجمعون ﴿ إلا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾[1] وقال : ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾[2] . وكان سجودهم لآدم تحية لا عبادة وكان بوضع الجبهة على الأرض ، كما هو ظاهر النظم القرآني ، لا بالانحناء كما زعم كثير من أهل العلم والتفسير .

وعلم الله آدم الأسماء كلها حتى « القصعة والقصيعة » وخلق الله من ضلعه حواء زوجته وسميت بها لأنها خلقت من شيء حي فقال الله : ﴿ يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾[3] فوسوس لهما الشيطان وأكلا من الشجرة المنهى عنها ﴿ فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾[4] وقال الله : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ﴾[5] وقد اختلف أهل العلم في الجنة التي كان فيها آدم قبل الهبوط هل هي على الأرض أو فوق السماء على قولين ثم اختلفوا في أي موضع كانت من الأرض على أقوال ، واستدل كل قائل بما بدا له من الحجج والأدلة ، وأطال في ذلك كما ذكره الحافظ بن القيم في (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) .

والحق البحث أنه لم يرد في تعيين تلك الجنة نص من الله ولا من رسوله في الكتاب العزيز ، ولا في السنة المطهرة حتى يجب المصير اليه والقول به ، فالأولى في الباب التوقف والسكوت ، والحجة في مثل هذا

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٣٤ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٢ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٣٥ وسورة الأعراف ، الآية : ١٩ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية : ٢٢ .

(٥) سورة البقرة ، الآية : ٣٦ وسورة الأعراف ، الآية : ٢٤ .

المقام ، وهذا المرام ، دلالة العبارة من القرآن والحديث دون اقتضائها وإشارتها . ولما هبط آدم عليه السلام منها إلى الأرض كان له ولدان (هابيل وقابيل) فقتل الثاني الأول .

وتوفي آدم عليه السلام سنة تسعمائة وثلاثين . والظاهر أنه أربعون سنة لأن عمره ألف سنة قمرية وتفاوتها قريب من ثلاثين سنة شمسية ، فهو بالشمسية تسع وتسعون . فمدة المكث في الجنة أربعون سنة والله أعلم .

وكانت ولادة شيث لمضي مائتين وثلاثين سنة من عمر آدم ، وهو وصي آدم وتفسيره هبة الله ، وإلى شيث تنتهي أنساب بني آدم كلهم وولد له أنوش لمضي سنة ٤٣٥ من عمر آدم .

وتقول الصابئة أنه ولد له ابن آخر اسمه صابئ بن شيث واليه تنسب الصابئة ، وولد له قينن لمضي سنة ٦٢٥ من عمر آدم ، وولد له مهلائيل لمضي سنة ٧٩٣ من عمر آدم .

قال ابن الجوزي : أن آدم عند موته كان قد بلغ عدة ولده وولد ولده أربعين ألفاً ، وولد لمهلائيل يرد ، وولد ليرد خنوخ ، ولمضي عشرين سنة من عمر خنوخ توفي شيث وعمره تسعمائة واثنتا عشرة سنة ، وكانت وفاته لمضي سنة ألف ومائة واثنتين وأربعين لهبوط آدم عليه السلام .

وفي تقويم التواريخ بترك مائة واسم شيث عند الصابئة « عاديمون » . وولد لخنوخ متوشلح وتوفي في زمنه أنوش ، وكان له من العمر تسعمائة وخمسون سنة . وولد لمتوشلح لامخ ، ويقال له لامك ولملك وتوفي في زمنه قينن وله تسعمائة وعشر سنين وأما خنوخ وهو ادريس فإنه رفع لما صار له من العمر ثلاثمائة وخمس وستون سنة ، رفعه الله إلى السماء ، فكان ذلك لمضي ثلاث عشرة سنة من عمر لامخ قبل ولادة نوح بمائة وخمس وسبعين سنة وسنة سبع وستين وأربعمائة وألف من هبوط آدم عليه السلام . ونبأ الله ادريس المذكور وانكشفت له الأسرار السماوية وله صحف منها لا ترموا أن تحيطوا بالله خبرة فإنه أعظم وأعلى أن تدركه فطن المخلوقين إلا من آثاره .

وأما متوشلح بن ادريس فإنه توفي لمضي ستمائة من عمر نوح وذلك عند ابتداء مجيء الطوفـــان وكان عمره ٩٦٩ . وولد للامـــخ نوح وكانت ولادته بعد أن مضى ألف وستمائة واثنتان وأربعون سنة من هبوط آدم . وتوفي في زمنه مهلائيل ، وكان له من العمر ٨٩٥ ، وأيضاً يرد وعمره ٩٦٢ . ولما صار لنوح خمسمائة سنة من العمر ولد له سام وحام ويافث . ولما مضى من عمر نوح ستمائة سنة كان الطوفان وذلك لمضي ألفين ومائتين واثنتين وأربعين سنة من هبوط آدم ، وعاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة فكانت جملة ذلك تسعمائة وخمسين سنة ألف سنة إلا خمسين عاماً ؛ وهذا نص المصحف الكريم ، وكذا وقع في التوراة بعينه .

قال ابن الكثير في « الكامل » أن الله تعالى أرسل نوحاً إلى قومه ، وقد اختلف في ديانتهم وأصح ذلك ما نطق به الكتاب العزيز بأنهم كانوا أهل أوثان . ﴿ وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ﴾(١) وصار نوح يدعوهم إلى طاعة الله وهم لا يلتفتون وبقي لا يأتي قرن منهم إلا كان أخبث من الذي قبله فلما طال ذلك عليه شكاهم إلى الله تعالى فأوحى اليه ﴿ أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ﴾(٢) فلما يئس منهم دعا عليهم فقال ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ﴾(٣) فأوحى اليه أن يصنع الفلك وصنع السفينة من خشب الساج فلما فار التنور وكان هو الآية بين نوح وبين ربه ، حمل نوح من أمر الله بحمله ، وكان منهم : سام ، وحام، ويافث ، ونساؤهم ، وقيل حمل أيضاً ستة أناسي ، وقيل ثمانين رجلاً أحدهم جرهم كلهم من بني شيث ، وتخلف عنه ابنه يام وكان كافراً وارتفع الماء وطمى وجعلت الفلك تجري بهم في موج كالجبال ، وعلا الماء على رؤوس الجبال خمس عشرة ذراعاً فهلك ما على وجه الأرض من حيوان ونبات .

---

(١) سورة نوح ، الآيتان : ٢٣ و ٢٤ .
(٢) سورة هود ، الآية : ٣٦ .
(٣) سورة نوح ، الآية : ٢٦ .

وكان بين أن أرسل الله الماء وبين أن غاض ستة أشهر وعشر ليال ، وقيل أن ركوب نوح في الفلك كان لعشر ليال مضت من رجب ، وكان ذلك أيضاً لعشر ليال خلت من آب . وخرج من السفينة يوم عاشوراء من المحرم وكان استقرار السفينة على الجودى من أرض الموصل .

قال ابن الأثير : وأما المجوس فلا يعرفون الطوفان وكان بعضهم يقر به ويزعم أنه كان في إقليم بابل وما قرب منه وأن مساكن ولد خيومرت كانت بالمشرق فلم يصل ذلك اليهم ، وكذلك جميع الأمم المشرقية من الهند والفرس والصين لا يعترفون به ، وبعض الفرس يعترف به . ويقول : لم يكن عاماً ولم يتعد عقبة حلوان والصحيح أن جميع أهل الأرض من ولد نوح لقوله تعالى : ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ [1] فجميع الناس من ولد سام وحام ويافث أولاد نوح ، فسام أبو العرب وفارس والروم ، وحام أبو السودان ، ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج والفرنج والقبط من ولد حام بن نوح ، ولما مضت سنة ثلاثمائة وخمسين للطوفان توفي نوح سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وألفين لهبوط آدم وعمره تسعمائة وخمسون سنة . وهذا على أن المراد بقوله تعالى : ﴿ فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً﴾ [2] جميع عمره عليه السلام والمتبادر من السباق والسياق أنه ما بين البعثة والطوفان والله أعلم .

وولد لسام ارفخشد بعد الطوفان بسنتين ، وولد له قينن لمضي سنة ١٣٧ للطوفان ، وولد له شالخ لمضي سنة ٢٧٦ من الطوفان ، وولد له عابر لمضي سنة ٤٦٦ للطوفان ، وولد له فانع لمضي سنة ٥٤٠ للطوفان ثم ولد لفانع رعـــو وعند مولـــده تبلبلت الألسن وقسمت الأرض وتفرقت بنو نوح وذلك لمضي سنة ٦٧٠ للطوفان وولد لرعو ساروع بعد مضي سنة ٨٠٢ ، وولد له ناحور لمضي سنة ٩٣٢ للطوفان ، وولد له تارخ لمضي إحدى عشرة وألف سنة للطوفان ، وولد له ابراهيم الخليل

(١) سورة الصافات ، الآية : ٧٧ .
(٢) سورة العنكبوت ، الآية : ١٤ .

عليه السلام وذلك لمضي ألف وإحدى وثمانين سنة للطوفان وسنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وثلاثة آلاف من هبوط آدم عليه السلام .

ومن الغريب الواقع في التوراة أن عمر ابراهيم كان يوم وفاة نوح ثلاثة وخمسين سنة فيكون لقي نوحاً وخالطه وأخذ عنه ، وهو على رأي بعضهم أب لجميع الشعوب من بعده ، فلذلك كان الأب الثالث للخليقة من بعد آدم ونوح وعلى هذا جملة السنين من الطوفان إلى ولادة ابراهيم مائتان وسبع وتسعون سنة ، وعمر نوح بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسون سنة .

وأما سبب تبلبل الألسن :

فقد ذكر أبو عيسى أن بني نوح الذين نشوا بعد الطوفان اجتمعوا على بناء حصن يتحرزون به خوفاً من مجيء الطوفان مرة ثانية ، والذي وقع رأيهم عليه أن يبنوا صرحاً شامخاً يبلغ رأسه السماء ، فجعلوا له اثنين وسبعين برجاً ، وجعلوا على كل برج كبيراً منهم يستحث على العمل ، فانتقم الله منهم ، وبلبل ألسنتهم إلى لغات شتى ، ولم يوافقهم عابر على ذلك واستمر على طاعة الله تعالى فبقاه الله تعالى على اللغة العبرانية ولم ينقله عنها. ولما افترقت بنو نوح صار لولد سام العراق وفارس وما يلي ذلك إلى الهند ، وصار لولد حام الجنوب ممـــا يلي مصر على النيل وكذلك مغرباً إلى أقصاه ، وصار لولد يافث مما يلي بحر الخزر وكذلك مشرقاً إلى جهة الصين ، وكانت شعوب أولاد نوح الثلاثة عند تبلبـــل الألسن اثنين وسبعين شعباً (هود) و (صالح) وهما نبيان أرسلا بعد نوح وقبل ابراهيم الخليل .

أما هود فقيل أنه عابر بن شالح وأرسل إلى عاد وكانوا أهل أصنام ثلاثة ، وكان عاد وثمود جبارين طوال القامات كما قال تعالى ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة ﴾[1] وبقي

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٦٩ .

هود بعد هلاك عاد كذلك حتى مات وقبره بحضرموت وقيل بالحجر من مكة .

وأما صالح فأرسله الله إلى ثمود وهو ابن عبيد بن أسف بن ماشج وكان مسكن ثمود بالحجر فلم يؤمن به إلا قليل وعقروا الناقة فأهلكهم الله تعالى ﴿ فأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾[١] وصار صالح إلى فلسطين ثم انتقل إلى الحجاز يعبد الله ، إلى أن مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة وولد ابراهيم بالأهواز وقيل ببابل وهي العراق ، وكان نمرود عاملاً على سواد العراق وما اتصل به للضحاك ، وقيل كان ملكاً مستقلاً برأسه فأخذ ابراهيم ورماه في نار عظيمة سنة ثمان وستين وثلاثمائة وثلاثة آلاف من هبوط آدم عليه السلام ، فكانت النار عليه برداً وسلاما .

وفي تاريخ القدس سنة تسع وثلاثين وفيها هجرة ابراهيم من بابل إلى فلسطين وفي تقويم التواريخ سنة ثلاث وتسعين وفيها خروج « كادة الحداد » على الضحاك وسلطنته افريدون الفارسي .

وكان ابراهيم في أواخر أيام بيوراسب المسمى بالضحاك وفي أول ملك أفريدون .

وكان بناء الكعبة المعظمة على يده الكريمة في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة وثلاثة آلاف ، وفيها ولاة اسحاق عليه السلام .

وكانت ولادة اسماعيل قبل هذا بأربعة عشر عاماً ، أعني سنة تسع منها وقد اختلف في الذبيح هل هو إسحاق أم اسماعيل وفداه الله بكبش ، ولكل من أهل العلم وجهة هو موليها وقد بينا ما هو الحق في تفسيرنا « فتح البيان في مقاصد القرآن » .

ومن زعم أن الذبيح إسحاق يقول كان موضع الذبح بالشام على ميلين من « إيليا » وهي بيت المقدس ، ومن يقول أنه اسماعيل يقول أن ذلك كان بمكة ثم أن ابراهيم ومن آمن معه فارقوا قومهم وهاجروا إلى

(٢) سورة هود ، الآية : ٦٧ .

حران ، وأقاموا بها مدة ثم سار ابراهيم إلى مصر ، وصاحبها فرعون ووهبه هاجر ثم سار من مصر إلى الشام ، وأقام بين الرملة وإيليا وولدت له هاجر اسماعيل ومعناه بالعبراني مطيع الله فحزنت سارة لذلك فوهبها الله إسحاق ، وماتت هاجر بمكة ، وقدم إليه أبوه ابراهيم وبنيا الكعبة وهي بيت الحرام .

ولوط هو ابن أخي ابراهيم هاران بن آزر وكان قد آمن بعمه ابراهيم وهاجر معه إلى مصر وعاد إلى الشام وأرسله الله إلى أهل سذوم وكان ما كان ، وقصته في القرآن الكريم . وأرسل الله اسماعيل إلى قبائل اليمن وإلى العماليق ، وعاش مائة وسبعاً وثلاثين سنة ، ومات بمكة ، ودفن عند قبر أمه هاجر بالحجر ، وكانت وفاته بعد وفاة أبيه ابراهيم بثمان وأربعين سنة .

واستمر البيت على ما بناه ابراهيم إلى أن هدمته قريش سنة خمس وثلاثين من مولد رسول الله ﷺ وبنوه ، وكان بناؤه بعد مضي مائة سنة من عمر ابراهيم بمدة فتكون بالتقريب بين ذلك وبين الهجرة ألفان وسبعمائة ونحو ثلاث وتسعين سنة .

ولادة يعقوب عليه السلام سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة وثلاثة آلاف ، ويقال له إسرائيل وكان بنوه اثني عشر رجلاً هم آباء الأسباط ، وهم روبيل ثم شمعون ثم لاوى ثم يهوذا ثم يساخر ثم زبولون ثم يوسف ثم بنيامين ثم دان ثم نفتالي ثم كاذ ثم أشار .

وتوفي ابراهيم عليه السلام سنة ثمان وتسعين وأربعمائة وثلاثة آلاف .

أيوب عليه السلام وهو رجل عده المؤرخون من أمة الروم لأنه من ولد العيص بن اسحاق ، وكان نبياً في عهد يعقوب في قول بعضهم وعاش ثلاثاً وتسعين سنة ومن ولد أيوب ابنه بشر وبعث الله بشراً بعد أيوب وسماه ذا الكفل ، وكان مقامه بالشام .

يوسف بن يعقوب لما صار له من العمر ثماني عشرة سنة كان فراقه لأبيه ، وبقيا مفترقين إحدى وعشرين سنة ثم اجتمعا في مصر ، وبقيا

مجتمعين سبع عشرة سنة وعاش يوسف مائة وعشر سنين ، وكان مولده لمضي سنة ٢٥١ من مولد ابراهيم ووفاته لمضي سنة ٣٦١ من مولد ابراهيم ، ويكون وفاة يوسف قبل مولد موسى بأربع وستين سنة محققاً . وأما قصة فراقه من أبيه وشغف زليخا به حباً فحسب ما ذكر الله في كتابه العزيز وهو أحسن القصص في القرآن وكان وفاة يوسف بمصر ودفن بها حتى كان من موسى وفرعون ما كان فلما سار موسى من مصر ببني إسرائيل إلى التيه نبش يوسف وحمله معه في التيه حتى مات موسى ، فلما قدم يوشع ببني إسرائيل إلى الشام دفنه بالقرب من نابلس ، وقيل عند الخليل عليه السلام .

شعيب بعثه الله إلى أصحاب الأيكة وأهل مدين ، وقد اختلف في نسبه فقيل من ولد ابراهيم الخليل ، وقيل من ولد بعض المؤمنين بابراهيم وكان الأيكة من شجر ملتف ، فلم يؤمنوا فأهلكهم الله بسحابة أمطرت عليهم ناراً يوم الظلة ، وأهلك أهل مدين بالزلزلة .

موسى هو ابن عمران بن قاهاث بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق أرسله الله تعالى نبياً بشريعة بني إسرائيل ، وكان من أمره ما حكاه الله سبحانه في كتابه العزيز في غير موضع ، وهارون أخوه وكان أكبر منه بثلاث سنين . وقارون ابن عم موسى ، وكان قد رزقه الله مالاً عظيماً يضرب به المثل على طول الدهر ، وكان وفاة موسى سنة ثمان وستين وثمانمائة وثلاثة آلاف من هبوط آدم في التيه في سابع آذار لمضي ألف وستمائة وست وعشرين سنة من الطوفان في أيام منوجهر الملك ، وكان موته بعد هارون أخيه بأحد عشر شهراً وكان مولد موسى لمضي سنة ٤٤٥ من مولد ابراهيم وكان بين وفاة ابراهيم ومولد موسى مائتان وخمسون سنة ، وولد لمضي ألف وخمسمائة وست سنين من الطوفان ، وكان عمره حين خرج من مصر ثمانين سنة ، وأقام في التيه أربعين سنة ، فيكون عمره مائة وعشرين سنة . وكانت جملة مقام بني إسرائيل بمصر من حين دخلوا بها حتى أخرجهم موسى مائتين وخمس عشرة سنة وأول من قام في بني إسرائيل بعد موسى طالوت .

وقد كثر الغلط في بيان حكام بني إسرائيل وملوكهم لبعد عهده ولكونه باللغة العبرانية فتعسر النطق بألفاظه على الصحة ، ولم أجد في نسخ التواريخ ما اعتمد على صحته لأن كل نسخة تخالف الأخرى أما في أسمائهم ، وأما في عددهم ، وأما في مدد استيلائهم . ولليهود الكتب الأربعة والعشرون وهي عندهم متواترة قديمة لم تعرب إلى الآن بل هي باللغة العبرانية .

قال أبو الفدا : فأحضرت منها سفرى بني إسرائيل وملوكها وأحضرت إنساناً عارفاً باللغة العبرانية والعربية ، وتركته يقرأها ، وأحضرت منها ثلاث نسخ وكتبت منها ما ظهر عندي صحته وضبطت الأسماء بالحروف والحركات حسب الطاقة ، انتهى .

ولادة داود :

هو من ولد هوذا بن يعقوب بن اسحاق سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وثلاثة آلاف من هبوط آدم ، وكان مقامه بجيرون فلما بلغ سنة ثمان وثلاثين من عمره انتقل إلى القدس ، وفتح في الشام فتوحات كثيرة من أرض فلسطين وبلد عمان وماب وحلب ونصيبين وبلاد الأرمن وغير ذلك ، وملك داود أربعين سنة وتوفي وله سبعون سنة في أواخر سنة خمس وثلاثين وخمسمائة لوفاة موسى ، وأوصى بالملك إلى سليمان وأوصاه بعمارة بيت المقدس ، وفي تقويم التواريخ وفيها أي في سنة مولد داود غلبة افراسياب على الفرس ،وفيه اختلاف. وفي تاريخ الطبري أن غلبة افراسياب على منوجهر كان في زمن موسى وكان كيقباذ في زمن داود عليه السلام ولعل ذلك هو الصحيح .

ولادة سليمان :

سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وأربعة آلاف من هبوط آدم وملك بعد أبيه وعمره اثنتا عشرة سنة في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة وأربعة آلاف وفيها توفي داود عليه السلام ، وآتاه الله من

الحكمة والملك ما لم يؤته لأحد سواه على ما أخبر الله به في محكم كتابه العزيز ، وهذا الذي ذكر من وفاة داود وخلافة سليمان خلاف ما في الكتابين ، ففيهما أن وفاة داود سنة ثلاث وأربعمائة بعد أربعة آلاف ووفاة سليمان عليه السلام سنة ثلاث وأربعين منها والذي أوجب ذلك ما صح في حديث الميثاق ، فأكمل الله تعالى لداود مائة سنة ولآدم ألف سنة ، ومن الثابت أن سليمان ولي الخلافة بعد أبيه أربعين سنة والله أعلم .

وفي السنة الرابعة من ملك سليمان وهي سنة ٥٣٩ لوفاة موسى ابتدأ سليمان في عمارة بيت المقدس ، وأقام فيها سبع سنين وفرغ في السنة الحادية عشرة من ملكه ، فيكون الفراغ منه في أواخر سنة ٥٤٦ لوفاة موسى . وكان ارتفاع البيت ثلاثين ذراعاً وطوله ستين ذراعاً في عرض عشرين ذراعاً وعمل خارج البيت سوراً محيطاً به امتداده خمس مائة ذراع ، وفي السنة الخامسة والعشرين من ملكه جاءته بلقيس ملكة اليمن ومن معها ، وأطاعه جميع ملوك الأرض .

واستمر سليمان على ذلك حتّى توفي وعمره اثنتان وخمسون سنة فكانت مدة ملكه أربعين سنة ، فيكون وفاة سليمان في أواخر سنة ٥٧٥ لوفاة موسى .

تولي بخت نصر على بابل : في سنة آثنتين وخمسين وتسعمائة لوفاة موسى وذلك على حكم ما اجتمع لنا من مدد ولايات حكام بني إسرائيل والفترات التي كانت بينهم . وأما ما اختاره المؤرخون فقالوا : أن من وفاة موسى إلى ابتداء ملك بخت نصر تسعمائة وثمانياً وسبعين سنة ، وثمانية وأربعين يوماً ، وهو يزيد على ما اجتمع لنا من المدد المذكورة فوق ست وعشرين سنة وهو تفاوت قريب . وكان هذا النقص إنما حصل من إسقاط اليهود كسورات المدد المذكورة فإنه من المستبعد أن يملك الشخص عشرين سنة أو تسع عشرة سنة مثلاً بل لا بد من أشهر وأيام ، مع ذلك فلما ذكروا لكل شخص مدة صحيحة سالمة من الكسر نقصت جملة السنين القدر المذكور ، أعني ستاً وعشرين سنة وكسوراً . وكان ابتداء ولاية بخت نصر في سنة تسع وسبعين وتسعمائة لوفاة موسى عليه السلام .

ظهور طبقة الكيانين

وأولهم كيقباد سنة اثنتين وعشرين بعد أربعة آلاف وستمائة ، كما في تقويم التواريخ . وابتداء ملك بخت نصر إحدى وأربعين وثمانمائة وأربعة آلاف ، وفي تاريخ بيت المقدس أن بخت نصر كان أميراً للهراسب الفارسي الذي فوض اليه السلطنة كيخسرو وابتداء ملكه سنة سبع وأربعين منها تخريب بيت المقدس على يده سنة سبع وستين وثمانمائة وأربعة آلاف ، وفي تقويم التواريخ بزيادة سنة واحدة ، وفيها ابتداء ملك كشتاسب ابن لهراسب سنة سبع وتسعمائة وأربعة آلاف وكشتاسب عند اليهود يسمى كورش .

تعمير بيت المقدس على يد كورش :

سنة سبع وثلاثين وتسعمائة وأربعة آلاف وفيها كان ظهور زردشت . ومتابعة كشتاسب كما في تقويم التواريخ ، وعند صاحب تاريخ القدس الأصح أن كورش هو بهمن بن اسفنديار ولد كشتاسب . قال أبو الفدا صاحب حماة ، يكون انقضاء ملوك بني إسرائيل وخراب بيت المقدس على يد بخت نصر سنة عشرين من ولايته تقريباً ، وهي السنة التاسعة والتسعون وتسعمائة لوفاة موسى وهي أيضاً سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة مضت من عمارة بيت المقدس ، وهي مدة لبثه على العمارة .

واستمر بيت المقدس خراباً سبعين سنة ثم عمر وعمره بعض ملوك الفرس ، واسمه عند اليهود كيرش . واختلف فيه من هو فقيل دارا ابن بهمن وقيل هو بهمن المذكور وهو الأصح ، ويشهد لصحة ذلك

كتاب اشعيا . ولما عادت عمارة بيت المقدس تراجعت اليه بنو إسرائيل من العراق وغيره ، وكانت عمارته في أول سنة تسعين لابتداء ولاية بخت نصر .

قال أبو عيسى أن بني إسرائيل لما تراجعوا إلى القدس بعد عمارته صار لهم حكام منهم ، وكانوا تحت حكم ملوك الفرس ، واستمروا حتى ظهر الاسكندر في سنة ٤٣٥ لولاية بخت نصر ، وغلبت اليونان عل الفرس ودخلت حينئذ بنو إسرائيل تحت حكم اليونان ، وأقام اليونان من بني إسرائيل ولاة عليهم ، وكان يقال للمتولي عليهم هرذوس ، واستمر بنو إسرائيل على ذلك حتى خرب بيت المقدس الخراب الثاني وتشتت منه بنو إسرائيل .

يونس بن متى عليه السلام :

ومتى أم يونس ، ولم يشتهر نبي بأمه غير عيسى ويونس عليهما السلام كذا ذكره ابن الأثير في الكامل وقد قيل أنه من بني إسرائيل وأنه من سبط بنيامين وكانت بعثته بعد يوثم بن عزيا وهو أحد ملوك بني إسرائيل ، وكانت وفاة يوثم في سنة خمس عشرة وثمانمائة لوفاة موسى ، وبعث الله يونس إلى أهل نينوى وهي قبالة الموصل بينهما دجلة ، وكانوا يعبدون الأصنام فنهاهم وأوعدهم العذاب في يوم معلوم إن لم يتوبوا ، وضمن ذلك عن ربه عز وجل فلما أظلهم العذاب آمنوا فكشفه الله عنهم والتقمه الحوت وسار به إلى الابله ، وكان من شأنه ما أخبر الله تعالى به في كتابه العزيز .

ارميا بن خلقيا عليه السلام :

نبي من أنبياء بني إسرائيل كان يعهد صدقيا وهو آخر ملوك بني يهوذا ببيت المقدس ولما توغلوا في الكفر والعصيان هدد بني إسرائيل ببخت نصر وهم لا يلتفتون اليه ، فلما رأى أنهم لا يرجعون عما هم فيه فارقهم واختفى ،حتى غزاهم بخت نصر وخرب القدس حسب ماتقدم ذكره . وكان من قصته ما أخبر الله به في الكتاب بقوله ﴿ أو كالذي

مر على قرية وهي خاوية على عروشها﴾[1] الآية وقد قيل أن صاحب القصة هو العزيز والأصح أنه ارميا كذا في تاريخ ابن سعيد المغربي والله أعلم .

ولادة اسكندر اليوناني :

سنة ستين ومائتين وخمسة آلاف من هبوط آدم وفيها وفاة أفلاطون الحكيم الإلهي . غلبة اسكندر على الفرس سنة إثنتين وثمانين ومائتين وخمسة آلاف ، ووفاة اسكندر سنة تسع وثمانين منها .

زكريا من ولد سليمان بن داود عليهما السلام :

وكان نبياً ذكره الله في كتابه العزيز وكان نجاراً وهو الذي كفل مريم أم عيسى ، وكانت مريم بنت عمران بن ماتان من ولد سليمان ، وكانت أم مريم اسمها حنه، وكان زكريا متزوجاً أخت حنه واسمها ايشاع ، فكانت زوج زكريا خالة مريم وأرسل الله تعالى جبريل فبشر زكريا بيحيى ثم أرسل جبريل فنفخ في جيب مريم فحبلت بعيسى ، وولد يحيى قبل المسيح بستة أشهر ثم ولدت مريم عيسى ، فلما علمت اليهود أن مريم ولدت من غير بعل اتهموا زكريا بها وطلبوه فهرب واختفى في شجرة عظيمة فقطعوا الشجرة ، وقطعوا زكريا معها وشق فيها نصفين ، وقيل المشقوق في الشجرة إنما هو شعيا النبي ، وكان عمر زكريا حينئذ نحو مائة سنة وكان قتله بعد ولادة المسيح لمضي ثلاثمائة وثلاث سنين للاسكندر فيكون مقتل زكريا بعد ذلك بقليل .

وأما يحيى ابنه فإنه نبي صغير ودعا الناس إلى عبادة الله ، ولبس يحيى الشعر واجتهد في العبادة حتى نحل جسمه ، وذبح يحيى لما نهى هرذوس عن بنت أخ له أن يتزوجها ، وقيل اغتصب امرأة أخيه وتزوجها ، ولم يكن ذلك في شرعهم مباحاً ، فأنكر ذلك عليه وقتل يحيى .

وقد ذكر في قتله أسباب كثيرة وهذا أقربها إلى الصحة . واختلف

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٩ .

هل كان أبوه حياً عند قتله ، فقيل مات قبله وقيل بعده ، وكذلك اختلف في دفنه فقيل دفن ببيت المقدس وهو الصحيح وكان قتله قبل رفع المسيح بمدة يسيرة بعد مضي ثلاثين سنة من عمر عيسى ،وكان رفع عيسى بعد نبوته بثلاث سنين والنصارى تسمي يحيى يوحنا المعمدان لكونه عمد المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام .

قال في تقويم التواريخ : ولادة يحيى وعيسى سنة أربع وثمانين وخمسمائة وخمسة آلاف من هبوط آدم عليه السلام ومريم معناه العابدة وولدته في بيت لحم وهي قرية قريبة من القدس سنة أربع وثلاثمائة لغلبة الاسكندر ، ثم أن مريم سارت به إلى مصر وسار معها ابن عمها يوسف بن يعقوب بن ماتان النجار ،وكان حكيماً وزعم بعضهم أن يوسف كان قد تزوج مريم لكنه لم يقربها وهو أول من أنكر حملها ثم علم وتحقق براءتها ، وسار معها إلى مصر ، وأقاما هناك اثنتي عشرة سنة ، ثم عاد عيسى وأمه إلى الشام ونزلا الناصرة وبها سميت النصارى ، وأقام بها عيسى حتى بلغ ثلاثين سنة فأوحى الله اليه وأرسله إلى الناس . وكان يلبس الصوف والشعر ويأكل من نبات الأرض .

وكان الحواريون اثني عشر رجلاً ، وسألوه المائدة فأنزل الله اليه سفرة حمراء مغطاة بمنديل فيها سمكة مشوية وحولها البقول ، ما خلا الكراث وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل ، ومعها خمسة أرغفة على بعضها زيتون وعلى باقيها رمان وتمر ، فأكل منها خلق كثير ولم تنقص ولم يأكل منها ذو عاهة إلا برئ . وكانت تنزل يوماً وتغيب يوماً أربعين ليلة . ثم رفع الله تعالى المسيح اليه ، وألقى شبهه على الذي دلهم عليه وكان رفعه إلى السماء سنة سبع عشرة وستمائة وخمسة آلاف من هبوط آدم عليه السلام . وفي تاريخ القدس كل من الولادة والوفاة بعد هذه السنين قال ابن الأثير في « الكامل » : اختلف العلماء في موته قبل رفعه فقيل رفع ولم يمت وقيل بل توفاه الله ثلاث ساعات وقيل سبع ساعات ، ثم أحياه وتأول قائل هذا قوله تعالى ﴿ إني متوفيك ﴾ وكان رفعه لمضي ثلاثمائة وست وثلاثين سنة من غلبة الاسكندر على دارا وكان بين رفعه

ومولد النبي ﷺ خمسمائة وخمس وأربعون سنة تقريباً ، وكانت ولادة المسيح أيضاً لمضي ثلاث وثلاثين سنة من أول ملك أغسطس ، ولمضي إحدى وعشرين سنة من غلبته على قلوبطرا ملكة اليونان.

وقيل غير ذلك ولكن هذا هو الأقوى وعاش المسيح إلى أن رفع ثلاثاً وثلاثين سنة ، فكان رفعه في أواخر السنة الأولى من ملك غانيوس.

وأما مريم أمه فعاشت نحو ثلاث وخمسين سنة لأنها حملت بالمسيح لما صار لها ثلاث عشرة سنة ، وعاشت معه مجتمعة ثلاثاً وثلاثين سنة وكسراً وبقيت بعد رفعه ست سنين .

ذكر خراب بيت المقدس

الخراب الثاني ، وهلاك اليهود ، وزوال دولتهم زوالاً لا رجوع بعده ، كان ابتداء عمارته الثانية لمضي ألف وسبع وستين سنة لوفاة موسى ، ولمضي تسع وثمانين سنة من ابتداء ملك بخت نصر ؛ والذي عمره هو ملك الفرس اردشير بهمن ، واسمه عند بني إسرائيل كيرش ، وقيل : كورش ، وقيل : كيرش ملك آخر غير بهمن ، وكان اسم هرذوس الذي قصد قتل المسيح فيلاطوس فرفع الله عيسى وكان منه ومنهم ما كان .

ثم ملك طيطوس وفي السنة الأولى من ملكه قصد بيت المقدس وأوقع باليهود وقتلهم وأسرهم عن آخرهم إلا من اختفى ونهب القدس وخربه وخرب بيت المقدس وأحرق الهيكل وأحرق كتبهم، وخلا القدس من بني إسرائيل كان لم يغن بالأمس ولم تعد لهم بعد ذلك رئاسة ولا حكم، وكان ذلك بعد رفع المسيح بنحو أربعين سنة وثلاث مائة وست وسبعين سنة من غلبة الاسكندر ولثمان مائة وإحدى عشرة سنة مضت لابتداء ملك بخت نصر .

وفي تقويم التواريخ سنة تسع وخمسين وستمائة وخمسة آلاف من هبوط آدم . وفي تاريخ بيت المقدس بعده بسنتين فيكون لبث بيت المقدس

على عمارته الأولى إلى حين خربه بخت نصر أربعمائة وثلاثاً وخمسين سنة ، ثم لبث على التخريب سبعين سنة ثم عمر ولبث على عمارته الثانية إلى حين خربه طيطوس الرومي مرة ثانية سبعمائة وإحدى وعشرين سنة .

قال الحسن بن أحمد المهلبي في « المسالك والممالك » : ثم تراجع بيت المقدس إلى العمارة قليلاً قليلاً ، واعتنى به بعض ملوك الروم ، وسماه إيليا ، ومعناه بيت الرب ، فعمره ورمم شعثه واستمر عامراً وهي عمارته الثالثة حتى سارت هيلانة أم قسطنطين إلى القدس في طلب خشبة المسيح التي تزعم النصارى أن المسيح صلب عليها ، ولما وصلت إلى القدس بنت كنيسة قمامة على القبر الذي تزعم النصارى أن عيسى دفن به ، وخربت هيكل بيت المقدس إلى الأرض وأمرت أن يلقى في موضعه قمامات البلد وزبالته فصار موضع الصخرة مزبلة وبقي الحال على ذلك حتى قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفتح القدس ، فدله بعضهم على موضع الهيكل فنظفه عمر من الزبايل ، وبنى به مسجداً وبقي ذلك المسجد إلى أن تولى الوليد بن عبد الملك الأموي فهدم ذلك المسجد وبنى على الأساس القديم المسجد الأقصى وفيه الصخرة .

وبنى هناك قباباً أيضاً سمي بعضها قبة الميزان وبعضها قبة المعراج وبعضها قبة السلسلة ، والأمر على ذلك إلى يومنا هذا .

هكذا نقله المهلبي العزيزي المذكور والعهدة عليه فيكون عمارة الوليد هي عمارته الخامسة .

الفرس وهم أربع طبقات :

وهذه الأمة من أقدم أمم العالم وأشدهم قوة وآثاراً في الأرض ، وكانت لهم في العالم دولتان عظيمتان طويلتان ، الأولى منهما الكينية وهي التي غلب عليها الاسكندر ، والثانية الساسانية الكسروية وهي التي غلب عليها المسلمون . وأما قبل هاتين الدولتين فبعيد وأخباره متعارضة ولا خلاف بين المحققين أنهم من ولد سام بن نوح وأرض ايران هي بلاد الفرس ولما عربت قيل لها عراق ، وقيل أنهم من ولد ايران بـــن

افريدون وهم ينسبون الفرس إلى كيومرت ، ومعناه ابن الطين . كانت ملوك الفرس من أعظم ملوك الأرض في قديم الزمان ودولتهم وترتيبهم لا يماثلهم في ذلك غيرهم وهم أربع طبقات :

الأولى :

يقال لهم الفيشداذية ومعناها أول سيرة العدل وعدتها تسعة وهم « أوشهنج » و « طهمورث » و « جمشيد »و « بيوراسب وهو الضحاك » و « أفريدون بن أثفيان » و « منوجهر » و « فراسياب » و « زد » و « كرشاسف» ، وهذه الطبقة قديمة وقد نقل عن مدد ملكهم وحروبهم أموراً يأباها العقل ويمجها السمع .

والثانية :

يقال لهم الكيانية وهم الذين في أول أسمائهم لفظة « كي » وهي لفظة للتنويه قيل معناه الروحاني وقيل الجبار وعدة الكيانية تسعة أيضاً وهم « كيقباذ » و « كيكاؤس » و « كيخسرو » و « كيلهراسف» و « كيبشتاسف » و «كي ازدشير » و « بهمن » و « خمانى بنت أزدشير» و « دارا الأول» و « دارا الثاني » وهو الذي قتله الاسكندر واستولى على ملكه .

والثالثة :

هم بعض ملوك الطوائف ويقال لهذه الطبقة الا شغانية وعدتهم أحد عشر وهم « اشغابن اشغان » ويقال « اشك بن اشكان » و « سابور بن اشغان » و « جور بن اشغان » و « بيرن الاشغاني» و « جود زر الاشغاني » و « ترسي الاشغاني » و « هرمز الأشغاني» و « اردوان الأشغاني » و « خسرو الأشغاني » و « بلاش الأشغاني » و « اردوان الأصغر الأشغاني » .

والرابعة :

وهم الأكاسرة لأن كل واحد منهم يقال له كسرى ، ويقال لهم أيضاً الساسانية نسبة إلى جدهم ساسان ، وملك منهم عدة من النساء بعد

الهجرة ، واستولى عليهم غيرهم من الفرس وكان أولهم ازدشير بن بابك ، وآخرهم يزدجرد الذي قتل في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ومدة ملكهم في العالم على ما نقل ابن سعيد من « كتاب تاريخ الأمم » لعلي ابن حمزة الأصفهاني وذلك من زمن كيومرت أبيهم إلى مهلك يزدجرد أربعة آلاف سنة ومائتا سنة ونحو إحدى وثمانين سنة . وكيومرت عندهم هو أول ملك نصب في الأرض ، ويزعمون فيما قال المسعودي أنه عاش ألف سنة والفرس كلهم متفقون على أن كيومرت هو آدم الذي هو أول الخليقة ، وأن اوشهنك هو مهلايل ملك الهند وبالجملة ، وكان أوشهنك فاضلاً محمود السيرة والسياسة بنى بابل والسوس ونزل الهند وعقد على رأسه التاج وجلس على السرير ، وجمشيد معناه شعاع القمر فجم هو القمر ، والشيد هو الشعاع ، وكذلك خورشيد لأن خور اسم الشمس ، وملك جمشيد الأقاليم السبعة ، وبيوراسب كان يقال له الدهاك ومعناه عشر آفات ، فلما عرب قيل الضحاك وملك الأرض كلها .

وكان ابراهيم الخليل عليه السلام في أواخر أيام الضحاك وأول ملك افريدون ، ويقال أن افريدون هو نوح والتحقيق أنه من ولد جمشيد بينهما تسعة آباء ، وأنه ملك خمسمائة سنة وأنه الذي محا آثار ثمود واختلف في الضحاك اختلافاً كثيراً فيزعم كل من الفرس واليونان والعرب أنه منهم والفرس يجعلونه قبل الطوفان لأنهم يعترفون بالطوفان .

وخرج في أيامه بأصبهان رجل يقال له « كابى » وكان حداداً فدعا الناس إلى مجاهدة الضحاك في سنة ٣٣٩٣ ، وكان ما كان حتى ملك أفريدون قيل هو ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم، وكان له ثلاثة أولاد فقسم الأرض بينهم أثلاثاً ، أحدهم « ايرج » جعل له العراق والهند والحجاز وجعله صاحب التاج والسرير وفوض اليه الولاية على اخويه ، والثاني « شرم » وجعل له الروم وديار مصر والمغرب ، والثالث « طوج » وجعل له الصين والترك والمشرق جميعه، ومنوجهر هو ابن ايرج وكانت أمه من ولد إسحاق عليه السلام .

ثم استبد وحمل الفرس على دين ابراهيم، وفي أيامه ظهر موسى

عليه السلام . وكان فرعون مصر عاملاً لمنوجهر ومطيعاً له ، وافريدون أول من تسمى بكي ومعناه التنزيه أي مخلص متصل بالروحانيات .

وقيل معناه البهاء لأنه يغشاه نور من يوم قتل الضحاك ، وقيل معناه مدرك الثأر وكان في زمان لهراسف بخت نصر وجعله اصبهذا على العراق والأهواز والروم ، وهو الذي خرب القدس . وحضر مع بخت نصر دانيال النبي من بني إسرائيل والأصح أنه لم يكن ملكاً مستقلاً بنفسه بل كان نائباً للهراسف ، ثم غزا بخت نصر العرب وكان في زمن معد بن عدنان فقصده طوائف من العرب مسالمين فأحسن اليهم وأنزلهم شاطئ الفرات . وبنوا موضع معسكرهم وسموه الأنبار ، واستمروا كذلك مدة حياة بخت نصر . ورأى رؤيا لم يطق أحد من العلماء والسحرة والكهنة أن ينبئه بذلك حتى سأل دانيال فعبرها فخر بخت نصر ساجداً لدانيال ، وأمر له بالخلع وأن يقرب له القرابين ، وتفسير بخت نصر بالعربية عطارد وهو ينطق .

قال ابن العميد : ملك من بعد كورش ابنه قمبوسيوس وغزا مصر واستولى عليها ، وتسمى بخت نصر الثاني وظهر في أيام كي بشتاسف زرادشت وهو صاحب كتاب المجوس فصدقه ودخل في دينه ، وكان فيما زعم أهل الكتاب من أهل فلسطين خادماً لبعض تلامذة أرميا النبي عليه السلام ، وعند علماء الفرس أنه من نسل منوجهر الملك ، وأن نبياً من بني إسرائيل بعث إلى كشتاسف وهو ببلخ فكان زرادشت وجاماسب العالم وهو من نسل منوجهر أيضاً يكتبان بالفارسية ما يقول ذلك النبي بالعبرانية ، وكان جاماسب يعرف اللسان العربي ويترجمه لزرادشت . وقال علماء الفرس أن زرادشت جاء بكتاب ادعاه وحيا . قال المسعودي : ويسمى ذلك الكتاب « نسناه » وهو كتاب الزمزمة ويدور على ستين حرفاً من حروف المعجم ، وفسره زرادشت وسمي تفسيره « زند » ، ثم فسر التفسير ثانياً وسماه « زنديه » ، وهذه اللفظة هي التي عربتها العرب زنديق ، وأقسام هذا الكتاب عندهم ثلاثة : قسم في أخبار الأمم الماضية ، وقسم في حدثان المستقبل ، وقسم في نواميسهم وشرائعهم مثل أن المشرق قبلة

وأن الصلوات في الطلوع والزوال والغروب وأنها ذات سجدات ودعوات وجدد لهم زرادشت بيوت النيران التي كان منوجهر أخمدها ، ورتب لهم عيدين : « النيروز » في الاعتدال الربيعي و « المهرجان » في الاعتدال الخريفي وأمثال ذلك من نواميسهم .

ولما انقرض ملك الفرس الأول أحرق الاسكندر هذه الكتب .

ولما جاء ازدشير جمع الفرس على قراءة سورة منها تسمى « استا » وجاماسب العالم من أهل آذربيجان ، وهو أول موبذان كان في الفرس .

قال المسعودي : وكان ازدشير بهمن كريماً متواضعاً علامته على كتبه بقلمه من ازدشير بهمن عبد الله وخادم الله والسائس لأمركم وتفسير بهمن بالعربية الحسن النية .

وكان بهمن متروجاً بابنته خماني ، وذلك حلال على دين المجوس فتوفي بهمن وهي حامل منه بدارا ، وساست خماني الملك بعده أحسن سياسة . ثم ملك دارا وولد له ابن سماه دارا باسم نفسه وهو الذي صار ملكه إلى الاسكندر بن فيلبس وكان أبوه أحد ملوك اليونان ، وكانوا طوائف . فلما ملك الاسكندر غزاهم واجتمع له ملكهم ثم غزا دارا ملك الفرس وقتله ، ثم غزا الهند وتناول أطراف الصين ثم بنى الاسكندرية ، وذلت عليه الملوك وحملت اليه الهدايا والخراج من كل ناحية وراسله ملوك الأرض من افريقية والمغرب والافرنجة والصقالبة والسودان ، ثم ملك بلاد خراسان والترك واستولى على الملوك يقال على خمسة وثلاثين ملكاً . وعاد إلى بابل فمات بها وقيل هلك في ناحية السواد وقيل بشهرزور ، وكان عمره ستاً وثلاثين سنة وكان ملكه نحو ثلاث عشرة سنة ، وكان مرضه الخوانيق وقيل اغتيل بالسم ، وهذا هو صاحب أرسطاطاليس وتلميذه . وكان أشقر أزرق ومر في طريقه على بيت المقدس ، وأكرم بني إسرائيل قيل أنه بنى السد على يأجوج ومأجوج ، والصحيح أنه لم يكن منه ذلك بل ذو القرنين الذي ذكره الله في القرآن . وهو ملك قديم كان على زمن ابراهيم وقيل أنه افريدون وقيل غيره . وقد غلط من ظن أن باني السد هو الاسكندر الرومي وذو القرنين الصعب بن الرائش .

وهو الذي مكن الله له في الأرض وعظم ملكه وبنى السد على يأجوج ومأجوج وهو من حمير ، قاله ابن عباس وقد تقدم الكلام في تحقيق ذلك .

ولما مات الاسكندر الرومي عرض الملك على ابنه فأبى واختار النسك فانقسمت الممالك بين ملوك الطوائف واليونان ، واستمر بهم الحال على ذلك نحو خمسمائة واثنتي عشرة سنة حتى قام ازدشير بن بابك وجمع ملك الفرس ، وكانت عدة طوائف الملوك تزيد على تسعين ملكاً ولم تؤرخ في مبتدأ أمرهم أسماؤهم ولا مدد ملكهم فإنهم كانوا ملوكاً صغاراً في الأطراف ، وبقي الأمر على ذلك حتى اشتهرت الملوك الاشغانية من بينهم وملك أشغا وهو أولهم لمضي مائتين وست وأربعين سنة لغلبة الاسكندر ؛ ثم ملك بعده ابنه سابور وكان مولد المسيح في سنة بضع وأربعين سنة خلت من ملكه . وقال هرمز يوم ملك : « يا معشر الناس اجتنبوا الذنوب كيلا تذلوا بالمعاذير » . وانقضى ملك أردوان الأصغر وهو آخر هذه الطبقة لمضي خمسمائة واثنتي عشرة سنة لغلبة الاسكندر وأول الأكاسرة ازدشير بن بابك ، وهو من ولد ساسان بن بهمن المذكور سابقاً . وكان بين قيامه وبين الهجرة النبوية أربعمائة واثنتان وعشرون سنة ، وكان رصد بطليموس قبله بسبع وسبعين سنة وجميع الأكاسرة الذين كان آخرهم يزدجرد بن شهريار من ولد ازدشير المذكور وظهر في أيام سابور « ماني » الزنديق النقاش صاحب القول بالنور والظلمة ، وادعى النبوة واتبعه خلق كثير ، وهم المسمون بالمانوية والثنوية .

قال في « تقويم التواريخ » : ظهور الماني المتنبي في سنة إحدى وعشرين وثمانمائة وخمسة آلاف ، يعني من هبوط آدم عليه السلام .

وأما ظهور « بله ولصان » فكان في سنة عشر وسبعمائة وخمسة آلاف كما في التقويم .

انتباه أصحاب الكهف من نومهم

كان في سنة ست وثلاثين وستة آلاف .

وكان لسابور المذكور عناية عظيمة بجمع كتب الفلاسفة لليونانيين ، ونقلها إلى اللغة الفارسية .

ويقال أن في زمانه اخترع العود وهو آلة اللهو التي يضرب بها وفي أيام صبا سابور بن هرمز ، وهو السابور الثاني ، طمعت العرب في بلاده فلما بلغ غلب على العرب وقتل أناساً من تميم وبكر بن وائل وعبد القيس ، وسمي ذا الأكتاف وقتل النصارى وأخرب الكنائس وأحرق الانجيل .

وفي أيام قباذ بن فيروز ظهر « مردك » الزنديق المجوسي وادعى النبوة وأمر الناس بالتساوي في الأموال وأن يشتركوا في النساء لأنهم أخوة لأب وأم آدم وحواء .

ودخل قباذ في دينه ، وكان ظهوره من هبوط آدم عليه السلام لسنة ثماني عشرة ومائة وستة آلاف ، ثم ملك « أنو شيروان بن قباذ » ولما تولى كان صغيراً فلما استقل وجلس على السرير أعاد آل المنذر إلى الحيرة وطرد الحارث عنها، وقتل مردك بين يديه ، وأحرق جيفته ، ونادى بإباحة دماء المردكية فقتل منهم في ذلك اليوم عالماً كثيراً وأباح دماء المانوية أيضاً وقتل منهم خلقاً كثيراً .

وثبتت ملة المجوسية القديمة وفتح الاسكندرية وتوجه إلى عدن فسكر هناك ناحية من البحر بين جبلين بالصخور وعمد الحديد وكان مكرماً للعلماء محباً للعلم . وفي أيامه ترجم كتاب « كليلة ودمنة » وترجمه من لسان اليهود وحله بضرب الأمثال ويحتاج إلى فهم دقيق .

قال الطبري : وفي أيامه رأى الموبذان أن الابل الصعاب تقود الخيل العراب ، وقد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فأفزعه ذلك وسيأتي تفصيله .

وفي زمانه ولد عبد الله أبو النبي ﷺ لأربع وعشرين سنة من ملكه وكذلك ولد النبي ﷺ في السنة الثانية والأربعين من ملكه ، وذلك عام الفيل . ومات أنو شيروان في سنة ثمان وثمانين وثمانمائة للاسكندر لمضي سبعة أشهر من السنة المذكورة ، ثم قام ابنه هرمز ثم سمل برويز

ابنه عينيه ، وتملك وغزا الروم ، وجمع في مدة ملكه من الأموال ما لم يجتمع لغيره من الملوك . وكان يشتو بالمدائن ويصيف بهمدان ، وكان له اثنا عشر ألف امرأة وألف فيل وخمسون ألف دابة وبنى بيوت النيران وتزوج « شيرين » المغنية وبنى لها قصر شيرين بين حلوان وخانقين ثم قتل على يدي ابنه شيرويه وكانت أم شيرويه مريم بنت ملك الروم .

ولمضي اثنتين وثلاثين سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوماً من ملك برويز هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة ، وكان له من العمر ثلاث وخمسون سنة فيكون لرسول الله ﷺ سبع سنين في أيام أنوشيروان واثنتا عشرة سنة في أيام هرمز بن أنوشيروان ، وسنة ونصف بالتقريب في الفترة التي كانت بين إمساك هرمز وبين استقرار ابنه برويز ، واثنتان وثلاثون سنة ونصف بالتقريب من ملك برويز ، ومجموع ذلك ثلاث وخمسون سنة وعلى ذلك فتكون السنة الثالثة والثلاثون من ملك برويز هي السنة الخامسة والثلاثو ن وتسعمائة للاسكندر بالتقريب .

وفي أيامه افتتح هرقل عظيم الروم يغزو بلاد كسرى وفي مناوبة هذا الغلب بين فارس والروم نزلت الآيات من أول سورة الروم . قال الطبري : وأدنى الأرض التي أشارت اليه الآية هي اذرعات بصرى التي كانت بها هذه الحروب ، ثم غلبت الروم سبع سنين من ذلك العهد وأخبر المسلمون بذلك الوعد الكريم لما أهمهم من غلب فارس الروم لأن قريشاً كانوا يتشيعون لفارس لأنهم غير دائنين بكتاب ، والمسلمون يودون غلب الروم لأنهم أهل كتاب . وفي كتب التفسير بسط ما وقع في ذلك بينهم وبرويز هذا هو الذي قتل النعمان بن المنذر ملك العرب .

واتفق صاحب « التقويم » و « تاريخ القدس » على أن ولادة النبي ﷺ كانت في سنة ثلاث وستين ومائة وستة آلاف والله أعلم من هبوط آدم عليه السلام .

قال الشيخ رفيع الدين بن أحمد ولي الله المحدث الدهلوي : لا يخفى أن هذه السنين سنون شمسية والسنون المأخوذة من مولد النبي ﷺ قمرية ،

وجمعها في الحساب لا يخلو عن مسامحة بل المناسب إما إرجاع ما بعد المولد إلى الشمسية ، أو إرجاع ما قبله إلى القمرية .

فاعلم أن من هبوط آدم عليه السلام إلى المولد الشريف ، إذا أخذت قمرية ، صارت ستة آلاف وثلاثمائة وإحدى وخمسين سنة قمرية ومائتين وتسعة وعشرين يوماً وهو قريب من سبعة أشهر . ومن المولد الشريف إلى آخر سنة من الهجرة المقدسة ثلاث وخمسون وألف ومائتان . فمن هبوط آدم عليه السلام إلى آخر تلك السنة سبعة آلاف وستمائة وأربع وستون سنة قمرية وأشهر ، وأيضاً فمن المولد الشريف إلى آخر السنة المذكورة ألف ومائتان وثماني عشرة سنة شمسية وستون يوماً بالتقريب . وهو قريب من شهرين . فمن هبوط آدم عليه السلام إلى آخر السنة المذكورة سبعة آلاف وثلاثمائة وإحدى وسبعون سنة شمسية ، فاحفظ فإن جمهور أهل التاريخ ، ومنهم صاحبا تاريخ القدس والخليل وتقويم التواريخ ، قد خلطا الأمر وغفلا عن التمييز ، والله الهادي . انتهى وسيأتي لذلك مزيد إيضاح إن شاء الله تعالى .

ولما ملك شيرويه وكان رديء المزاج كثير الأمراض صغير الخلق ، قتل أخوته السبعة عشر ثم ندم على قتلهم وصار يبكي ليلاً ونهاراً ويرمي التاج عن رأسه ، ثم هلك وملك ازدشير بن شيرويه وكان ابن سبع سنين ، وقتل وملك شهريران ولم يكن من أهل بيت المملكة ، ثم قتل وولوا الملك بوران بنت كسرى برويز فأحسنت السيرة ثم هلكت بعد سنة وأربعة أشهر ، وملك بعدها خشنشدة من بني عم كسرى برويز وكان ملكه أقل من شهر وقتل ، ثم ملكت ارزمى دخت بنت كسرى برويز وكانت من أحسن النساء صورة فخطبها فرخ هرمز فقتلته ، فجمع رستم بن فرخ المذكور عسكره وقتلها ، ثم ولوا مكانها كسرى بن مهر وقتلوه بعد أيام ولم يجدوا من يملكونه من بيت المملكة فولوا رجلاً يقال له فيروز ابن خستان يزعم أنه من نسل انو شيروان ثم قتلوه ، ثم ملك فرخ زاد خسرو من أولاد أنو شيروان وملك ستة أشهر وقتلوه ، ثم ملك يزدجرد ابن شهريار من نسل اردشير بن بابك وكان ملكه كالخيال بالنسبة إلى

ملك آبائه . وغزت المسلمون بلادهم وكان عمره إلى أن قتل بمرور عشرين سنة ، وكان مقتله في خلافة عثمان رضي الله عنه في سنة إحدى وثلاثين للهجرة ، وهو آخر من ملك منهم وزال ملكهم بالاسلام زوالاً إلى الأبد ، وهذه هي سياقة الخبر عن دولة الفرس عند المحققين .

قال الطبري : فجميع سني العالم من آدم إلى الهجرة على ما يزعمه اليهود أربعة آلاف سنة وستمائة واثنتان وأربعون سنة ، وعلى ما يدعيه النصارى في توراة اليونانيين ستة آلاف سنة غير ثماني سنين ، وعلى ما يقوله الفرس إلى مقتل يزدجرد أربعة آلاف ومائة وثمانون سنة ، ومقتل يزدجرد عندهم لثلاثين من الهجرة . وأما عند أهل الاسلام فبين آدم ونوح عشرة قرون والقرن مائة سنة وبين نوح وابراهيم كذلك وبين ابراهيم وموسى كذلك ، ونقله الطبري عن ابن عباس ومحمد بن عمرو ابن واقد الاسلامي عن جماعة من أهل العلم . وقال ، ان الفترة بين عيسى وبين محمد ﷺ ستمائة سنة ورواه عن سلمان الفارسي وكعب الأحبار ، قال ابن خلدون . والله أعلم بالحق في ذلك والبقاء لله الواحد القهار .

ذكر فراعنة مصر

هم ملوك القبط بالديار المصرية ، وكانوا أهل ملك عظيم في الدهور الخالية والأزمان السالفة ، وكانوا أخلاطاً من الأمم ما بين قبطي ويوناني وعمليقي ، إلا أن جمهرتهم قبط وأكثر ما تملك مصر الغرباء .

وكانوا صابئية يعبدون الأصنام وصار بعد الطوفان بمصر علماء بضروب من العلوم خاصة بعلم الطلسمات والنيرنجات والكيمياء .

وكانت مدينة منف هي كرسي المملكة حتى ملك الوليد بن مصعب وهو فرعون موسى عليه السلام ، وكان من العمالقة وهو الأظهر . وقيل أنه فرعون يوسف ، وطال عمره إلى أيام موسى .

وذكر القرطبي أن الوليد المذكور من القبط وهو الذي ادعى الربوبية ، وكان من شأنه وشأن موسى ما حكاه الله سبحانه في كتابه العزيز ، ولما هلك ملكت القبط بعده دلوكة المشهورة بالعجوز من بنات ملوك القبط وانتهى السحر اليها وطال عمرها .

ولما قتل بخت نصر فرعون مصر بقيت خراباً أربعين سنة ، حتى انقرضت دولة بني بخت نصر فتوالت ولاة الفرس عليها . فكان منهم طخارست ، وفي أيامه كان بقراط الحكيم حتّى غلب عليها الاسكندر و « الخطط » للمقريزي أجمع التواريخ لمصر وليس ذكر ملوك اليونان وملوك الروم من غرضنا في هذا المقام .

وأما « ملوك العرب قبل الاسلام » فأول من نزل اليمن قحطان بن عابر بن شالخ المقدم الذكر ، ثم ملك بعده ابنه يعرب وهو أول من نطق بالعربية على ما ذكر ثم ابنه يشجب ، ثم ابنه عبد شمس وسمي سبأ ، وهو الذي بنى السد بأرض مارب وفجر إليه سبعين نهراً وساق اليه السيول من أمد بعيد ، ثم ابنه حمير بن سبأ إلى أن ملكت بلقيس بنت الهدهاد عشرين سنة وتزوجها سليمان بن داود عليهما السلام ، إلى أن ملك ذونواس وكان من لا يتهود ألقاه في اخدود مضطرم ناراً فقيل له صاحب الأخدود ، ثم ملك بعده ذوجدن وهو آخر ملوك حمير ، وكانت مدة ملكهم على ما قيل ألفين وعشرين سنة .

قال صاحب « تواريخ الأمم » : ليس في جميع التواريخ أسقم من تاريخ ملوك حمير لما يذكر فيه من كثرة عدد سنيهم مع قلة عدد ملوكهم ، فإنهم يزعمون أن ملوكهم ستة وعشرون ملكاً ملكوا في مدة ألفين وعشرين سنة ، ثم ملك اليمن بعدهم من الحبشة أربع ومن الفرس ثمانية ثم صارت اليمن للاسلام .

وكان أول من ملك على العرب بأرض الحيرة مالك بن فهم من ولد يعرب بن قحطان وكان ملكه قبل الأكاسرة ، ثم ملكه اللخميون وأولهم عمرو بن عدي ، إلى أن ملكه المنذر بن النعمان وسمته العرب المغرور ، واستمر مالكاً للحيرة إلى أن قدم اليها خالد بن الوليد واستولى على الحيرة

وكانت ملوك غسان عمالاً للقياصرة على عرب الشام . وأصل غسان من اليمن من ولد كهلان بن سبأ ، وأول من ملك منهم « جفنة بن عمرو » وآخرهم « جبلة بن الأيهم » وهو الذي أسلم في خلافة عمر بن الخطاب . وقد اختلف في مدة ملك الغسانية فقبل أربعمائة سنة ، وقيل ستمائة سنة ، وقيل بين ذلك . وأما جرهم فهم صنفان ، الأولى : وكانوا على عهد عاد فبادوا ودرست أخبارهم وهم من العرب البادية ، وأما جرهم الثانية فهم من ولد قحطان فملك يعرب اليمن وأخوه جرهم الحجاز ، وهم الذين اتصل بهم اسماعيل وتزوج منهم .

وأول ملوك كندة حجر بن عمرو . وقيل له آكل المرار وآخرهم الحارث ومن ملوك العرب « عمرو بن لحى » ملك الحجاز وهو أول من جعل الأصنام على الكعبة وعبدها فأطاعته العرب وعبدوها معه ، واستمرت العرب على تلك العبادة حتى جاء الاسلام ومنهم زهير بن حباب وزهير ابن جذيمة والحارث بن ظالم وقيس بن زهير ولهم أيام ذكرها المؤرخون وأطالوا في بيانها ، ومنها « يوم ذي قار » .

وكان في سنة أربعين من مولد رسول الله ﷺ ، وقيل في عام وقعة بدر والأول أولى قال ابن خلدون أن جميع العرب يرجعون إلى ثلاثة أنساب وهي « عدنان » و « قحطان » و « قضاعة » . فأما عدنان فهو من ولد اسماعيل بالاتفاق إلا الآباء الذين بينه وبين اسماعيل فليس فيه شيء يرجع إلى يقينه وغير عدنان من ولد اسماعيل قد انقرضوا فليس على وجه الأرض منهم أحد ، وأما قحطان فقيل من ولد اسماعيل وهو ظاهر كلام البخاري في قوله باب نسبة اليمن إلى اسماعيل ، وأما قضاعة فقيل أنها من حمير قاله ابن اسحاق والكلبي وطائفة .

وقيل غير ذلك والنسب البعيد يحيل الظنون ولا يرجع فيه إلى يقين .

ذكر الأمم

الأمة الجماعة هو في اللفظ واحد ، وفي المعنى جمع . وكل جنس

من الحيوان أمة وفي الحديث « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها » .

أمة السريان : هي أقدم الأمم وكلام آدم وبنيه بالسرياني وملتهم هي ملة الصابئين ، ويذكرون أنهم أخذوا دينهم عن شيث وادريس ولهم كتاب يسمونه « صحف شيث » ولهم صلوات سبع وصوم ثلاثين يوماً وأعياد عند نزول الكواكب الخمسة المتحيرة بيوت أشرافها ، ويعظمون مكة ولهم بظاهر حران مكان يحجونه ، ويعظمون أهرام مصر ، ويزعمون ان احدهما قبر شيث والآخر قبر ادريس والآخر قبر صابئ ابن ادريس .

قال ابن حزم : والدين الذي انتحله الصابئون أقدم الأديان على وجه الدهر والغالب على الدنيا ، إلى أن أحدثوا فيه الحوادث فبعث الله تعالى اليهم ابراهيم بالدين الذي نحن عليه الآن .

قال الشهرستاني : وهم يقاتلون الحنيفية ومدار مذهبهم التعصب للروحانيين ، كما أن مدار مذهب الحنفاء التعصب للبشر والجسمانيين .

أمة القبط :

وهم من ولد حام بن نوح ، وكان سكناهم بديار مصر فاختلطت بهم طوائف كثيرة ، وكانوا في سالف الدهر صابئية ، وكانت ملوكهم تلقب الفراعنة ، يعبدون الهياكل والأصنام . وهذه الأمة أقدم أمم العالم وأطولهم أمداً في الملك . واختصوا بملك مصر وما اليها ملوكها من لدن الخليقة إلى أن صحبهم الاسلام بها فانتزعها المسلمون من أيديهم ولعهدهم كان الفتح ، وربما غلب عليهم جميع من عاصرهم من الأمم حين يستفحل أمرهم مثل العمالقة والفرس والروم واليونان فيستولون على مصر من أيديهم ثم يتقلص ظلهم ، فراجع القبط ملكهم هكذا إلى أن انقرضوا في مملكة الاسلام .

أمة الفرس :

ومساكنهم وسط المعمور يقال لها أرض فارس ، منها كرمان والأهواز وأقاليم يطول ذكرها وجميع ما دون جيحون من تلك الجهات يقال له إيران وهي أرض الفرس. وأما ما وراء جيحون فيقال له توران وهو أرض الترك ، وقد اختلف في نسب الفرس فقيل أنهم من ولد فارس ابن أرم بن سام ، وقيل من ولد يافث ، وهم يقولون أنهم من ولـد كيومرت وهو عندهم الذي ابتدأ منه النسل مثل آدم عندنا. ويذكرون أن الملك لم يزل فيهم من كيومرت إلى غلبة الاسلام خلا تقطع حصل في مدد يسيرة لا يعتد به مثل تغلب الضحاك وفراسياب التركي وملوك الفرس عند الأمم أعظم ملوك العالم وكانت لهم العقول الوافرة والأحلام الراجحة ، وكان لهم من ترتيب المملكة ما لم يلحقهم فيه أحد من الملوك ، وهم فرق كثيرة : فمنهم الديلم ، وهم سكان الجبال ، ومنهم الجيل وأرضهم هي ساحل بحر طبرستان ، ومنهم الكرد ومنازلهم جبال شهرزور وقيل أن الكرد من العرب ثم تنبطوا ، وقيل أنهم أعراب العجم. وكان للفرس ملة قديمة يقال لها الكيومرتية أثبتوا إلهاً قديماً وسموه « يزدان » وإلهاً مخلوقاً من الظلمة وسموه « اهرمن » والأول عندهم هو الله والثاني إبليس ، وأصل دينهم تعظيم النور والتحرز من الظلمة ولهذا عبدوا النيران حتى ظهر زرادشت من قرية من قرى آذربيجان فصارت الفرس على دينه ، ولهم في خلق زرادشت وولادته كلام طويل لا فائدة فيه ؛ وقال بإله يسمى « ارمزد » بالفارسي وأنه خالق النور والظلم ، وهو واحد لا شريك له. ولهم أعياد ورسوم منها النوروز والتيركان والمهرجـان والفروردجان والكنبهارات.

زعم زرادشت أن في كل يوم خلق الله نوعاً من الخليقة من سماء وأرض وماء ونبات وحيوان وإنس فتم خلق العالم في ستة أيام.

أمة اليونان :

وهم نجموا من رجل اسمه « اللن » ولد سنة أربع وسبعين لمولد

موسى عليه السلام ، ولم يعلموا قبل ذلك وكانوا أهل شعر وفصاحة ثم صارت فيهم الفلسفة في زمان بخت نصر .

قال الشهرستاني : أن ابيدقليس كان في زمن داود النبي عليه السلام، وكذلك فيثاغورس كان في زمن سليمان ، وهذا يخالف ما سبق فإن بخت نصر بعد سليمان بأكثر من أربعمائة سنة وبلاد اليونان كانت على الخليج القسطنطيني من شرقيه وغربيه إلى البحر المحيط وهو بين بحر الروم وبحر القلزم ، واسم القلزم في القديم بحر نيطش ، وهم فرقتان : الاغريقيون واللطينيون .

قيل أنهم من ولد يافث وهو الصحيح باتفاق من المحققين وقيل من جملة الروم من ولد العيص بن يعقوب النبي . وكانت ملوكهم من أعظم الملوك ودولتهم من أفخر الدول ولم يزالوا كذلك حتى غلبت عليهم الروم ولم يبق لهم ذكر ، وكانت لهم الدولتان العظيمتان للاسكندر والقياصرة من بعده الذين صبحهم الاسلام وهم ملوك بالشام . وجميع العلوم العقلية مأخوذة عنهم مثل العلوم المنطقية والطبيعية والإلهية والرياضية وكانوا يسمون العلم الرياضي جوهراً مطرياً وهو المشتمل على علم الهيئة والهندسة والحساب واللحون والإيقاع وغير ذلك ، وكان العالم بها يسمى فيلسوفاً وتفسيره محب الحكمة ، ومن فلاسفتهم « تاليس الملطي » وكان في زمن بخت نصر ، وأخذ عن لقمان و « أبيدقليس » و « فيثاغورس » وكانا في زمن داود وسليمان عليهما السلام .

وزعم فيثاغورس أنه سمع حفيف الفلك ووصل إلى مقام الملك وقال ما سمعت شيئاً ألذ من حركات الأفلاك ولا رأيت شيئاً أبهى من صورتها . و « بقراط الحكيم » ونجم في سنة ١٩٦ لبخت نصر فيكون قبل الهجرة بألف ومائة وبضع وسبعين سنة . و « سقراط » أقام في غار ونهى الناس عن الشرك وعبادة الأوثان حتى قتل في الحبس بالسم . و « أفلاطون الإلهي » قام مقام سقراط حين اغتيل وجلس على كرسيه . و «أرسطوطاليس» كان تلميذاً لأفلاطون وكان أفلاطون كبير حكماء الخليقة غير منازع كان يعلم الحكمة وهو ماش تحت الرواق المظلل له من حر الشمس ،

فسمي تلاميذه بالمشائين في زمن الاسكندر وكان ملكه لعهد أربعة آلاف وثمانمائة من عهد الخليقة ، ولعهد أربعمائة أو نحوها من بناء رومة .

وبين الاسكندر والهجرة تسعمائة وأربع وثلاثون سنة فيكون أفلاطون قبل ذلك بمدة يسيرة وكذلك سقراط قبله بمدة يسيرة أيضاً ، فبالتقريب يكون بين سقراط والهجرة نحو ألف سنة وبين أفلاطون والهجرة أقل من ألف سنة . و « طيماوس » هو من مشايخ أفلاطون ومن تلامذة أرسطو الاسكندر الذي ملك غالب المعمور من الغرب إلى الشرق واستولى على بلاد فارس وتخطاها إلى بلاد السند فملكها ، ثم زحف إلى بلاد الهند فغلب على أكثرها وحاربه « فور » ملك الهند فانهزم وأخذه الاسكندر أسيراً بعد حروب طويلة وغلب على جميع طوائف الهنود . وملك بلاد الصين والسند وأقام يتعلم على أرسطو خمس سنين وبلغ فيها أحسن المبالغ ونال من الفلسفة ما لم ينله سائر تلاميذه ومنهم « برقلس » ، وكان بعد أرسطو وصنف كتاباً أورد فيه شبهاً في قدم العالم ومنهم « طيموخارس » حكيم رياضي عالم بهيئة الفلك رصد الكواكب في زمانه ذكره بطليموس في المجسطي وكان قبل بطليموس بأربعمائة وعشرين سنة و « فرفوريوس » من أهل مدينة صور على البحر الرومي بالشام ، كان بعد زمان جالينوس ، فسر مشكلات كتب أرسطو و « فلوطيس » نقل تصانيف أرسطو من الرومي إلى السرياني قال ولا أعلم أن شيئاً منها خرج إلى العربي و « فولس الأجانيطي » ويعرف بالقوابلي .

كان خبيراً بطب النساء كثير المعاناة له ، وكان مقامه بالاسكندرية . و « لسلون المتعصب » يقرى فلسفة أفلاطون وينتصر لها و « مقسطراطيس » شرح كتب أرسطو وأخرجها إلى العربي و « منطر الاسكندري » كان إماماً في علم الفلك واجتمع هو وافطيمن بالاسكندرية وأحكما آلات الرصد ورصدا الكواكب وحققاها وكانا قبل بطليموس بنحو خمسمائة وإحدى وسبعين سنة و « مورطس » له رياضة وحيل صنف كتاباً في الآلة المسماة « بالأرغن » وهي آلة تسمع على ستين ميلاً ، و « مغنس » من أهل حمص من تلامذة بقراط وله كتاب البول وغيره ، و«مثروديطوس»

كان طبيباً ركب معجوناً يسمى باسمه وكان معتنياً بتجربة الأدوية وأما « بطليموس وجالينوس » فزمانهما متأخر عن زمان اليونان وكانا في زمن الروم واحدهما قريب من الآخر .

وكان بطليموس مقدماً على جالينوس بقليل وكان بين رصد بطليموس ورصد المأمون ستمائة وتسعون سنة وكان رصد المأمون بعد سنة مائتين للهجرة فيكون بين الهجرة ورصد بطليموس أربعمائة وتسعون سنة بالتقريب ، وبين جالينوس والهجرة أكثر من أربعمائة سنة بقليل وذلك كله بالتقريب .

قال ابن خلدون : ومن حكماء اليونانيين « انكيثاغورس » كان مع حكمته مبرزاً في علم الطب وبعث به بهمن ملك الفرس إلى ملك اليونان فامتنع من إيفاده عليه ضنانة به ، وكان من تلامذته جالينوس لعهد عيسى عليه السلام ومات بصقلية ودفن بها « اقليدس » صاحب كتاب الاستقصاءات المسمى باسمه ، وكان في أيام ملوك البطالسة ، ولم يكن بعد أرسطو ببعيد وليس هو مخترع كتاب اقليدس ، بل هو جامعه ومحرره ومحققه . ومنهم « ابرخس » رصد الكواكب وحققها وكان بين رصده ورصد بطليموس مائتان وخمس وثمانون سنة فارسية بالتقريب .

أمة اليهود :

هم بنو إسرائيل يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل وكان لإسرائيل اثنا عشر ابناً وهم : الأسباط .

وجميع بني إسرائيل هم أولاد الأسباط وأمة اليهود أعم منهم لأن كثيراً من أجناس العرب والروم والفرس وغيرهم صاروا يهوداً ولم يكونوا من بني إسرائيل وإنما بنو إسرائيل هم الأصل في هذه الملة وغيرهم دخيل فيها . وأما اسم اليهود فيقال هاد الرجل أي رجع وتاب وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى « انا هدنا اليك » أي رجعنا .

وقال البيروني : في الآثار الباقية ليس ذلك بشيء وإنما سمي هؤلاء

باليهود نسبة إلى يهوذا أحد الأسباط وأبدلت المعجمة بالمهملة قلت وهذا هو الصواب لأن القرآن عربي والتوراة عبرانية وافترقت اليهود فرقاً كثيرة .

أمة النصارى :

وهم أمة المسيح عليه السلام ولهم في تجسد الكلمة مذاهب شتى منهم من قال أشرقت على الجسد إشراق النور على الجسم المشف ، ومنهم من قال انطبعت فيه انطباع النقش في الشمعة ، ومنهم من قال تدرع اللاهوت بالناسوت ، ومنهم من قال مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن الماء . واتفقت النصارى على أن المسيح قتلته اليهـــود وصلبوه ، وافترقت على اثنتين وسبعين فرقة كبارهم ثلاث فرق الملكانية والنسطورية واليعقوبية .

والبطاركة للنصارى بمنزلة الأئمة أصحاب المذاهب للمسلمين والمطارنة مثل القضاة والأساقفة مثل المفتين والقسيسون بمنزلة القراء والجاثليق بمنزلة الامام الذي يؤم في الصلاة والشمامسة بمنزلة المؤذنين وقومة المساجد ، ومن أعيادهم الشعانين وجمعة الصلبوت وعيد الفصح ويوم الأحد والسلاقا وعيد البنديقسطي والدنح وعيد الصليب والميلاد .

وأما الانجيل فهو كتاب يتضمن أخبار المسيح من ولادته إلى وقت خروجه من هذا العالم كتبه أربعة نفر من أصحابه وهم « متى » كتبه بفلسطين بالعبرانية ، و « مرقوس » كتبه ببلاد الروم باللغة الرومية ، و « لوقا » كتبه بالاسكندرية باللغة اليونانية ، و « يوحنا » كتبه بافسس باليونانية أيضاً . ومن الأمم الداخلة في دين النصارى أمة الروم كانوا صابئة حتى تنصر قسطنطين وحملهم عليه حتى تنصروا عن آخرهم .

وأما أمم النصارى فهي الأرمن والروم والبلغار وكان أصل الكرج والجراكسة نصارى إلا أنهم الآن مسلمون . وأما المسلمون القاطنون في جهات الروم ايلي فأصلهم نصارى ويوجد في سورية وحلب وبغداد وغيرها من الممالك العثمانية نصارى ولغتهم العربية . وبقية النصارى في

بلاد أوربا وأميريكا وغيرهما وهم أمم مختلفة ، منهم الجرمانيون والانكليز أعني البريطانيين والفرنساويون والطليانيون والروس وغيرهم ، والانكليزيون هم المستولون الآن على سلطنة الهند .

أمة الهند :

فرق كثيرة ذكرها الشهرستاني في « الملل والنحل » منهم الباسومية واليهودية وعبدة الأصنام وعباد النار ، ومنهم البراهمة أصحاب الفكرة وهم أهل العلم بالفلك والنجوم على طريقة تخالف طريقة منجمي الروم والعجم . وللهند ممالك منها مملكة قنوج ، وهي منقطعة عن البحر ولأهلها أصنام يتوارثون عبادتها ويزعمون أن لها نحو مائتي ألف سنة قاله أبو الفدا . وهي اليوم خاوية على عروشها كأن لم تغن بالأمس ولنعم ما قيل :

ورأيتُ معـالـم دراسةً رسمته مزاولـة السبُلِ
وسألتُ رسومَ الأربـعِ ما فعلَتْ بكِ سابقةُ الأزلِ
فأجابتْ : قـال اللهُ لَنا وسؤالكَ من جهةِ الغفلِ
تلكَ الأيـامُ نـداولُها لا مكث لهنَ على رجلِ

وكانت هذه البلدة هي موطن آبائنا منذ ثلاثمائة سنة تقريباً حتى خرجنا منها منذ أعوام ثم لم نعد ونزلنا ببلدة بهوبال وبها نعيش في هذه الأيام ، وهي سنة إحدى وتسعين ومائتين وألف هجرية . وجزائر بحر الهند في نهاية الكثرة ، وهي في البحر قبالة هذه الممالك ولها ملوك وطوائف وأيام ومحاربات قد أكثر المصنفون فيها الكلام وقد ذكرنا طرفاً من حالها وخبر قنوج في كتابنا « حجج الكرامة في آثار القيامة » فإن شئت أن تطلع على معظم ماجرياتها وتعلمها فارجع اليه تجده كتاباً لم يؤلف مثله قبل ذلك الزمان وبالله التوفيق وهو المستعان .

أمة السند :

وهم غربي الهند منها على جانب البحر ويقال لها بلاد اللان . ومنها في البر إلى جانب الجبل وكل من ملك السند يقال لها رتبيل ، ومن المدن

الأول ملتان والمنصورة ، ومن الثاني قشمير . وكان المسلمون غالبين عليها ثم صارت هي والهند في أيدي الكفار من البرطانية النصرانية منذ مائة عام بل أزيد من ذلك .

أمم السودان :

قيل هم من ولد حام وأديانهم مختلفة ، فمنهم مجوس ومنهم من يعبد الحيات ، ومنهم صاحب أوثان ، وقد رُوي عن جالينوس أنهم يختصون بعشر خصال وهي تفلفل الشعر وخفة اللحى وانتشار المنخرين وغلظ الشفتين وتحدد الأسنان ونتن الجلد وسواد اللون وتشقق اليدين والرجلين وطول الذكر وكثرة الطرب . ومن أعظم أممهم « الحبش » وبلادهم تقابل الحجاز وبينهما البحر وهي بلاد طويلة عريضة ، وخصيانهم أفخر الخصيان ، ومنهم « النوبة » ، ويقال أن لقمان الحكيم الذي كان مع داود عليه السلام من النوبة ، ومنهم ذو النون المصري وبلال بن حمامة مؤذن النبي ﷺ ، ومنهم « البجا » وهم شديدو السواد عراة يعبدون الأوثان ، وهم أهل أمن وحسن مرافقة للتجار ، ومنهم «الدمادم» وبلادهم على النيل فوق بلاد الزنج وهم تتر السودان خرجوا عليهم وقتلوا فيهم كما جرى للتتر مع المسلمين وهم مهملون في أديانهم ، ومنهم الزنج وهم أشد السودان سواداً يعبدون الأوثان وأهل بأس وقساوة ، ومنهم « التكرور » وهم على غربي النيل كفار ومسلمون ، ومنهم « الكانم » وهم على مذهب مالك ومدينة غانة هي من أعظم مدن السودان وهي في أقصى جنوب المغرب .

أمم الصين :

هي بلاد طويلة عريضة من المشرق إلى المغرب أكثر من مسيرة شهرين طولاً وعرضاً من بحر الصين في الجنوب إلى سد يأجوج ومأجوج في الشمال ، وقيل أن عرضها أكثر من طولها حتى يشتمل على الأقاليم السبعة . وأهل الصين أحسن الناس سياسة وأكثرهم عدلاً وأحذق الناس في الصناعات وهم قصار القدود عظام الرؤوس ، أهل مذاهب مختلفة مجوس وأهل أوثان وأهل نيران ، ومدينتهم الكبرى يقال لها جمدان ،

والصين الأقصى ويقال له صين الصين هو نهاية العمارة من جهة الشرق وليس وراءه غير البحر المحيط ومدينته العظمى يقال لها السيلى .

بني كنعان :

هم أهل الشام وإنما سمي الشام شاماً لسكنى سام بن نوح به ، وسام اسمه بالعبرانية شام بالمعجمة وقيل تشاءمت به بنو كنعان هو ابن حام ابن نوح وسار منهم طائفة إلى المغرب وهم البربر .

أمة البربر :

اختلف فيهم اختلافاً كثيراً فقيل أنهم من ولد حام ، وهم يزعمون أنهم من ولد قيس عيلان ، وصنهاجة منهم تزعم أنها من ولد افريقس الحميري ، وزنانة منهم تزعم أنها من لخم والأصح أنهم من ولد كنعان ابن مازيغ بن حام .

ولما قتل ملكهم جالوت وكان كل من ملك بني كنعان يلقب جالوت إلى أن قتل داود جالوت آخر ملوكهم تفرقت بنو كنعان ، وقصدت منهم طائفة بلاد المغرب وسكنوا تلك البلاد وهم البربر . وقبائل البربر كثيرة جداً منهم كتامة وصنهاجة والمصامدة وبرغواطة وهم مثل العرب في سكنى الصحارى ولهم لسان غير العربي . قال أبو سعيد : ولغاتهم ترجع إلى أصول واحدة وتختلف فروعها حتى لا تفهم إلا بترجمان .

أمة عاد :

هم من ولد عاد من ولد سام بن نوح وبلادهم الأحقاف متصلة باليمن ، وأول من ملك منهم شداد . قال الزمخشري : أن شداداً هو الذي بنى مدينة ارم في صحارى عدن وشيدها بصخور الذهب وأساطين الياقوت والزبرجد يحاكي بها الجنة لما سمع وصفها طغياناً منه وعتوا . ويقال أن باني ارم هذه هو ارم بن عاد . وذكر ابن سعيد عن البيهقي هو ارم بن شداد بن عاد الأكبر ، انتهى .

والصحيح أنه ليس هناك مدينة اسمها ارم وإنما هذا من خرافات القصاص وإنما ينقله ضعفاء المفسرين وارم المذكورة في قوله تعالى ﴿ ارم ذات العماد ﴾ القبيلة لا البلد وكانوا ذوي قوة وبطش وكان لهم في الأرض آثار عظيمة حتى قال لهم هود عليه السلام ﴿ اتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين ﴾[1] وقد كثر الاختلاف في ذكرهم وجميع ما ذكروا من ذلك مضطرب غير قريب للصحة .

أمة العمالقة :

هم من ولد عمليق بن لاوذ بن سام بهم يضرب المثل في الطول والجسمان نزلوا بصنعاء من اليمن ثم تحولوا إلى الحرم . وكان منهم جماعة بالشام ، وأهل عمان البحرين ، وهم الذين قاتلهم موسى ثم يوشع فأفناهم . وكان منهم فراعنة مصر والكنعانيو ن ومن ملك يثرب وخيبر وتلك النواحي .

أمم العرب :

العرب الجاهلية أصناف ولهم مذاهب مختلفة ذكرها الشهرستاني في الملل والنحل وقسمهم المؤرخون إلى ثلاثة أقسام : بائدة وعاربة ومستعربة . « أما البائدة » فهم العرب الأول الذين ذهبت عنا تفاصيل أخبارهم لتقادم عهدهم ، وهم عاد وثمود وجرهم الأولى ، وكانت على عهد عاد فبادوا ودرست أخبارهم . وأما جرهم الثانية فهم من ولد قحطان وثبت أن قحطان كان يتكلم بالعربية ولقنها عن الأجيال قبله فكانت لغة بنيه ، ولذلك سموا العرب المستعربة ولم يكن في آباء قحطان من لدن نوح عليه السلام اليه من يتكلم بالعربية وكذلك كان أخوه قانع وبنوه إنما يتكلمون بالعجمية ، إلى أن جاء اسماعيل بن ابراهيم فتعلم العربية من جرهم فكانت لغة بنيه ، وهم أهل الطبقة الثالثة المسمون بالعرب التابعة للعرب ، ولم يبق من ذكر العرب البائدة إلا القليل .

---

(١) سورة الشعراء ، الآية : ١٣٠ .

وأما العرب العاربة :

فهم عرب اليمن من ولد قحطان وهذه الأمة أقدم الأمم من بعد قوم نوح وأعظمهم قدرة وأشدهم قوة وآثاراً في الأرض ، وأول أجيال العرب من الخليقة فيما سمعناه لأن أخبار القرون الماضية من قبلهم يمتنع اطلاعنا عليها لتطاول الأحقاب ودروسها إلا ما يقصه علينا الكتاب ويؤثر من الأنبياء بوحي الله اليهم وما سوى ذلك من الأخبار الأزلية فمقطع الاسناد ، ولذلك كان المعتمد عند الاثبات في أخبارهم ما تنطق به آية القرآن في قصص الأنبياء الأقدمين أو ما ينقله زعماء المفسرين في تفسيرها من أخبارهم وذكر دولهم وحروبهم ينقلون ذلك عن السلف من التابعين الذين أخذوا عن الصحابة أو سمعوه ممن هاجر إلى الاسلام من أحبار اليهود وعلمائهم أهل التوراة أقدم الصحف المنزلة فيما علمناه وما سوى ذلك من حطام المفسرين وأساطير القصص وكتب بدء الخليقة ، فلا نعول على شيء منه وإن وجد لمشاهير العلماء تأليف مثل « كتاب الياقوتية » للطبري و « البدء » للكسائي فإنما نحوا فيها منحى القصاص ، وجروا على أساليبهم ولم يلتزموا فيها الصحة ، ولا ضمنوا لنا الوثوق بها فلا ينبغي التعويل عليها وترك وشأنها . وأخبار هذا الجيل من العرب وإن لم يقع لها ذكر في التوراة إلا أن بني إسرائيل من بين أهل الكتاب أقرب إليهم عصراً وأوعى لأخبارهم فلذلك يعتمد نقل المهاجرة منهم لأخبار هذا الجيل .

ثم إن هذه الأمم على ما نقل كان لهم ملوك ودول . « وأما العرب المستعربة » فهم ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام .

ومن العاربة بنو جرهم وكانت مساكنهم بالحجاز .

ومنهم بنو سبأ واسم سبأ عبد شمس فلما أكثر الغزو السبي سمي سبأ ، وكان له عدة أولاد .

منهم حمير وكهلان وجميع قبائل عرب اليمن وملوكها التبابعة من ولد سبأ المذكور وجميع تبابعة اليمن من ولد حمير بن سبأ خلا عمران

وأخيه مزيقيا فإنهما من ولد كهلان بن سبأ بني حمير بن سبأ .

ومنهم التبابعة ملوك اليمن .

ومنهم قضاعة وكان مالكاً لبلاد الشحر ومن قضاعة بنو كلب نزلوا في الجاهلية دومة الجندل وتبوك وأطراف الشام .

ومنهم حارثة أبو زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله ﷺ .

ومنهم بلي وبهراء وجهينة وكانت منازلهم بأطراف الحجاز الشمالي من جهة بحر جدة وبنو سليخ وبنو نهد وبنو عذرة وشعبا بني كهلان .

وصار منهم أحياء كثيرة والمشهور منها سبعة وهي : الأزد وطيئ ومذحج وهمدان وكندة ومراد وأنمار ومن الازد الغسانية والأوس والخزرج أهل يثرب والمسلمون منهم ، هم الأنصار وخزاعة وبارق ودوس وعتيك وغافق ، فهؤلاء بطون الازد وحصل لخزاعة سدانة البيت والرئاسة ، والأكثر أنها يمانية ، وما زالت فيهم حتى أخذها قصي بن كلاب وأرسل بها إلى مكة .

وقال معاشر قريش هذه مفاتيح بيت أبيكم اسماعيل قد رددتها عليكم من غير عار ولا ظلم . وظهر قصي على خزاعة وأخرجها من مكة .

ومن خزاعة بنو المصطلق الذين غزاهم رسول الله ﷺ وسكنت بنو دوس إحدى الشروات المظلة على تهامة وكانت لهم دولة بأطراف العراق ؛ ومن الدوس أبو هريرة واختلف في اسمه والأكثر أن اسمه عمير بن عامر .

وأما عتيك وغافق فقبيلتان مشهورتان في الاسلام وهم من ولد الأزد ، ومن الأزد بنو الجلندي ملوك عمان ، والجلندي لقب لكل من ملك منهم عمان . وانتهى ملك عمان في الاسلام إلى حبقر وعبد ابني الجلندي وأسلما مع أهل عمان على يد عمرو بن العاص .

ونزلت طيئ بنجد الحجاز في جبلي أجأ وسلمى فعرفا بجبل طيئ

إلى يومنا هذا ومن بطون طيئ جديلة ونبهان وبولان وسلامان وهي سدوس بضم السين، ومن طيئ زيد الخيل وسماه رسول الله ﷺ زيد الخير. وحاتم طيئ المشهور بالكرم. ومن بطون مذحج أيضاً النخع ومنهم الأشتر النخعي واسمه مالك بن حارث صاحب رسول الله ﷺ، ثم علي بن أبي طالب.

ومن النخع سنان بن أنس قاتل الحسين وعنس، وهي قبيلة الأسود الكذاب الذي ادعى النبوة باليمن، وعنس أيضاً رهط عمار بن ياسر صاحب رسول الله ﷺ.

ولهمدان من بني كهلان صيت في الجاهلية والاسلام وبلاد كندة باليمن تلي حضرموت، ومنهم حجر بن عدي صاحب علي بن أبي طالب، وهو الذي قتله معاوية صبرا. ومنهم القاضي شريح ومن كندة السكاسك والسكون.

ومن السكون معاوية بن خديج قاتل محمد بن أبي بكر رضي الله عنه وحصين بن نمير السكوني الذي صار صاحب جيش يزيد نوبة وقعة الحرة بظاهر مدينة الرسول ﷺ، وبنو مراد بلادهم إلى جانب زبيد من جبال اليمن و الأنمار فرعان وهما بجيلة وخثعم وبجيلة هي رهط جرير ابن عبد الله البجلي صاحب رسول الله ﷺ «بني عمرو بن سبأ». ومنهم لخم بن عدي ومن لخم بنو الدار رهط تميم الداري صاحب رسول الله ﷺ. والمناذرة ملوك الحيرة وكانت دولتهم من أعظم دول ملوك العرب وجذام بني أشعر ويقال لهم الأشعريون، وهم رهط أبي موسى الأشعري، واسمه عبد الله بن قيس. «بنو عاملة» هم من القبائل اليمانية خرجت إلى الشام عند سيل العرم، ونزلوا بالقرب من دمشق في جبل هناك يعرف بجبل عاملة.

العرب المستعربة :

هم ولد اسماعيل بن ابراهيم الخليل وقيل لهم المستعربة لأن اسماعيل لم تكن لغته عربية بل عبرانية، ثم دخل في العربية فمن سكنى اسماعيل مكة إلى الهجرة ألفان وسبعمائة وثلاث وتسعون سنة.

وكان هناك قبائل جرهم فتزوج اسماعيل منهم امرأة وولدت له اثني عشر ولداً ذكراً ، منهم قيذار وماتت هاجر ودفنت بالحجر . ثم لما مات اسماعيل بمكة دفن معها بالحجر أيضاً .

وقد اختلف المؤرخون اختلافاً كثيراً في أمر الملك على الحجاز بين جرهم وبين اسماعيل ، فمن قائل كان الملك على الحجاز في جرهم ومفتاح الكعبة وسدانتها في يد ولد اسماعيل ، ومن قائل أن قيذار توجته أخواله جرهم وعقدوا له الملك عليهم بالحجاز ، وأما سدانة البيت الحرام ومفاتيحه فكانت مع بني إسماعيل بغير خلاف ، حتى انتهى ذلك إلى نابت من ولد اسماعيل فصارت السدانة بعده لجرهم . ويدل على ذلك قول عامر بن الحارث الجرهمي من قصيدته التي منها :

وكنا ولاةَ البيتِ من بعد نابتٍ ... نَطوفُ بذاكَ البيتِ والأمرُ ظاهرُ
كأن لم يكنْ بينَ الحجونِ إلى الصفَا ... أنيسٌ ولم يسمرْ بمكةَ سامـرُ
بلى نحنُ كنـــا أهلهـــا فأبادنـــا ... صروفُ الليالي والجدودُ العواثرُ

ثم ولد لقيذار ابنه حمل ولحمل نبت ويقال نابت وقيل نبت ابن اسماعيل وفيه خلاف كثير ، ثم لنبت سلامان ، ثم ولد له الهميسع وولد له اليسع وله ادد وله اد ثم ولد لاد عدنان ، وولد له معد ولمعد نزار ولنزار أربعة ، منهم مضر على عمود النسب النبوي وثلاثة خارجون عنه أولهم أياد ، ومنه كعب بن مامة ويضرب بجوده المثل ، وقس بن ساعدة ويضرب بفصاحته المثل .

والثاني : ربيعة الفرس ، ومن ربيعة : أسد ، وضبيعة ولأسد جديلة وعنزة ، ومن جديلة : وائل ، ومن وائل : بكر وتغلب ، ومن بكر : بنو شيبان ومرة وطرفة والمرقشان الأكبر والأصغر وبنو حنيفة .

ومنهم : مسيلمة الكذاب ، ومن أسد : بنو عنزة وهم أهل خيبر ، ومن عنزة : القارظان ، ومن ربيعة : النمر والجيم والعجل وبنو عبد القيس ، ومن أسد : السدوس واللهازم .

والثالث : أنمار ، ومضى إلى اليمن فتناسل بنوه بتلك الجهات ،

وحسبوا من العرب اليمانية، ثم ولد لمضر الياس على عمود النسب، وولد له خارجاً عنه: قيس عيلان وعيلان فرسه أو كلبه، وقيل: بل هو أخو الياس.

وقد جعل الله لقيس المذكور من الكثرة أمراً عظيماً ، فمن ولده : قبائل هوازن الذين كان رسول الله ﷺ فيهم رضيعاً ، وبنو كلاب ، ومنهم : أصحاب حلب وعقيل ، ومنهم : ملوك الموصل المقلد وقرواش وغيرهما ، وبنو عامر وصعصعة وخفاجة .

وما زالت لخفاجة أمرة العراق من قديم وإلى الآن . وبنو ربيعة وجشم وبكر وبنو هلال وثقيف ، وقيل أن ثقيفاً من أياد وقيل : من بقايا ثمود وهم أهل الطائف ، وبنو نمير وباهلة ومازن وغطفان وبنو عبس وأشجع وسليم وبنو ذبيان وبنو فزارة والنابغة وعدوان نزلوا الطائف قبل ثقيف ، ثم ولد لالياس مدركة على عمود النسب ، وولد له خارجاً عنه طابخة ، وبعضهم ينسب مدركة وطابخة إلى أمهما خندف واسمها ليلى بنت حلوان وصار من طابخة قبائل منهم : بنو تميم والرباب وبنو ضبة وبنو مزينة ، ثم ولد لمدركة خزيمة على عمود النسب وله خارجاً عن النسب هذيل ومنه جميع قبائل الهذليين منهم ابن مسعود صاحب رسول الله ﷺ ، وولد لخزيمة كنانة على عمود النسب وخارج النسب الهون وأسد ومن الهون عضل وديش ويقال لهما القارة . ومن أسد الكاهلية ودودان وغيرهما . وولد لكنانة على عمود النسب النضر . وكان له عدة أخوة ليسوا على عمود النسب وهم ملكان وعبد مناة وعمرو وعامر ومالك .

ومن عبد مناة : بنو غفار رهط أبي ذر وبنو بكر ، ومنه : الدئل وبنو ليث وبنو الحارث وبنو مدلج وبنو ضمرة ، ومن عمرو : العمريون ، ومن عامر : العامريون ، ومن مالك : بنو فراس ، ومن بطون كنانة : الأحابيش وغلط من ظن أنهم من الحبشة .

وأما النضر فقيل أنه قريش والصحيح أن قريشاً هم بنو فهر الذي سنذكره ، وولد لنضر مالك على عمود النسب ولم يشتهر له ولد غيره ، ثم ولد لمالك فهر على عمود النسب . وهو قريش فكل من كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس قرشياً .

وقيل : سمي قريشاً لشدته تشبيهاً له بداية من دواب البحر يقال لها القرش تأكل دواب البحر وتقهرهم . وقيل أن قصي بن كلاب لما استولى على البيت وجمع أشتات بني فهر سموا قريشاً لأنه قرشهم أي جمعهم حول الحرم ، وعلى هذا يكون اسماً لبني فهر لا لفهر نفسه . وولد لفهر غالب على عمود النسب ، وولد له خارجاً عنه ولدان وهما : محارب والحارث .

فمن الأول : بنو محارب ، ومن الثاني : بنو الحلج ، ومنهم أبو عبيدة بن الجراح أحد العشرة المبشرة .

ثم ولد لغالب لوى على عمود النسب وخارج النسب تيم الادرم وهو الناقص الذقن ، ثم ولد للوى ستة أولاد وهم كعب على عمود النسب واخوته الخمسة خارجون عن عمود النسب ، وهم : سعد وخزيمة والحارث وعامر وأسامة ، ولكل ولد ينسبون إليه خلا الحارث منهم .

ثم ولد لكعب مرة على عمود النسب وخارجاً عنه هصيص وعدي فمن الأول بنو جمح ومنهم أمية بن خلف عدو رسول الله ﷺ ، وبنو سهم ومنهم عمرو بن العاص . ومن الثاني بنو عدي ومنهم عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد من العشرة .

ثم ولد لمرة على عمود النسب كلاب وخارج النسب تيم ويقظة .

فمن الأول أبو بكر الصديق وطلحة من العشرة ، ومن الثاني بنو مخزوم ونسب خالد بن الوليد وأبي جهل بن هشام ، ثم ولد لكلاب قصي على عمود النسب ، وولد له خارجاً عنه زهرة ومنه بنو زهرة .

ونسب سعد بن أبي وقاص أحد العشرة ونسب آمنة أم رسول الله ﷺ ونسب عبد الرحمن بن عوف وكان قصي عظيماً في قريش وهو الذي ارتجع مفاتيح الكعبة من خزاعة وهو الذي جمع قريشاً وائل مجدهم .

ثم ولد لقصي عبد مناف على عمود النسب والخارج عنه عبد الدار وعبد العزى .

فمن الأول بنو شيبة الحجبة ومن الثاني النضر بن الحارث ، وكان شديد العداوة لرسول الله ﷺ وقتله رسول الله ﷺ صبراً يوم بدر . ومنهم الزبير بن العوام أحد العشرة وخديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ وورقة بن نوفل .

وولد لعبد مناف على عمود النسب هاشم وخارجاً عنه عبد شمس والمطلب ونوفل .

فمن الأول أمية ومنه بنو أمية ومنهم عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان وسعيد بن العاص وعتبة بن ربيعة وعقبة بن أبي معيط ، وقتله رسول الله ﷺ صبراً يوم بدر .

ومن المطلب المطلبيون ومنهم الامام الشافعي ومن نوفل النوفليون ، ثم ولد لهاشم عبد المطلب على عمود النسب ولم يعلم له ولد غيره ، وولد لعبد المطلب على عمود النسب عبد الله وولد له خارجاً عنه جميع أعمام رسول الله ﷺ وهم حمزة والعباس وأبو طالب وأبو لهب والغيداق .

ومنهم من يقول هو حجل والحارث والمقوم وضرار والزبير وقثم درج صغيراً وعبد الكعبة .

ومنهم من يقول أن الذي عبد الكعبة هو المقوم ثم ولد لعبد الله محمد رسول الله ﷺ في عام الفيل .

قال ابن الأثير في « الكامل » : أن الحبشة ملكوا اليمن بعد حمير فلما صار الملك إلى أبرهة منهم بنى كنيسة عظيمة وقصد أن يصرف حج العرب اليها ويبطل الكعبة الحرام ، فجاء شخص من العرب ، وأحدث في تلك الكنيسة ، فغضب أبرهة لذلك وسار بجيشه ومعه الفيل ، وقيل كان معه ثلاثة عشر فيلاً ليهدم الكعبة فلما وصل إلى الطائف بعث الأسود ابن مقصود إلى مكة ، فساق أموال أهلها وأحضرها إلى أبرهة وأرسل أبرهة إلى قريش ، وقال لهم : لست أقصد الحرب بل جئت لأهدم الكعبة .

فقال عبد المطلب : والله ما نريد حربه هذا بيت الله فإن منع عنه فهو بيته وحرمه وإن خلا بينه وبينه فوالله ما عندنا من دفع .

ثم انطلق عبد المطلب مع رسول أبرهة اليه فلما استؤذن لعبد المطلب قالوا لأبرهة : هذا سيد قريش . فأذن له أبرهة وأكرمه ونزل عن سريره وجلس معه وسأله في حاجته ، فذكر عبد المطلب أباعره التي أخذت له فقال إبرهة : إني كنت أظن أنك تطلب مني أن لا أخرب الكعبة التي هي دينك ، فقال عبد المطلب : أنا رب الأباعر فاطلبها وللبيت رب يمنعه ، فأمر أبرهة برد أباعره عليه ، فأخذها وانصرف إلى قريش . ولما قارب أبرهة مكة وتهيأ لدخولها بقي كلما قبل فيله مكة .

وكان اسم الفيل محموداً ينام ويرمي نفسه إلى الأرض ولم يسر ، فإذا قبلوه غير مكة قام يهرول وبينما هم كذلك إذ أرسل الله عليهم طيراً أبابيل أمثال الخطاطيف مع كل طائر ثلاثة أحجار في منقاره ورجليه فقذفتهم بها وهي مثل الحمص والعدس فلم يصب أحداً منهم إلا هلك وليس كلهم أصابت ، ثم أرسل الله تعالى سيلاً فألقاهم في البحر ، والذي سلم منهم ولى هارباً مع أبرهة إلى اليمن يبتدر الطريق ، وصاروا يتساقطون بكل منهل ، وأصيب أبرهة في جسده وسقطت أعضاؤه ووصل إلى صنعاء كذلك ومات . ولما جرى ذلك خرجت قريش إلى منازلهم وغنموا من أموالهم شيئاً كثيراً ولما هلك أبرهة ملك بعده ابنه يكسوم ، ثم أخوه مسروق ، ومنه أخذت العجم اليمن .

انتهى الكلام وهو آخر التواريخ القديمة ولا نذكر من التواريخ الاسلامية هنا إلا مولد رسول الله ﷺ وذكر الهجرة النبوية ، لأن أهل العلم من المسلمين قد أكثروا الجمع والتأليف فيها وهي كثيرة شهيرة متيسرة لكل أحد في كل بلد من بلاد الاسلام . وقد ذكرنا طرفاً منها في كتاب « حجج الكرامة في آثار القيامة » .

مولد رسول الله ﷺ :

أما أبوه فهو عبد الله ، وكانت ولادته قبل الفيل بخمس وعشرين سنة ، وكان أبوه قد بعثه يمتار له فمر بيثرب فمات بها ولرسول الله ﷺ شهرين ، وقيل : كان حملاً ، وولد بعد مهلكه بأشهر قلائل ودفن في

دار الحارث بن ابراهيم بن سراقة العدوي ، وهم أخوال عبد المطلب . وقيل : دفن بدار النابغة ببني النجار ، وكان أبوه يحبه لأنه كان أحسن أولاده وأعفهم ، وجميع ما خلفه عبد الله خمسة أجمال وجارية حبشية اسمها بركة وكنيتها أم أيمن ، وهي حاضنة رسول الله ﷺ . وأما آمنة أم رسول الله ﷺ فهي بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، فولدت رسول الله ﷺ يوم الاثنين لعشر . وقيل لاثنتي عشرة ليلة خلون من ربيع الأول من عام الفيل . وكان قدوم الفيـــل في منتصف المحرم من تلك السنة وهي السنة الثانية والأربعون من ملك كسرى أنو شيروان ، وهي سنة إحدى وثمانين وثمانمائة لغلبة الاسكندر على دارا ، وهي سنة ألف وثلاثمائة وست عشرة لبخت نصر . وكفله جده عبد المطلب وكفالة الله من ورائه والتمس له الرضاعة فاسترضع في بني سعد من بني هوازن ، أرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب ، وكان أهله يتوسمون فيه علامات الخير والكرامات من الله .

قال البيهقي : وفي اليوم السابع من ولادة رسول الله ﷺ ذبح جده عبد المطلب عنه ، ودعا له قريشاً فلما أكلوا قالوا : «ياعبد المطلب أرأيتك ابنك هذا الذي أكرمتنا على وجهه ما سميته ؟» قال: «سميته محمداً» . قالوا : «فيم رغبت به عن أسماء أهل بيته ؟» قال: «أردت أن يحمده الله تعالى في السماء وخلقه في الأرض» . وروي أيضاً بسنده المتصل بالعباس قال : ولد رسول الله ﷺ مختوناً مسروراً .

قال : فاعجب جده وحظي عنده وقال : ليكونن لابني هذا شأن .

وروي أيضاً عن هانئ المخزومي قال : لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجس ايوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، وغاضت بحيرة ساوة ورأى الموبذان وهو قاضي الفرس في منامة ابلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة ، وانتشرت في بلادها ، فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك واجتمع بالموبذان فقص عليه ما رأى ، فقال كسرى : أي شيء يكون هذا ؟ فقال الموبذان ، وكان عالماً بما يكون حدث من جهة العرب أمر فكتب كسرى إلى النعمان بن المنذر : «أما بعد.. فوجه

إلي برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه » فوجه بعبد المسيح بن عمرو بن حنان الغساني فأخبره كسرى بما كان من ارتجاس الإيوان وغيره ، فقال له : علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له سطيح . قال كسرى : فاذهب اليه وسله وأتني بتأويل ما عنده ، فسار عبد المسيح حتى قدم على سطيح وقد أشفى على الموت ، فسلم عليه وحياه ففتح سطيح عينيه ، ثم قال : يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب الهراوة ، وخمدت نار فارس ، وفاض وادي السماوة ، وغاضت بحيرة ساوة ، فليس الشام لسطيح شاماً يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات،وكل ما هو آت آت. ثم قضى سطيح مكانه. وقدم عبد المسيح على كسرى وأخبره بقول سطيح ، فقال : إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً كانت أمور . فملك منهم عشرة في أربع سنين وذكر في العقد أن سطيحاً كان على زمن نزار بن معد ، وكان من حديثه شق الملكين بطنه و استخراج العلقة السوداء من قلبه ، وغسلهم أحشاءه وقلبه بالثلج ، وذلك لرابعة من مولده وكان شأنه في رضاعه وصباه وشبابه ومرباه عجباً ثم استمر على أكمل الزكاء والطهارة في أخلاقه ، وكان يعرف بالأمين ثم بدى بالرؤيا الصالحة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

وأما شرفه ﷺ وشرف أهل بيته فروى البيهقي عن ابن عباس ، قال : قال له رسول الله ﷺ « والذي نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله » .

وروي عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله خلق السموات سبعاً فاختار العلي منها فأسكنها من شاء من خلقه ، ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم واختار من بني آدم العرب ، واختار من العرب مضر ، واختار من مضر قريشاً ، واختار من قريش بني هاشم ، واختارني من بني هاشم » .

وعن عايشة قالت : قال رسول الله ﷺ « قال لي جبرئيل : قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ، ولم أجد بني أب أفضل من بني هاشم». وفي الباب أحاديث كثيرة صحيحة شهيرة لا يسعها هذا المقام.

وأما نسبه ﷺ فقد تقدم ذكر بني اسماعيل الذين هم على عمود نسب رسول الله ﷺ والخارجين عن عمود النسب .

وأما نسبه ﷺ سرداً فهو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوى ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ونسبه إلى عدنان متفق عليه من غير خلاف صحيح باتفاق النسابين ، وعدنان من ولد اسماعيل من غير خلاف ورجحه ابن سيد الناس ، وصححه .

وقال ابن خلدون باتفاق من النسابين ، انتهى .

ولكن الخلاف في عدة الاباء الذين بين عدنان واسماعيل عليه السلام فعد بعضهم بينهما نحو أربعين رجلاً وبعضهم سبعة .

قال البيهقي : وكان شيخنا أبو عبد الله الحافظ يقول نسبة رسول الله ﷺ صحيحة إلى عدنان ، وما وراء عدنان فليس فيه شيء يعتمد عليه ، انتهى.

وقال ابن خلدون : إن الآباء بينه وبين اسماعيل غير معروفة وتنقلب في غالب الأمر مخلطة مختلفة بالقلة والكثرة في العدد . فأما نسبته اليه فصحيحة في الغالب ، انتهى.

وفي « سبائك الذهب » لأبي الفوز محمد أمين السويدي البغدادي وقد انتسب النبي ﷺ إلى عدنان هذا كما روى ذلك البيهقي وابن عساكر عن أنس وهو المتفق عليه بين النسابين . وأما النسب من عدنان إلى آدم عليه السلام، فقد وقع الاختلاف فيه ، قال : « الحافظ شرف الدين الدمياطي من بعد أن ساق هذا النسب هكذا ساقه أبو علي محمد بن أسعد النسابة » ، وقال : « هذا أصح الطرق وأحسنها وأوضحها وهي رواية شيوخنا في النسب » .

ثم اختلف في كراهة رفع النسب من عدنان إلى آدم فذهب بن اسحاق وابن جرير وغيرهما إلى جوازه وعليه البخاري وغيره من العلماء .

وذهب جمع من أهل العلم إلى كراهة ذلك ومنهم مالك ، فإنه لما سئل عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم كرهه ، وقال : « من يخبره به وقد وردت آثار تفيد منع رفع النسب من عدنان إلى آدم منها ما ورد عنه ﷺ أنه قال ﴿ لا تجاوزوا معد بن عدنان ﴾ .

وعن ابن عباس، قال : « أن النبي ﷺ كان إذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان ثم يمسك ويقول كذب النسابون مرتين أو ثلاثاً » .

وعن عمر بن الخطاب قال : « إنما ننتسب إلى عدنان وما فوق ذلك لا ندري ما هو وقد تقدم الكلام في ذلك وعضد ذلك باتفاق النسابين على بعد المدة بين عدنان واسماعيل بحيث يستحيل في العادة أن يكون بينهما أربعة آباء أو خمسة أو عشرة إذ المدة أطول من هذا كله بكثير » .

قال أبو الفدا : « وسبب هذا الاختلاف أن قدماء العرب لم يكونوا أصحاب كتب يرجعون اليها ، وإنما كانوا يرجعون إلى حفظ بعضهم من حفظ بعض ». وقال ابن خلدون: « ولعل الخلاف إنما جاء من قبل اللغة لأن الأسماء ترجمت من العبرانية » . انتهى .

وقال ابن الجوزي : « أن اليهود اختلفوا اختلافاً متفاوتاً بين آدم ونوح وفيما بين الأنبياء من السنين، وهذا هو سبب الاختلاف» ، انتهى .

ومواطن بني عدنان مختصة بنجد وكلها بادية رحالة إلا قريشاً بمكة ، ولم يشاركهم في ذلك أحد من العرب إلا طيئ من كهلان ، ثم افترقت بنو عدنان في تهامة الحجاز ثم في العراق والجزيرة ، ثم تفرقوا بعد الاسلام في الأقطار .

وكان له ﷺ من الأولاد خمسة « القاسم » و « الطيب » و « الطاهر » و « عبد الله » و « ابراهيم » .

ومن الإناث أربع « رقية » و « زينب » و « أم كلثوم » و « فاطمة » وأوصافه الغر ﷺ أكثر من أن يحيط بها وصف ، ولم يبق له ﷺ عقب إلا من فاطمة رضي الله عنها .

وكان رسول الله ﷺ يحبها حباً شديداً ، وكان لها ولدان الحسن والحسين وهما ريحانتا رسول الله ﷺ ، وسيدا شباب أهل الجنة، وولد الحسين بالمدينة لخمس خلون من شعبان لسنة أربع من الهجرة وقال ﷺ «حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب الحسين» وفضائله كثيرة لا يسعها المقام وولد له « علي » ويلقب بزين العابدين بالمدينة في أيام جده علي بن أبي طالب قبل وفاته بسنتين ، وتوفي سنة أربع وتسعين ودفن بالبقيع وله من العمر سبع وخمسون سنة ومات مسموماً سمه الوليد ابن عبد الملك .

وولد له « محمد الباقر » بالمدينة قبل قتل جده الحسين بثلاث سنين وأمه فاطمة بنت الحسن وله من العمر ثمانية وخمسون سنة . مات بالسم في زمن ابراهيم بن الوليد ودفن بالبقيع في قبة العباس وولد له « جعفر الصادق » بالمدينة سنة ثمانين من الهجرة وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر توفي في سنة مائة وثمانية وأربعين وله من العمر ثمانية وسبعون سنة ، قيل مات مسموماً في زمن المنصور ودفن بالبقيع ، وولد له « موسى الكاظم » بالابواء سنة مائة وثمانية وعشرين وأمه حميدة البربرية .

وكانت وفاته سنة مائة وثلاث وثمانين من الهجرة وله من العمر خمس وخمسون سنة ودفن بمقابر قريش ، وولد له « علي الرضا » وتوفي بطوس قرية من قرى خراسان في آخر صفر سنة مائتين وثلاثين وله من العمر خمسة وخمسون سنة .

وولد له « محمد الجواد » بالمدينة المنورة تاسع شهر رمضان سنة تسع وتسعين ومائة وأمه أم ولد وزوجه المأمون ابنته ام الفضل وسيره إلى المدينة توفي ببغداد ودفن في مقابر قريش بالقرب من جده موسى الكاظم .

وولد له « علي الهادي » وتوفي يوم الاثنين سنة مائتين واثنتين وخمسين ، ودفن بسر من رأى وله من العمر أربعون سنة ، واليه ينتهي نسب محرر هذه السطور ويبلغ منه إلى رسول الله ﷺ بالترتيب المذكور وسرده هكذا ، ولد لعلي الهادي جعفر الزكي على عمود النسب .

وولد له علي الأشقر المختار .

وولد له عبد الله .

وولد لعبد الله السيد محمد البغدادي .

وولد له السيد محمود .

وولد لمحمود السيد محمد البخاري .

وولد لمحمد المذكور السيد جعفر .

وولد لجعفر السيد علي موبد البخاري .

وولد له السيد حسين أبو عبد الله الملقب بالسيد جلال أعظم البخاري .

وولد له السيد أحمد الكبير .

وولد له السيد أبو عبد الله حسين المعروف بمخدوم جهانيان جهان كشت المتوفي بأرض ملتان من إقليم السند المدفون بقرية أج .

وولد له السيد محمود الملقب بناصر الدين .

وولد له السيد حامد الكبير .

وولد له السيد أبو الفتح ركن الدين سجاد .

وولد له السيد جلال الثالث البخاري .

وولد له السيد راجو شهيد صاحب السجادة ببلدة قنوج .

وولد له السيد جلال الرابع .

وولد له السيد تاج الدين .

وولد له السيد كبير .

وولد له السيد علي أصغر .

وولد له السيد لطف الله .

وولد له السيد عزيز الله .

وولد له السيد لطف الله المسمى باسم جده .

وولد له السيد علي الملقب بنواب أولاد عليخان بهادر أنور جنك المتوفي بأرض حيدر آباد من بلاد دكن .

وولد له والدي « السيد العلامة حسن » المعروف بسيد أولاد حسن القنوجي المتوفى بقنوج سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف وله من الفضائل العلمية والفواضل العملية والآيات والكرامات ما يغني شهرته عن الذكر والضبط ، وولد له هذا العبد « صديق بن حسن » عفا الله عنه .

ذكر تجديد قريش عمارة الكعبة وما كان من اجتماع العرب على الاسلام بعد الاباية والحرب

قيل لما مات اسماعيل ولي البيت بعده ابنه نابت ، ثم صارت ولاية البيت إلى جرهم ، ثم إلى خزاعة ، ثم إلى قريش ، وكانت الكعبة قصيرة البناء فأرادت قريش رفعها فهدموها ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الحجر الأسود فاختصموا فيه ، لأن كل قبيلة أرادت أن ترفعه إلى موضعه . ثم اتفقوا على أن يحكموا أول داخل من باب الحرم فكان رسول الله ﷺ أول داخل فحكموه فأمرهم أن يضعوا الحجر في ثوب وأن يمسك كل قبيلة بطرف من أطرافه ، وأن يرفعوه إلى موضعه ففعلوا ذلك وأخذه رسول الله ﷺ عند وصوله إلى موضعه فوضعه بيده الكريمة موضعه ، ثم أتموا بناء الكعبة وكانت تكسى القباطي ، ثم كسيت البرود وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف .

وكان عمر النبي ﷺ حين رضيت قريش بحكمه خمساً وثلاثين سنة قبل مبعثه بخمس سنين ولما استقر أمر قريش بمكة على ما استقر وافترقت قبائل مضر في أدنى مدن الشام والعراق وما دونهما من الحجاز ، فكانوا ظعوناً وأحياء ، وكان جميعهم بمسغبة وفي جهد من العيش بحرب بلادهم وحرب فارس والروم على تلول العراق والشام وأربابهما ينزلون حاميتهم بثغورها ، ويجهزون كتائبهم بتخومها ويولون على العرب من رجالاتهم وبيوت العصائب منهم من يسومهم القهر ويحملهم على الانقياد ، حتى يؤتوا جباية السلطان الأعظم وإتاوة ملك العرب ، ويؤدوا ما عليهم من الدماء والطوائل من يسترهن أبناءهم على السلم وكف العادية ومن

انتجاع الأرباب ، وميرة الأقوات والعساكر من وراء ذلك توقع بمن منع الخراج وتستأصل من يروم الفساد .

وكان أمر مضر راجعاً في ذلك إلى ملوك كندة بني حجر آكل المرار منذ ولاه عليهم تبع حسان ، ولم يكن في العرب ملك إلا في آل المنذر بالحيرة للفرس ، وفي آل جفنة بالشام للروم ، وفي بني حجر هؤلاء على مضر والحجاز .

وكانت قبائل مضر مع ذلك بل وسائر العرب أهل بغي وإلحاد وقطع أرحام وتنافس في الردى وإعراض عن ذكر الله فكانت عبادتهم الأوثان والحجارة ، وأكلهم العقارب والخنافس والحيات والجعلان ، وأشرف طعامهم أوبار الابل إذا أمروها في الحرارة في الدم وأعظم عزهم وفادة على آل المنذر وآل جفنة ، وبني جعفر ونجعة من ملوكهم وإنما كان تنافسهم الموؤدة والسائبة والوصيلة والحامي فلما تأذن الله بظهورهم واشرأبت إلى الشرف هوادي أيامهم وتم أمر الله في إعلاء أمرهم وهبت ريح دولتهم وملة الله فيهم ، تبدت تباشير الصباح من أمرهم وأونس الخير والرشد في خلالهم ، وأبدل الله بالطيب الخبيث من أحوالهم وشرهم واستبدلوا بالذل عزاً وبالمآثم متاباً وبالشر خيراً وبالضلالة هدى وبالمسغبة شبعاً ورياً وإيالة وملكاً . وإذا أراد الله أمراً يسر أسبابه فكان لهم من العز والظهور قبل المبعث ما كان وتنافست العرب في الخلال ، وتنازعوا في المجد والشرف حسب ما هو مذكور في أيامهم وأخبارهم وكان حظ قريش من ذلك أوفر على نسبة حظهم من مبعثه وعلى ما كانوا ينتحلونه من هدى آبائهم . ثم ألقى الله في قلوبهم التماس الدين وإنكار ما عليه قومهم من عبادة الأوثان حتى تلاوموا في عبادة الأحجار والأوثان ، وتواصوا بالنفر في البلدان بالتماس الحنيفية دين ابراهيم نبيهم ، ثم تحدث الكهان والحزاة قبل النبوة ، وأنها كائنة في العرب وأن ملكهم سيظهر .

وتحدث أهل الكتاب بما في التوراة والانجيل من بعث محمد وأمته وظهرت كرامة الله بقريش ومكة في أصحاب الفيل إرهاصاً بين يدي مبعثه ، ثم ذهب ملك الحبشة من اليمن على يد ابن ذي يزن ثم رجمت الشياطين عن استماع خبر السماء في أمره وأصغى الكون لإستماع أنبائه .

ذكر مبعث رسول الله ﷺ

لما بلغ ﷺ أربعين سنة بعثه الله إلى الأسود والأحمر رسولاً ناسخاً بشريعته الشرائع الماضية والأديان الخالية ، فكان أول ما ابتدى به من النبوة الرؤيا الصادقة ، وحبب الله اليه الخلوة ، وكان يجاور في جبل حراء من كل سنة شهراً ، فلما كانت سنة مبعثه خرج إلى حراء في رمضان للمجاورة فيه ومعه أهله حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله سبحانه وتعالى فيها جاء جبريل عليه السلام فقال له : « اقرأ » قال له : « ما أنا بقاريء » ثم قال له جبريل ثانياً وثالثاً : « إقرأ » قال : « فما أقرأ » قال : ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾[1] إلى قوله ﴿ علم الانسان ما لم يعلم ﴾[2] فقرأها . وقال ورقة بن نوفل : لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى بن عمران وأنه نبي هذه الأمة ثم تواتر الوحي اليه أولاً فأولاً .

وكان أول الناس من النساء إسلاماً خديجة ، ومن الرجال أبو بكر ، ومن الصغار علي بن أبي طالب ، ومن الموالي زيد بن حارثة ، وكانت دعوة رسول الله ﷺ إلى الاسلام سراً ثلاث سنين ثم أمره الله بإظهار الدعوة حتى أسلم عمر بن الخطاب وكان ما كان ، ولله الأمر من قبل ومن بعد ، وكان أمر الله قدراً مقدورا ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . وكتب السنة المطهرة ودواوين الاسلام وتواريخه كأبي الفدا وابن خلدون والخميس تغنى عن بيان أحواله ﷺ لأنها اشتملت على جميع ما كان من مولده إلى وفاته ﷺ ، وليس هذا موضع تفاصيلها .

ذكر تاريخ الهجرة النبوية

وهي ابتداء التاريخ الاسلامي . أما لفظ التاريخ فإنه محدث في لغة

---

(١) سورة العلق ، الآية : ١ .
(٢) سورة العلق ، الآية : ٥ .

العرب ، لأنه معرب من ماه وروز كما تقدم ، وبذلك جاءت الرواية .

روى ابن سليمان ، عن ميمون بن مهران ، أنه رفع إلى عمر بن الخطاب في خلافته رضي الله عنه صك محله شعبان ، فقال : أي شعبان ؟ أهذا هو الذي نحن فيه أم الذي هو آت ؟

ثم جمع وجوه الصحابة ، وقال : إن الأموال قد كثرت وما قسمنا منها غير موقت فكيف التوصل إلى ما نضبط به ذلك ؟ فقالوا : نحب أن يعرف ذلك من رسوم الفرس .

فعندها استحضر عمر الهرمزان وسأله عن ذلك ، فقال : إن لنا حساباً نسميه ماهروز ، ومعناه : حساب الشهور والأيام ، فعربوا الكلمة فقالوا ، مؤرخ ، ثم جعلوا اسمه التاريخ . واستعملوه ثم طلبوا وقتاً يجعلونه أولاً لتاريخ دولة الاسلام واتفقوا على أن يكون المبدأ سنة هذه الهجرة ، وكانت الهجرة من مكة إلى المدينة شرفهما الله تعالى .

وقد تصرم من شهور هذه السنة وأيامها المحرم وصفر وثمانية أيام من ربيع الأول ، فلما عزموا على تأسيس الهجرة رجعوا القهقري ثمانية وستين يوماً ، وجعلوا مبدأ التاريخ أول المحرم من هذه السنة ، ثم أحصوا من أول يوم في المحرم إلى آخر يوم من عمر النبي ﷺ فكان عشر سنين وشهرين .

وأما إذا حسب عمره من الهجرة حقيقة ، فيكون قد عاش بعدها تسع سنين ، وواحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً .

التواريخ القديمة

المشهورة من السنين بين الهجرة وبين آدم على مقتضى التوراة اليونانية واختيار المؤرخين ستة آلاف ومائتان وست عشرة سنة ، وعلى مقتضى التوراة اليونانية واختيار المنجمين حسب ما أثبتوا في الزيجات خمسة آلاف وتسعمائة وسبع وستون سنة ، وعلى مقتضى التوراة العبرانية واختيار المؤرخين أربعة آلاف وسبعمائة وإحدى وأربعون سنة . وأما على اختيار

المنجمين ينقص عنه مائتان وتسع وأربعون سنة ، وعلى مقتضى التوراة السامرية واختيار المؤرخين خمسة آلاف ومائة وسبع وثلاثون سنة ، وأما على اختيار المنجمين فينقص ما ذكر وكذلك جاء الأمر في جميع التواريخ التي قبل بخت نصر ، فبين الهجرة وبين الطوفان على اختيار المنجمين ثلاثة آلاف وتسعمائة وأربع وسبعون سنة ، وكان الطوفان لستمائة سنة مضت من عمر نوح وعاش نوح بعده ثلاثمائة وخمسين سنة وعلى اختيار المنجمين ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وعشرون سنة حسب ما قرره أبو معشر وكوشيار وغيرهما في الزيجات والتقاويم . وبين الهجرة وتبلبل الألسن على اختيار المؤرخين ثلاثة آلاف وثلاثمائة وأربع سنين ، وأما على اختيار المنجمين فتنقص عنه مائتين وتسعاً وأربعين سنة حسب ما تقدم ذكره وبين الهجرة وبين مولد ابراهيم الخليل على اختيار المؤرخين ألفان وثمانمائة وثلاث وتسعون سنة ، وأما على اختيار المنجمين فتنقص عنه مائتين وتسعاً وأربعين سنة وبين الهجرة وبين بناء الكعبة على يد ابراهيم الخليل وولده اسماعيل ألفان وسبعمائة ونحو ثلاث وتسعين سنة ، وكان ذلك بعد مضي مائة سنة من عمر ابراهيم وهو القريب والله أعلم .

وبين الهجرة وبين وفاة موسى على اختيار المؤرخين ألفان وثلاثمائة وثمان وأربعون سنة ، وأما على اختيار المنجمين فتنقص عنه مائتين وتسعاً وأربعين سنة ، وبين الهجرة وبين عمارة بيت المقدس على اختيار المؤرخين ألف وثمانمائة وقريب سنتين ، وكان فراغه لمضي إحدى عشرة سنة من ملك سليمان ولمضي خمسمائة وست وأربعين سنة لوفاة موسى ، وأما على اختيار المنجمين فتنقص عند مائتين وتسعاً وأربعين سنة ، وبين الهجرة وبين ابتداء ملك بخت نصر ألف وثلاثمائة وتسع وستون سنة وليس فيه خلاف ، وبين الهجرة وبين خراب بيت المقدس ألف وثلاثمائة وخمسون سنة ، وكان لمضي تسع عشرة سنة لبخت نصر واستمر خراباً سبعين سنة ، ثم عمر ، وبين الهجرة وبين غلبة الاسكندر على دارا ملك الفرس تسعمائة وأربع وثلاثون سنة وكانت أيضاً ابتداء ملكه على الفرس وبقي الاسكندر بعد غلبته على دارا نحو سبع سنين ، وبين الهجرة وبين فيلبس

تسعمائة وسبع وعشرون سنة وهو أخو الاسكندر أصغر منه باثنتي عشرة سنة ، وملك بعده على مقدونية كما ذكره بطليموس ، وبين الهجرة وبين غلبة أغسطس على قلوبطرا ملكة مصر ستمائة واثنتان وخمسون سنة وكانت بسنة اثنتي عشرة من ملك أغسطس ، وبين الهجرة وبين مولد المسيح عليه السلام ستمائة وإحدى وثلاثون سنة وكانت بسنة أربع وثلاثمائة لغلبة الاسكندر ولإحدى وعشرين سنة مضت من غلبة اغسطس على قلوبطرا ، وبين الهجرة وبين الخراب الثاني لبيت المقدس خمسمائة وثمان وخمسون سنة وكان لمضي أربعين سنة من رفع المسيح عليه السلام وهو تاريخ لسنة اليهود إلى الآن ، وبين الهجرة وبين أول ملك أدريانس خمسمائة وسبع سنين ، وبين الهجرة وبين قيام ازدشير بن بابك أربعمائة واثنتان وعشرون سنة وهو أيضاً تاريخ انقراض ملوك الطوائف ، وبين الهجرة وبين أول ملك دوقلطيانس ثلاثمائة وتسع وثلاثون سنة وهو آخر عبدة الأصنام من ملوك الروم ، وبين الهجرة وبين مولد رسول الله ﷺ ثلاث وخمسون سنة وشهران وثمانية أيام ، وبين الهجرة وبين مبعث رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة وشهران وثمانية أيام ، وبين الهجرة وبين وفاة رسول الله ﷺ تسع سنين وأحد عشر شهراً واثنان وعشرون يوماً وهي بعد الهجرة وقد وضع أبو الفدا في « المختصر » زائجة تتضمن ما بين الهجرة وبين التواريخ القديمة المشهورة من السنين وذكر ما ذكرنا هنا والله أعلم .

ذكر اختلاف التواريخ القديمة

ينبغي لمتأمل التواريخ القديمة أن يعلم أن الاختلاف فيها بين المؤرخين كثير جداً .

قال إبن الأثير في ذكر ولادة المسيح عليه السلام أن ولادته كانت بعد خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر عند المجوس .

وأما عند النصارى فكانت ولادته بعد ثلاثمائة وثلاث سنين من غلبة الاسكندر وهذا تفاوت فاحش وكذلك عند أبي معشر وكوشيار وغيرهما

من المنجمين أن بين الطوفان وبين الهجرة ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمساً وعشرين سنة ، وهو الثابت في الزيجات مثل الزيج المأموني وغيره .

وأما المحققون من المؤرخين فيقولون أن بين الطوفان وبين الهجرة ثلاثة آلاف وتسعمائة وأربعاً وسبعين سنة فيكون التفاوت بينهما مائتين وتسعاً وأربعين سنة .

وسبب هذا الاختلاف أن من هبوط آدم إلى وفاة موسى لا يعلم إلا من التوراة ، والتوراة مختلفة على ثلاث نسخ كما ستقف على ذلك إن شاء الله تعالى .

وأما ما بين وفاة موسى إلى ابتداء ملك بخت نصر فيعلم من المنجمين . قال أبو عيسى : ويعلم من قرانات زحل والمشتري في المثلثات وهم أيضاً مختلفون في ذلك ويعلم أيضاً من سفر قضاة بني إسرائيل وهو أيضاً غير محصل .

وأما ما يؤخذ عن المؤرخين قبل الاسلام فهو أيضاً مضطرب لأنهم كانوا يؤرخون من ابتداء ملك كل من يتملك منهم فكثرت ابتداءات تواريخهم .

قال حمزة الأصفهاني : وفسدت تواريخهم بسبب ذلك فساداً لا مطمع في إصلاحه مع ما انضم إلى ذلك من بعد العهد وتغير اللغات كقدم الكتب المؤلفة في هذا الفن ، فصار تحقيق التواريخ القديمة بسبب ذلك متعذراً أو في غاية التعسر .

ذكر نسخ التوراة التي عليها مدار التواريخ القديمة

وهي ثلاث : « **الأولى السامرية** » وهي تنبئ أن من هبوط آدم إلى الطوفان ألفاً وثلاثمائة وسبع سنين . وكان الطوفان ستمائة سنة خلت من عمر نوح وعاش آدم تسعمائة وثلاثين سنة باتفاق فيكون نوح على حكم هذه التوراة قد أدرك من عمر آدم فوق مائتي سنة . فنوح قد أدرك جميع

آبائه إلى آدم وهذا غاية المنكر وتنبئ هذه النسخة أن من انقضاء الطوفان إلى ولادة ابراهيم الخليل عليه السلام تسعمائة وسبعاً وثلاثين سنة ، وأن من ولادة ابراهيم إلى وفاة موسى خمسمائة وخمساً وأربعين سنة ، فمن آدم إلى وفاة موسى حينئذ ألفان وسبعمائة وتسع وثمانون سنة ، وأما ما بين وفاة موسى وبين الهجرة ففيه مذهبان : أحدهما اختيار المؤرخين والآخر اختيار المنجمين . فإذا ضممنا إلى ذلك ما بين وفاة موسى والهجرة كان بين هبوط آدم وبين الهجرة على حكم اختيار المؤرخين وحكم توراة السمرة خمسة آلاف ومائة وسبع وثلاثون سنة ، وأما على اختيار المنجمين فتنقص عن هذه الجملة مائتين وتسعاً وأربعين سنة ، فقد ظهر لك فساد هذه التوراة من كونها تقتضي إدراك نوح آدم وعيشه معه المدة الطويلة .

« **الثانية العبرانية** » وهي أيضاً فاسدة ، وذلك أنها تنبئ أن ما بين هبوط آدم وبين الطوفان ألف وخمسمائة وست وخمسون سنة ، وبين الطوفان وبين ولادة ابراهيم مائتان واثنتان وتسعون سنة وعاش نوح بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة باتفاق . فالتوراة العبرانية تنبئ أن نوحاً أدرك من عمر ابراهيم الخليل ثمانياً وخمسين سنة ، وهذا أيضاً غاية المنكر ، فإن نوحاً لم يدرك ابراهيم أصلاً ولا يجوز ذلك لأن قوم هود أمة نجمت بعد قوم نوح وأمة صالح نجمت بعد أمة هود وابراهيم ، وأمته بعد أمة صالح ، ومما يدل على ذلك قوله تعالى مخبراً عن هود فيما يعظ به قومه وهم قوم عاد ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة ﴾(١) وكذلك أخبر الله تعالى عن صالح فيما يعظ به قومه وهم ثمود ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً ﴾(٢) فقد ظهر فساد هذه التوراة العبرانية بذلك وهي التوراة التي بيد اليهود إلى زماننا هذا وعليها اعتمادهم .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٦٩ .
(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٧٤ .

ولنستوف ما تنبيْ به من جملة سني العالم قد تقدم أنها تنبيْ أن بين هبوط آدم وبين الطوفان ألفاً وخمسمائة وستاً وخمسين سنة ، وبين الطوفان وبين ولادة ابراهيم مائتين واثنتين وتسعين سنة ، وبين ولادة ابراهيم وبين وفاة موسى خمسمائة وخمساً وأربعين سنة باتفاق ، وما بين وفاة موسى وبين الهجرة فيه المذهبان المذكوران فعلى اختيار المؤرخين ومقتضى العبرانية يكون بين آدم وبين الهجرة أربعة آلاف وسبعمائة وإحدى وأربعون سنة ، وأما على اختيار المنجمين فتنقص من هذه الجملة مائتين وتسعاً وأربعين سنة فيكون من آدم إلى الهجرة على ذلك أربعة آلاف وأربع مائة واثنتان وتسعون سنة وجملة سني هذه التوراة تنقص عن التوراة اليونانية ، وهي التي عليها العمل ألفاً وأربعمائة وخمساً وسبعين سنة ، وهذه الجملة هي القدر الذي نقصه اليهود من الماضي من سني العالم فنقصوا من قبل الطوفان ستمائة وستاً وثمانين سنة ، ومن بعد الطوفان سبعمائة وتسعاً وثمانين سنة الجملة ألف وأربعمائة وخمس وسبعون سنة وصورة ما اعتمده اليهود في ذلك أنهم نقلوا من عمر كل واحد من آدم وبنيه مائة سنة من قبل ميلاد ابنه إلى بعد الميلاد فلم تتغير جملة عمر ذلك الشخص ونقصت مدة الزمان فإن آدم لما صار له مائتان وثلاثون سنة ولد له شيث وعاش آدم تسعمائة وثلاثين سنة باتفاق ، فأخذ اليهود مائة سنة من عمر آدم قبل أن يولد له شيث جعلوها بعد مولد شيث فلم تتغير جملة عمر آدم وجعلوه أنه ولد شيث لمضي مائة وثلاثين سنة من عمره وكذلك اعتمدوا في كل من بعده فنقص من سني العالم القدر المذكور ، قالوا : والذي دعا اليهود إلى ذلك أن التوراة وغيرها من كتب بني إسرائيل بشرت بالمسيح ، وأنه يجيء في أواخر الزمان ، وكان مجيء المسيح في الألف السادس في توسط الزمان لا في آخره بناء على أن عمر الزمان جميعه سبعة آلاف سنة .

« **والثالثة التوراة اليونانية** » وهي التي اختارها المحققون من المؤرخين وليس فيها ما يقتضي الانكار من جهة الماضي من عمر الزمان ، وهي توراة نقلها اثنان وسبعون حبراً قبل ولادة المسيح بقريب ثلاثمائة سنة لبطليموس اليوناني الذي كان بعد الاسكندر ولذلك اعتمدنا على هذه

التوراة دون غيرها والذي تنبيءُ به هذه التوراة أن ما بين هبوط آدم والطوفان ألفان ومائتان واثنتان وأربعون سنة ، وما بين الطوفان ، وكان ستمائة سنة مضت من عمر نوح ، وبين مولد ابراهيم الخليل ألف وإحدى وثمانون سنة ، وبين مولد ابراهيم ووفاة موسى خمسمائة وخمس وأربعون سنة باتفاق في نسخ التوراة جميعها ، وبين وفاة موسى وبين ابتـــداء ملك بخت نصر فيه خلاف بين المنجمين والمؤرخين والذي اختاره المؤرخون أن بين وفاة موسى وبين ابتداء ملك بخت نصر تسعمائة وثمانياً وسبعين سنة ومائتين وثمانية وأربعين يوماً . وأما ما بين ابتداء ملك بخت نصر وبين الهجرة فهو ألف وثلاثمائة وتسع وستون سنة ومائة وسبعة عشر يوماً وليس فيه خلاف ، لأن بطليموس أثبته في المجسطي وأرخ به رصده فيكون بين الهجرة وبين هبوط آدم ستة آلاف سنة ومائتان وست عشرة سنة .

وهذا القدر هو المختار وعليه بنى أبو الفدا كتابه « المختصر في أحوال البشر » .

وأما الذي اختاره المنجمون وأثبتوه في الزيجات من المدة بين وفاة موسى وبين بخت نصر فإنها تنقص عما ذكرناه مائتين وتسعاً وأربعين سنة . واقترح أبو الفدا جدولاً يتضمن ما بين التواريخ المشهورة من المدد ، وقال : ينبغي أن تعلم أن المحققين من المنجمين والمؤرخين قد اختلفوا في المدة التي بين وفاة موسى وابتداء ملك بخت نصر اختلافاً كثيراً فذهب أبو عيسى والمحققون من المؤرخين إلى أن بينهما تسعمائة وثمانياً وسبعين سنة ومائتين وثمانية وأربعين يوماً وهو الذي اخترناه وأثبتناه في جدولنا ، وجعلنا الأيام المذكورة على سبيل الجبر سنة فصار المثبوت في الجدول تسعمائة وتسعاً وسبعين سنة . وأما أبو معشر وكوشيار وغيرهما من كبار المنجمين فإنهم أثبتوا في الزيجات أن بين وفاة موسى وابتداء ملك بخت نصر سبعمائة وعشرين سنة ، وذلك ينقص عما اختاره أبو عيسى وغيره من المحققين مائتين وتسعاً وأربعين سنة . وإذا نقص ما بين وفاة موسى وبخت نصر المدة المذكورة نقص ما بين الطوفان والهجرة

قطعاً ، فلذلك تجد في الزيج المأموني وغيره من الزيجات أن بين الطوفان وبين الهجرة ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمساً وعشرين سنة ، وتجد ما بين الطوفان وبين الهجرة في جدولنا هذا ثلاثة آلاف وتسعمائة وأربعاً وسبعين سنة فيكون ما في الجدول أزيد مما في الزيجات بمائتين وتسع وأربعين سنة . وأما بمقتضى سفر قضاة بني إسرائيل وسفر ملوكهم إذا جمعنا مدد ولايتهم فإن بين وفاة موسى وبين ملك بخت نصر بمقتضى ذلك اثنتين وخمسين وتسع مائة سنة ، وأما من بخت نصر إلى الهجرة فلم يختلف فيه لأن بطليموس أثبته في المجسطي ، وأما تاريخ فيلبس فهو مشهور كما تقدم فيما سبق وقد أرخ به بطليموس في المجسطي غالب أرصاده ولكنا تركناه للاختصار لقربه من تاريخ الاسكندر لأنه متقدم على تاريخ الاسكندر باثنتي عشرة سنة فإذا زدت على تاريخ الاسكندر اثنتي عشرة سنة خرج فيلبس وأما أزدشير بن بابك فبين ملكه وبين الاسكندر خمسمائة واثنتا عشرة سنة تقريباً ، وبينه وبين الهجرة أربعمائة واثنتان وعشرون سنة . انتهى كلامه .

وهذا غاية الجمع والبيان في أحوال التواريخ القديمة للزمان من هبوط آدم عليه السلام إلى الهجرة النبوية .

ولعلك لا تجد أكثر منه وأوضح مجموعاً في كتاب بسيط وسفر وسيط ومرقوم محيط وإن وجدت شيئاً من ذلك بعد جهد بالغ وجدت ما ذكرناه في صحف جمة لا في مقالة صغيرة فخذه وكن من الشاكرين .

ذكر وفاة رسول الله ﷺ

إذا أحطت علماً بما ذكرنا من تاريخ الهجرة واختلاف التواريخ المتقدمة فاعلم أنه لما قدم رسول الله ﷺ من حجة الوداع أقام بالمدينة حتى مضت سنة عشر والمحرم من سنة إحدى عشرة ومعظم صفر وابتدأ برسول الله ﷺ مرضه في أواخر صفر قيل لليلتين بقيتا منه وهو في بيت زينب بنت جحش . وكان يدور على نسائه حتى اشتد مرضه وهو في بيت ميمونة بنت الحارث ، فجمع نساءه واستأذنهن في أن يمرض في بيت إحداهن فأذن له أن يمرض في بيت عائشة ، فانتقل اليها وفي أثناء

مرضه خرج بين الفضل بن العباس وعلي بن أبي طالب حتّى جلس على المنبر فحمد الله ثم قال: «أيها الناس من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد مني ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد منه ومن أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه ولا يخشى الشحناء من قبلي فإنها ليست من شأني» ثم نزل وصلى الظهر ثم رجع إلى المنبر فعاد إلى مقامه، فادعى عليه رجل ثلاثة دراهم فأعطاه عوضها ثم قال: «إلا أن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة» ثم صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم ثم قال: «إن عبداً خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده» فبكى أبو بكر ثم قال فديناك بأنفسنا ثم أوصى بالأنصار، وكان في أيام مرضه يصلي بالناس وإنما انقطع ثلاثة أيام، فلما أذن بالصلاة أول ما انقطع قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» وتزايد به مرضه حتّى توفي يوم الاثنين ضحوة النهار، وقيل نصف النهار لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول.

فعلى هذه الرواية يكون يوم وفاته موافقاً ليوم مولده، ولما مات ارتد أكثر العرب إلا أهل المدينة ومكة والطائف فإنه لم يدخلها ردة وقيل دفن يوم الثلاثاء ثاني يوم موته، وقيل ليلة الأربعاء وهو الأصح وقيل بقي ثلاثاً لم يدفن. وكان الذي تولى غسله علي بن أبي طالب والعباس والفضل وقثم ابنا العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله ﷺ، فكان العباس وابناه يقلبونه وأسامة وشقران يصبان الماء وعلي يغسله وعليه قميصه وهو يقول: «بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً» ولم ير منه ما يرى من ميت وكفن ﷺ في ثلاثة أثواب ثوبين صحاريين وبرد حبرة أدرج فيها أدراجاً وصلوا عليه ودفنوه تحت فراشه الذي مات عليه، وحفر له أبو طلحة الأنصاري، وأنزل في قبره علي والفضل وقثم.

واختلف في مدة عمره ﷺ فالمشهور أنه ثلاث وستون سنة وقيل خمس وستون سنة وقيل ستون سنة، والمختار أنه بعث لأربعين سنة وأقام بمكة يدعو إلى الاسلام ثلاث عشرة سنة وكسراً، وأقام بالمدينة بعد الهجرة قريب عشر سنين، فذلك ثلاث وستون سنة وكسور وقد رثاه جمع من الصحابة والصحابيات بمراث كثيرة.

وكان بين كتفيه خاتم النبوة وهو بضعة ناشزة حولها شعر مثل بيضة الحمامة تشبه جسده ، وقيل كان لونه أحمر ، قال أبو هريرة : خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير ، وكان يأتي على آل محمد الشهر والشهران لا توقد في بيت من بيوته نار ، وكان قوتهم التمر والماء ، وكان يعصب على بطنه الحجر من الجوع . قيل كانت غزواته تسع عشرة وقيل ستاً وعشرين وقيل سبعاً وعشرين غزوة . وآخر غزواته غزوة تبوك ووقع القتال منها في تسع وهي : « بدر » و « أحد » و «الخندق» و « قريظة » و « المصطلق » و « خيبر » و « الفتح» و « حنين » و «الطائف» وباقي الغزوات لم يجر فيها قتال . وأما السرايا والبعوث فقيل خمس وثلاثون ، وقيل ثمان وأربعون ودواوين الاسلام وكتب السنة المطهرة قد اشتملت على تفاصيل أحواله ﷺ وماجرياته بما هو معروف عند علماء هذا الشأن . وليس هذا موضع ذكرها وأوصافه أجل من أن تحصر أو تحيطه الدفاتر صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا .

ذكر طرف من هيئة الأفلاك

إعلم أن الكواكب أجسام كريات والذي أدرك منها الحكماء بالرصد ألف كوكب وتسعة وعشرين كوكباً ، وهي على قسمين : سيارة وثابتة ، فالسيارة سبعة وهي « زحل » و « المشتري » و « المريخ » و « الشمس » و « الزهرة » و « عطارد » و « القمر » وقد نظمها المقريزي في بيت واحد وهو :

زحلٌ شري مريخه من شمسِه   فتزاهرتْ بعطاردِ الأقمارُ

ويقال لهذه السبعة الخنس ، وقيل أنها التي عناها الله تعالى بقوله : ﴿ فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ﴾(١) والتي عناها الله بقوله : ﴿ فالمدبرات امرا ﴾(٢) وقيل لها الخنس لاستقامتها في سيرها ورجوعها وقيل لها الكنس لأنها تجري في البروج ثم تكنس أي تستتر كما يكنس الظبي ، وقيل الكنس والخنس منها خمسة وهي ما سوى الشمس والقمر سميت بذلك من الانخناس وهو الانقباض وفي الحديث «الشيطان يوسوس للعبد فإذا ذكر الله خنس» أي انقبض ورجع فيكون الخنس على هذا في الكواكب بمعنى الرجوع ؛ وسميت بالكنس من قولهم كنس الظبي إذا دخل الكناس وهو مقره ، فالكنس على هذا في الكواكب بمعنى اختفائها تحت ضوء الشمس ، ويقال لهذه الكواكب المتحيرة لأنها ترجع أحياناً عن سمت مسيرها بالحركة الشرقية وتتبع الغربية في رأى العين ، فيكون هذا الارتداد لها شبه التحير .

---

(١) سورة التكوير ، الآية : ١٥ .

(٢) سورة النازعات ، الآية : ٥ .

وهذه الأسماء التي لهذه الكواكب يقال أنها مشتقة من صفاتها .

« **فزحل** » مشتق من زحل فلان إذا أعيا ، سمي بذلك لبطء سيره ويقال أنه المراد في قوله تعالى ﴿ والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب ﴾[1] .

و « **المشتري** » سمي بذلك لحسنه كأنه اشترى الحسن لنفسه ، وقيل لأنه نجم الشراء والبيع ودليل الربح والمال في قولهم .

و « **المريخ** » مأخوذ من المرخ وهو شجر يحتك بعض أغصانه ببعض فيوري ناراً سمي بذلك لإحمراره ، وقيل المريخ سهم لا ريش له إذا رمي به لا يستوي في ممره ، وكذا المريخ فيه التواء كثير في سيره ودلالته بزعمهم تشبه ذلك .

و « **الشمس** » لما كانت واسطة بين ثلاثة كواكب علوية لأنهم من فوقها وثلاثة سفلية لأنهم من تحتها ، سميت بذلك لأن الواسطة التي في المخنقة تسمى شمسة .

و « **الزهرة** » من الزاهر وهو الأبيض النير من كل شيء .

و « **عطارد** » وهو النافذ في كل الأمور ولذلك يقال له أيضاً الكاتب فإنه كثير التصرف مع ما يقارنه ويلابسه من الكواكب .

و « **القمر** » مأخوذ من القمرة وهي البياض والأقمر الأبيض ويقال لزحل كيوان ، وللمشتري تبر والبرجيس أيضاً ، وللمريخ بهرام ، وللشمس مهر ، وللزهرة أناهيد وسدحت أيضاً ، وناهيذ أيضاً ولعطارد هرمس ، وللقمر ماه ، وقد جمعها المقريزي في ثاني هذين البيتين :

لا زلتُ تبقى وترقى للعلى أبـداً ما دام للسبعةِ الأفلاكِ أحكامُ
مهرٌ وماهٌ وكيوانٌ وتـبرٌ معـاً وهرمسٌ وأنـاهيذٌ وبهـرامُ

ويقال لما عدا هذه الكواكب السبعة من بقية نجوم السماء الكواكب الثابتة سميت بذلك لثباتها في الفلك بموضع واحد ، وقيل لبطء حركتها

---

(١) سورة الطارق ، الآيات : ١ — ٣ .

فإنها تقطع الفلك بزعمهم بعد كل ست وثلاثين ألف سنة شمسية مرة واحدة ولكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة فلك من الأفلاك يخصه والأفلاك أجسام كريات مشفات ، بعضها في جوف بعض ، وهي تسعة أقربها الينا فلك القمر وبعده فلك عطارد ثم بعده فلك الزهرة وبعده فلك الشمس ، وفوقه فلك المريخ ثم فلك المشتري ، وفوقه فلك زحل ثم فلك الثوابت ، وفيه كل كوكب يرى في السماء سوى السبعة السيارة ومن فوق فلك الثوابت الفلك المحيط وهو الفلك التاسع ويسمى الأطلس ، وفلك الأفلاك وفلك الكل .

وقد اختلف في الأفلاك فقيل هي السموات وقيل بل السموات غيرها وقيل بل هي كرية وقيل غير ذلك وقيل الفلك الثامن هو الكرسي . والفلك التاسع هو العرش ، وقيل غير ذلك .

وهذا الفلك التاسع دائم الدوران كالدولاب ويدور في كل أربعة وعشرين ساعة مستوية دورة واحدة ، ودورانه يكون أبداً من المشرق إلى المغرب ، ويدور بدورانه جميع الأفلاك الثمانية وما حوته من الكواكب دوراناً حركته قسرية لإدارة التاسع لها وعن حركة التاسع المذكور يكون الليل والنهار . فالنهار مدة بقاء الشمس فوق أفق الأرض . والليل مدة غيبوبة الشمس تحت أفق الأرض ، وفلك الكواكب الثابتة مقسوم باثني عشر قسماً كحجم البطيخة كل قسم منها يقال له برج وهي « الحمل » و «الثور» و «الجوزاء» و « السرطان » و « الأسد » و « السنبلة » و « الميزان » و « العقـــرب » و « القوس » و « الجدي » و « الدلو » و « الحوت » . وكل برج من هذه البروج الاثني عشر ينقسم ثلاثين قسماً يقال لكل قسم منها درجة ، وكل درجة من هذه الثلاثين مقسومة ستين قسماً يقال لكل قسم منها دقيقة ، وكل دقيقة من هذه الستين مقسومة ستين قسماً يقال لكل قسم منها ثانية ، وهكذا إلى الثوالث والروابع والخوامس إلى الثواني عشر وما فوقها من الأجزاء وكل ثلاثة بروج تسمى فصلاً ، فالزمان على ذلك أربعة فصول وهي « الربيع » و « الصيف » و « الخريف » و « الشتاء » وجهات الأقطار

أربعة « الشرق » و « الغرب » و « الشمال » و « الجنوب » والأركان أربعة « النار » و « الهواء » و « الماء » و « التراب » والطبائع أربعة « الحرارة » و « البرودة » و « الرطوبة » و « اليبوسة » والأخلاط أربعة « الصفراء » و « السوداء » و « البلغم » و « الدم » والرياح أربعة « الصبا » و « الدبور » و « الشمال » و « الجنوب » فالبروج منها ثلاثة ربيعية صاعدة في الشمال زائدة النهار على الليل وهي « الحمل » و « الثور » و « الجوزاء » وثلاثة صيفية هابطة في الشمال آخذة الليل من النهار وهي « السرطان » و « الأسد » و « السنبلة » وثلاثة خريفية هابطة في الجنوب زائدة الليل على النهار وهي « الميزان » و « العقرب » و « القوس » وثلاثة شتوية صاعدة في الجنوب آخذة النهار من الليل وهي « الجدي » و « الدلو » و « الحوت » . والفلك المحيط كما تقدم يدور أبداً من المشرق إلى المغرب فوق الأرض ومن المغرب إلى المشرق تحتها فيكون دائماً نصف الفلك وهو ستة بروج بمائة وثمانين درجة فوق الأرض ونصفه الآخر وهو ستة بروج بمائة وثمانين درجة تحت الأرض ، وكلما طلعت من أفق المشرق درجة من درجات الفلك التي عدتها ثلاثمائة وستون درجة غرب نظيرها في أفق المغرب من البرج السابع ، فلا يزال دائماً ستة بروج طلوعها بالنهار ، وستة بروج طلوعها بالليل ، والأفق عبارة عن الحد الفاصل من الأرض بين المرئي والخفي من السماء . والفلك يدور على قطبين شمالي وجنوبي ، كما يدور الحق على قطبي المخروطة .

ويقسم الفلك خط من دائرة تقسمه نصفين متساويين بعدهما من كلا القطبين سواء ، وتسمى هذه الدائرة دائرة معدل النهار فهي تقاطع فلك البروج ودائرة فلك البروج تقاطع دائرة معدل النهار ويميل نصفها إلى الجانب الشمالي بقدر أربع وعشرين درجة تقريباً وهذا النصف فيه قسمة البروج الستة الشمالية ، وهي من أول الحمل إلى آخر السنبلة ويميل نصفها الثاني عنها إلى الجنوب بمثل ذلك وفيه قسمة البروج الستة الجنوبية ، وهي من أول برج الميزان إلى آخر برج الحوت .

وموضع تقاطع هاتين الدائرتين أعني دائرة معدل النهار ودائرة فلك

البروج من الجانبين هما نقطتا الاعتدالين ، أعني رأس الحمل ورأس الميزان ومدار الشمس والقمر وسائر النجوم على محاذاة دائرة فلك البروج دون دائرة معدل النهار .

وتمر الشمس على دائرة معدل النهار عند حلولها بنقطتي الاعتدالين فقط لأنها موضع تقاطع الدائرتين ، وهذا هو خط الاستواء الذي لا يختلف فيه الزمان بزيادة الليل على النهار ولا النهار على الليل لأن ميل الشمس عنه إلى كلا الجانبين الشمالي والجنوبي سواء . فالشمس تدور الفلك وتقطع الاثني عشر برجاً في مدة ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم بالتقريب وهذه هي مدة السنة الشمسية ، وتقيم في كل برج ثلاثين يوماً وكسراً من يوم وتكون أبداً بالنهار ظاهرة فوق الأرض ، وبالليل بخلاف ذلك ، وإذا حلت في البروج الستة الشمالية التي هي : « الحمل » و « الثور » و « الجوزاء » و « السرطان » و « الأسد » و « السنبلة » فإنها تكون مرتفعة في الهواء قريبة من سمت رؤوسنا وذلك من فصل الربيع وفصل الصيف ، وإذا حلت في البروج الجنوبية وهي « الميزان » و « العقرب » و « القوس » و « الجدي » و « الدلو » و « الحوت » كان فصل الخريف وفصل الشتاء وانحطت الشمس وبعدت عن سمت الرؤوس .

وزعم وهب بن منبه أن أول ما خلق الله تعالى من الأزمنة الأربعة الشتاء فجعله بارداً رطباً ، وخلق الربيع فجعله حاراً رطباً وخلق الصيف فجعله حاراً يابساً ، وخلق الخريف فجعله بارداً يابساً .

وأول الفصول عند أهل زماننا الربيع ، ويكون فصل الربيع عندما تنتقل الشمس من برج الحوت . وقد اختلف القدماء في البداية من الفصول فمنهم من اختار فصل الربيع وخيره أول السنة ، ومنهم من اختار تقديم الانقلاب الصيفي ، ومنهم من اختار تقديم الاعتدال الخريفي ، ومنهم من اختار تقديم الانقلاب الشتوي ، فإذا حلت أول جزء من برج الحمل استوى الليل والنهار واعتدل الزمان وانصرف الشتاء ودخل الربيع وطاب الهواء وهب النسيم وذاب الثلج وسالت الأودية ومدت الأنهار فيما عدا مصر ونبت العشب وطال الزرع ونما الحشيش وتلألأ الزهر وأورق الشجر

وتفتح النور واخضر وجه الأرض ونتجت البهائم ودرت الضـروع وأخرجت الأرض زخرفها وأزينت وصارت كصبية شابة قد تزينت للناظرين ، ولله در الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد اليعمري رحمه الله حيث يقول :

واستنشِقوا لهواً الربيـعَ فإنـــه ... نعم النسيمِ وعنـده ألطـافُ
يغذي الجسومَ نسيمُـــه وكأنـــه ... روحٌ حَواها جوهـرٌ شفـافُ

وقال ابن قتيبة : ومن ذلك الربيع يذهب الناس إلى أنه الفصل الذي يتبع الشتاء ويأتي فيه النور والورد ، ولا يعرفون الربيع غيره . والعرب تختلف في ذلك فمنهم من يجعل الربيع الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو الخريف وفصل الشتاء بعد ثم فصل الصيف بعد الشتاء ، وهو الوقت الذي تدعوه العامة الربيع ، ثم فصل القيظ وهو الذي تدعوه العامة الصيف . ومن العرب من يسمي الفصل الذي يعتدل وتدرك فيه الثمار وهو الخريف ، الربيع الأول ، ويسمى الفصل الذي يتلوه الشتاء ، ويأتي فيه الكمـــام والنور ، الربيع الثاني ، وكلهم مجمعون على أن الربيع هو الخريف ، فإذا حلت الشمس آخر برج الجوزاء وأول برج السرطان تناهى طول النهار وقصر الليل وابتدأ نقص النهار وزيادة الليل وانصرم فصل الربيع ودخل فصل الصيف واشتد الحر وحمي الهواء وهبت السمائم ونقصت المياه إلا بمصر ويبس العشب واستحكم الحب وأدرك حصـــاد الغلال ونضجت الثمار وسمنت البهائم واشتدت قوة الأبدان ودرت أخلاف النعم وصارت الأرض كأنها عروس . فإذا بلغت آخر برج السنبلة وأول برج الميزان تساوى الليل والنهار مرة ثانية ، وأخذ الليل في الزيادة والنهار في النقصان ، وانصرم فصل الصيف ودخل فصل الخريف فبرد الهواء وهبت الرياح وتغير الزمان وجفت الأنهار وغارت العيون واصفر ورق الشجر وصرمت الثمار ودرست البيادر واختزن الحب واقتنى العشب واغبر وجه الأرض إلا بمصر وهزلت البهائم وماتت الهوام وانجحرت الحشرات وانصرف الطير والوحش يريد البلاد الدافئة وأخذ الناس يخزنون القوت للشتاء وصارت الدنيا كأنها امرأة كهلة قد أدبرت وأخذ شبابها

يولي ، ولله در الامام أبو الحسن أحمد بن علي الأزدي المهلبي حيث يقول :

لله فصـل الخريف المستلذ به ... برد الهواء لقد أبدى لنا عجبا
أهدى إلى الأرض من أوراقه ذهبـا ... والأرض من شأنها أن تهدي الذهبا

وقال أيضاً :

لله فصلُ الخريفِ فصـلاً ... رقّت حواشيـه فهو رائـقُ
فالمـاء يجري مـن قلب سـال ... والدمع يبدو بوجـه عـاشقُ
فـبردُ هـذا ولونُ هـذا ... يلـذه ذائـقٌ ووامـقُ

وقال أيضاً :

أتى فصلُ الخريفِ بكل طيـب ... وحسن معجب قلبـاً وعينـا
أرانـا الدوحُ مصفـراً نضـاراً ... وصـافي المـاءِ مبيضاً لجينـا
فاحسنَ كـل إحسـانٍ إلينـا ... وأنعمَ كـل إنعـامٍ علينـا

وقال آخر يذم الخريف :

خُذْ في التدثُّر في الخريف فإنه ... مستوبلٌ ونسيمـه خطـافُ
يجري مع الأجسامِ جري حياتِها ... كصديقِها ومن الصديقِ يخـافُ

وقال آخر :

يا عائبـاً فصلَ الخريفِ وغائباً ... عن فضلـه في ذمِه لزمـانـه
لا شيء ألطفَ منـه عندي موقعـاً ... أبداً يعري الغصنَ من قمصانه
وتـراه يفرشُ تحتـه أثوابَـه ... فاعجبُ لرأفتِه وفرطِ خنـانه
وألذ ساعات الوصالِ إذا دنـا ... وقتُ الرحيلِ وحانَ حين أوانه

فإذا حلت الشمس آخر برج القوس وأول برج الجدي تناهى طول الليل وقصر النهار وأخذ النهار في الزيادة والليل في النقصان ، وانصرم فصل الخريف وحل فصل الشتاء واشتد البرد وخشن الهواء ، وتساقط ورق الشجر ومات أكثر النبات وغارت الحيوانات في جوف الأرض ،

وضعف قوى الأبدان وعري وجه الأرض من الزينة ونشأت الغيوم وكثرت الأنداء وأظلم الجو وكلح وجه الأرض إلا بمصر ، وامتنع الناس من التصرف وصارت الدنيا كأنها عجوز هرمة قد دنا منها الموت ، فإذا بلغت آخر برج الحوت وأول برج الحمل عاد الزمان كما كان عام أول وهذا دأبه ذلك تقدير العزيز العليم وتدبير الخبير الحكيم لا إله إلا هو .

وقد شبه بطليموس فصل الربيع بزمان الطفولية ، وفصـــل الصيف بالشباب ، والخريف بالكهولة ، والشتاء بالشيخوخة . وعن حركة الشمس وتنقلها في البروج الاثني عشر المذكورة تكون أزمان السنة وأوقات اليوم من الليل والنهار وساعاتهما ، وعن حركة القمر في البروج الاثني عشر تكون الشهور القمرية والسنة القمرية . فالقمر يدور البروج الاثني عشر ويقطع الفلك كله في مدة ثمانية وعشرين يوماً وبعض يوم ويقيم في كل برج يومين وثلث يوم بالتقريب ، ويقيم في كل منزلة من منازل القمر الثمانية والعشرين منزلة يوماً وليلة ، فيظهر عند إهلاله من ناحية الغرب بعد غروب جرم الشمس ، ويزيد نوره في كل ليلة قدر نصف سبع حتى يكمل نوره ويمتلئ في ليلة الرابع عشر من إهلاله . ثم يأخذ من الليلة الخامسة عشرة في النقصان فينقص من نوره في كل ليلة نصف سبع كما بدأ إلى أن يمحق نوره في آخر الثمانية وعشرين يوماً من إهلاله ويمر في هذه المدة منذ يفارق الشمس ، ويبدو في ناحية الغرب ويسير إلى أن يجامعها بثمانية وعشرين منزلة وهي « السرطان » و « البطين » و « الثريا » و « الدبران » و « الهقعة » و « الهنعة » و « الذراع » و « النثرة » و « الطرف » و « الجبهة » و « الزبرة » و « الصرفة » و « العواء » و « السماك » و « الغفر » و « الزبانان » و « الاكليل » و « القلب » و « الشولة » و « النعائم » و «البلدة» و « سعد الذابح » و « سعد بلع » و « سعد السعود » و « سعد الأخبية » و « الفرع المقدم » و « الفرع المؤخر » و « بطن الحوت » ولحساب ذلك كتب موضوعة وفيما ذكرنا كفاية والله يعلم وأنتم لا تعلمون .

ذكر محاسن الفصول الاربعة للسنة على لسان الادب

من كتاب « نسيم الصبا » للشيخ شمس الدين بن حبيب ، رحمه الله . قال : حضر فصول العام مجلس الأدب في يوم بلغ فيه الأريب نهاية الارب بمشهد من ذوي البلاغة ومنتهى صناعة الصاغة ، فقام كل منهم يعرب عن نفسه ويفتخر على أبناء جنسه .

فقال الربيع : أنا شباب الزمان وروح الحيوان وإنسان عين الانسان أنا حياة النفوس ، وزينة عروس الغروس ، ونزهة الأبصار ، ومنطق الأطيار ، عرف أوقاتي ناسم ، وأيامي أعياد ومواسم ، فيها يظهر النبات ، وتنشر الأموات ، وترد الودائع ، وتتحرك الطبائع ، ويمرح جنيب الجنوب ، ويبرح وجيب القلوب ، وتفيض عيون الأنهار ، ويعتدل الليل والنهار ، كم لي من عقد منظوم ، وطراز وشي مرقوم ، وحلة فاخرة ، وحلية ظاهرة ، ونجم سعد يدني راعيه من الأمل ، وشمس حسن بأبعد ما بين برج الجدي والحمل ، عساكري منصورة ، وأسلحتي مشهورة ، فمن سيف غصن مجوهر ، ودرع بنفسج مشهر ، ومغفر شقيق أحمر ، وترس بهار يبهر ، وسهم آس يرشق فينشق ، ورمح سوسن سنانه أزرق ، تحرسها آيات ، وتكنفها ألوية ورايات ، بي تحمر من الورد خدوده ، وتهتز من البان قدوده ، ويخضر عذار الريحان ، وينتبه من النرجس طرفه الوسنان ، وتخرج الخبايا من الزوايا ، ويفتر ثغر الأقحوان قائلاً : أنا ابن جلا وطلاع الثنايا .

إن هـــذا الربيع شيءٌ عجيــبٌ   تضحكُ الأرضُ من بكاءِ السماءِ

ذهبَ حيثما ذهبنـــا ودر حيث درنـــا وفضة في الفضـاءِ

وقال الصيف : أنا الخل الموافق ، والصديق الصادق ، والطبيب الحاذق ، اجتهد في مصلحة الأصحاب ، وارفع عنهم كلفة حمل الثياب ، وأخفف أثقالهم ، وأوفر أموالهم ، وأكفيهم المؤونة ، وأجزل لهم المعونة ، وأغنيهم عن شراء الفرا ، وأحقق عندهم أن كل الصيد في جوف الفرا ، نصرت بالصبا ، وأوتيت الحكمة في زمن الصبى ، بي تتضح الجادة ، وتنضج من الفواكه المادة ، ويزهو البسر والرطب ، وينصلح مزاج العنب ، ويقوى قلب اللوز ، ويلين عطف التين والموز ، وينعقد حب الرمان ، فيقمع الصفراء ويسكن الخفقان ، وتخضب وجنات التفاح ، ويذهب عرف السفرجل مع هبوب الرياح ، وتسود عيون الزيتون ، وتتخلق تيجان النارنج والليمون ، مواعيدي منقودة ، وموائدي ممدودة ، الخير موجود في مقامي ، والرزق مقسوم في أيامي ، والفقر ينصاع على مده وصاعه ، والغني يرتع في ملكه وإقطاعه ، والوحش تأتي زرافات ووحدانا ، والطير تغدو خماصاً وتعود بطانا .

مصيفٌ له ظلٌ مديدٌ على الورى فكم قد حلا طعماً وحليل أخلاطا
يعالجُ أنواعَ الفواكه مبدياً لصحتها حفظاً ويعجزُ بقراطا

وقال الخريف : أنا سائق الغيوم ، وكاسر جيش الغموم ، وهازم أحزاب السموم ، وحادي نجائب السحائب ، وحاسر نقاب المناقب ، أنا أصد الصدى ، وأجود بالندى ، وأظهر كل معنى جلي ، وأسمو بالوسمي والولي ، في أيامي تقطف الثمار ، وتصفو الأنهار من الأكدار ، ويترقرق دمع العيون ، ويتلون ورق الغصون ، طوراً يحاكي البقم ، وتارة يشبه الأرقم ، وحيناً يبدو في حلته الذهبية ، فيجذب إلى جانبه القلوب الأبية ، وفيها يكفي الناس هم الهوام ، ويتساوى في لذة الماء الخاص والعام ، وتقدم الأطيار مطربة بنشيشها ، رافلة في الملابس الجديدة من ريشها ، وتعصر بنت العنقود ، وتوثق في سجن الدن بالقيود ، على أنها لم تجترح إثماً ، ولم تعاقب إلا عدواناً وظلماً، بي تطيب الأوقات ، وتحصل اللذات ، وترق النسمات ، وترمى حصى الجمرات ، وتسكن

حرارة القلوب ، وتكثر أنواع المطعوم والمشروب ، كم لي من شجرة أكلها دائم ، وحملها للنفع المتعدي لازم ، وورقها على الدوام غير ذابل ، وقدود أغصانها تخجل كل رمح ذابل .

إن فصل الخريفِ وافى إلينا   يتهادى في حليةٍ كالعروس
غيرُه كان للعيونِ ربيعاً   وهو ما بيننا ربيعُ النفوسِ

وقال الشتاء : أنا شيخ الجماعة ، ورب البضاعة ، والمقابل بالسمع والطاعة ، أجمع شمل الأصحاب ، وأسدل عليهم الحجاب ، وأتحفهم بالطعام والشراب ، ومن ليس له بي طاقة أغلقت من أجله الباب ، أميل إلى المطيع ، القادر المستطيع ، المعتضد بالبرود والفرا ، المستمسك من الدثار بأوثق العرى ، المرتقب قدومي وموافاتي ، المتأهب للسبعة المشهورة من كافاتي ، ومن يعش عن ذكري ، ولم يتمثل أمري ، أرجفته بصوت الرعد ، وأنجزت له من سيف البرق صادق الوعد ، وسرت اليه بعساكر السحاب ، ولم أقنع من الغنيمة بالإياب ، معروفي معروف ، ونيل نيلي موصوف ، وثمار إحساني دانية القطوف ، كم لي من وابل طويل المدى ، وجود وافر الجدا ، وقطر حلا مذاقه ، وغيث قيد العفاة إطلاقه ، وديمة تطرب السمع بصوتها وحياً يحيي الأرض بعد موتها ، أيامي وجيزة ، وأوقاتي عزيزة ، ومجالسي معمورة بذوي السيادة ، مغمورة بالخير والمير والسعادة ، نقلها يأتي من أنواعه بالعجب ، ومناقلها تسمح بذهب اللهب ، وراحها تنعش الأرواح ، وسقاتها بجفونهم السقيمة تفتن العقول الصحاح ، إن زرتها وجدت مالاً ممدوداً ، وإن رزتها شاهدت لها بنين شهوداً .

وإذا رميتُ بفضلِ كأسك في الهوا   عادت عليك من العقيق عقودا
يا صاحبَ العودَينِ لا تهملهما   حرِّك لنا عوداً واحرق عودا

فلما نظم كل منهم سلك مقاله ، وفرغ من الكلام على شرح حاله أخذ الجماعة من الطرب ما يأخذ أهل السكر ، وتجاذبوا أطراف مطارف الثناء والشكر ، وظهرت أسرار السرور ، وانشرحت صدور الصدور ، وهبت قبول الاقبال ، وأنشد لسان الحال .

وماذا يعيب المرء في مدح نفسه ، إذا لم يكن في قوله بكذوب ثم انفض المجلس وحل النطاق ، وتفرق شمل أهله وآخر الصحبة الفراق ، قال بعضهم : الربيع مفضل على سائر الفصول بحسن آثاره ، ورياحينه وأزهاره ، قال بقراط الحكيم : من لم يبتهج بالربيع وأزهاره ، ولم يستمتع ببرد نسيمه وأمطاره ، فهو فاسد المزاج ، محتاج إلى العلاج ، وقال بعض البلغاء : الربيع جميل الوجه ، ضاحك السن ، رشيق القد ، حلو الشمائل ، عطر الرائحة ، كريم الخلق ، وقال ظريف : الربيع شباب الزمان ، ونسيمه غذاء النفوس ، ومنظره جلاء العيون ، ومن لطائف الصنوبري في تفضيل الربيع على سائر الفصول قوله :

إن كان في الصيفِ أثمارٌ وفاكهةٌ ... فالأرضُ مستوقدٌ والجو تنورُ
وإن يكن في الخريفِ النخلُ مخترفاً ... فالأرضُ مسجورةٌ والماء مـأسورُ
وإن يكن في الشتاءِ الغـيمُ متصـلاً ... فالأرضُ عريانةٌ والأفقُ مقرورُ
ما الدهرُ إلا الربيعُ المستنـيرُ إذا ... أتى الربيعُ أتاكَ النورُ والنـورُ
فالأرضُ ياقوتـةٌ والجوُ لؤلؤةٌ ... والنبتُ فيروزجٌ والمـاءُ بلـورُ
تبارَكَ اللهُ ما أحلى الربيع فـلا ... تغرر فقائسـه بالصيفِ مغرورُ
من شمَّ ريح تحيات الربيع يقل ... لا المسكُ مسكٌ ولا الكافورُ كافور

ذكر علم الهيئة

وهو علم ينظر به في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيرة ، ويستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية ، كما يبرهن على أن مركز الأرض مبائن لمركز فلك الشمس بوجود حركة الاقبال والادبار ، وكما يستدل بالرجوع والاستقامة للكواكب على وجود أفلاك صغيرة حاملة لها متحركة داخل فلكها الأعظم ، وكما يبرهن على وجود الفلك الثامن بحركة الكواكب الثابتة ، وكما يبرهن على تعدد الأفلاك للكوكب الواحد بتعدد الميول له وأمثال ذلك وإدراك الموجود من الحركات وكيفياتهـا وأجناسها ، إنما هو بالرصد فإنا إنما علمنا حركة الاقبال والادبار به ،

وكذا تركيب الأفلاك في طبقاتها ، وكذا الرجوع والاستقامة وأمثال ذلك . وكان اليونانيون يعتنون بالرصد كثيراً ويتخذون له الآلات التي توضع ليرصد بها حركة الكوكب المعين . وكانت تسمى عندهم ذات الحلق وصناعة عملها والبراهين عليه في مطابقة حركتها بحركة الفلك منقول بأيدي الناس .

وأما في الاسلام فلم تقع به عناية إلا في القليل ، وكان في أيام المأمون شيء منه وضع الآلة المعروفة للرصد المسماة ذات الحلق ، وشرع في ذلك فلم يتم ولما مات ذهب رسمه وأغفل واعتمد من بعده على الأرصاد القديمة . وليست بمغنية لاختلاف الحركات باتصال الأحقاب ، وأن مطابقة حركة الآلة في الرصد بحركة الأفلاك والكواكب إنما هو بالتقريب . ولا يعطى التحقيق فإذا طال الزمان ظهر تفاوت ذلك بالتقريب ، وهذه الهيئة صناعة شريفة وليست على ما يفهم في المشهور أنها تعطي صورة السموات وترتيب الأفلاك والكواكب بالحقيقة ، بل إنما تعطى أن هذه الصور والهيئات للأفلاك لزمت عن هذه الحركات . وأنت تعلم أنه لا يبعد ان يكون الشيء الواحد لازماً لمختلفين وإن قلنا أن الحركات لازمة فهو استدلال باللازم على وجود الملزوم ، ولا يعطى الحقيقة بوجه على أنه علم جليل وهو أحد أركان التعاليم .

ومن أحسن التآليف فيه « كتاب المجسطي » منسوب لبطليموس ، وليس من ملوك اليونان الذين أسماؤهم بطليموس على ما حققه شراح الكتاب . وقد اختصره الأئمة من حكماء الاسلام كما فعله ابن سينا وأدرجه في « تعاليم الشفاء » ولخصه ابن رشد أيضاً من حكماء الأندلس ، وابن السمح وابن الصلت في « كتاب الاقتصار » .

ولابن الفرغاني هيئة ملخصة قربها وحذف براهينها الهندسية والله علم الانسان ما لم يعلم سبحانه لا إله إلا هو رب العالمين .

ومن فروعه علم الأزياج وهي صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته ، وما أدى اليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع

الكواكب في أفلاكها لأي وقت فرض من قبل حسبان حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة . ولهذه الصناعة قوانين كالمقدمات والأصول لها في معرفة الشهور والأيام والتواريخ الماضية وأصول متقررة من معرفة الأوج والحضيض والميول وأصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض يضعونها في جداول مرتبة تسهيلاً على المتعلمين ، وتسمى الأزياج . ويسمى استخراج مواضع الكواكب للوقت المفروض لهذه الصناعة تعديلاً وتقويماً وللناس فيه تآليف كثيرة للمتقدمين والمتأخرين ، مثل البناني وابن الكماد . وقد عول المتأخرون لهذا العهد بالمغرب على زيج منسوب لابن اسحاق من منجمي تونس في أول المائة السابعة ، ويزعمون أن ابن اسحاق عول فيه على الرصد وأن يهودياً كان بصقلية ماهراً في الهيئة والتعاليم وكان قد عني بالرصد ، وكان يبعث اليه بما يقع في ذلك من أحوال الكواكب وحركاتها فكان أهل المغرب لذلك عنوا به لوثاقة مبناه على ما يزعمون . ولخصه ابن البناء في آخر سماه « المنهاج » فولع به الناس لما سهل من الأعمال فيه ، وإنما يحتاج إلى مواضع الكواكب من الفلك لتبتني عليها الأحكام النجومية وهو معرفة الآثار التي تحدث عنها بأوضاعها في عالم الانسان من الملك والدول والمواليد البشرية ، كما بينه ابن خلدون وأوضح فيه أدلتهم والله الموفق لما يحبه ويرضاه ولا معبود سواه .

ذكر صورة الارض وموضع الاقاليم منها

لما تقدم في الأفلاك من القول ما يتبين به لمن ألهمه الله تعالى كيف تكون الحركة التي بها الليل والنهار وتركب الشهور والأعوام منهما ، جاز حينئذ الكلام على الأرض ، فأقول الجهات من حيث هي ست : « الشرق » وهو حيث تطلع الشمس والقمر وسائر الكواكب في كل قطر من الأرض ، و « الغرب » وهو حيث تغرب ، و « الشمال » وهو حيث مدار الجدي والفرقدين ، و « الجنوب » وهو حيث مدار سهيل و«الفوق» وهو مما يلي السماء و « التحت » وهو مما يلي مركز الأرض .

والأرض جسم مستدير كالكرة ، وقيل ليست بكروية الشكل وهي واقفة في الهواء بجميع جبالها وبحارها وعامرها وغامرها والهواء محيط بها من جميع جهاتها كالمح في جوف البيضة ، وبعدها من السماء متساو من جميع الجهات وأسفل الأرض ما تحقيقه هو عمق باطنها مما يلي مركزها من أي جانب كان .

ذهب الجمهور إلى أن الأرض كالكرة الموضوعة في جوف الفلك ، كالمح في البيضة ، وأنها في الوسط وبعدها في الفلك من جميع الجهات على التساوي .

وزعم هشام بن الحكم أن تحت الأرض جسماً من شأنه الارتفاع وهو المانع للأرض من الانحدار وهو ليس محتاجاً إلى ما بعده ، لأنه ليس يطلب الانحدار بل الارتفاع وقال أن الله تعالى وقفها بلا عماد .

وقال ديمقراطس أنها تقوم على الماء وقد حصر الماء تحتها حتى لا يجد مخرجاً فيضطر إلى الانتقال .

وقال آخر هي واقفة على الوسط مقدار واحد من كل جانب والفلك يجذبها من كل وجه ، فلذلك لا تميل إلى ناحية من الفلك دون ناحية لأن قوة الأجزاء متكافئة ، وذلك كحجر المغناطيس في جذبه الحديد . فإن الفلك بالطبع مغناطيس الأرض فهو يجذبها فهي واقفة في الوسط وسبب وقوفها بالوسط سرعة تدبير الفلك ، ودفعه إياها من كل جهة إلى الوسط ، كما إذا وضعت تراباً في قارورة وأدرتها بقوة فإن التراب يقوم في الوسط .

وقال محمد بن أحمد الخوارزمي في وسط السماء والوسط هو السفلي بالحقيقة وهي مدورة مضرسة من جهة الجبال البارزة والوهاد الغائرة ، وذلك لا يخرجها عن الكرية إذا اعتبرت جملتها لأن مقادير الجبال وإن شمخت يسيرة بالقياس إلى كرة الأرض ، فإن الكرة التي قطرها ذراع أو ذراعان مثلاً إذا نتأ منها شيء أو غار فيها لا يخرجها عن الكرية ولا هذه التضاريس لإحاطة الماء بها من جميع جوانبها وغمرها بحيث لا يظهر منها شيء ، فحينئذ تبطل الحكمة المؤدية المودعة في المعادن والنبات والحيوان فسبحان من لا يعلم أسرار حكمه إلا هو .

وأما سطحها الظاهر المماس للهواء من جميع الجهات ، فإنه فوق والهواء فوق الأرض ، يحيط بها ويجذبها من سائر الجهات وفوق الهواء الأفلاك المذكورة فيما تقدم واحداً فوق آخر ، إلى الفلك التاسع الذي هو أعلى الأفلاك ونهاية المخلوقات بأسرها .

وقد اختلف فيما وراء ذلك فقيل خلاء وقيل ملاء ، وقيل لا خلاء ولا ملاء ، وكل موضع يقف فيه الانسان من سطح الأرض فإن رأسه أبداً يكون مما يلي السماء إلى فوق ورجلاه أبداً تكون أسفل مما يلي مركز الأرض ، وهو دائماً يرى من السماء نصفها ويستر عنه النصف الآخر حدبة الأرض ، وكلما انتقل من موضع إلى آخر ظهر له من السماء بقدر ما خفي عنه .

والأرض غامرة بالماء كعنبة طافية فوق الماء فانحسر الماء عن بعض جوانبها لما أراد الله من تكوين الحيوانات وعمرانها بالنوع البشري الذي له الخلافة على سائرها . وقد يتوهم من ذلك أن الماء تحت الأرض وليس

بصحيح ، وإنما التحت الطبيعي قلب الأرض ووسط كرتها الذي هو مركزها ، والكل يطلبه بما فيه من الثقل وما عدا ذلك من جوانبها .

وأما الماء المحيط بها فوق الأرض وإن قيل في شيء منها أنه تحت الأرض ، فبالإضافة إلى جهة أخرى منه .

وأما التي قد انحسر الماء عنها نحو النصف من سطح كرتها في شكل دائرة أحاط العنصر المائي من جميع جهاتها بحراً يسمى البحر المحيط ، ويسمى أيضاً لبلابة بتفخيم اللام الثانية ، ويسمى أوقيانوس أسماء عجمية ، ويقال له البحر الأخضر .

ثم إن هذا المنكشف من الأرض للعمران فيه القفار والخلاء أكثر من عمرانه ، والخالي من جهة الجنوب منه أكثر من جهة الشمال . وإنما المعمور منه قطعة أميل إلى الجانب الشمالي على شكل مسطح كري ينتهي من جهة الجنوب إلى خط الاستواء ، ومن جهة الشمال إلى خط كري ووراءه الجبال الفاصلة بينه وبين الماء العنصري الذي بينهما سد يأجوج ومأجوج .

وهذه الجبال مائلة إلى جهة المشرق وينتهي من المشرق والمغرب إلى عنصر الماء أيضاً بقطعتين من الدائرة المحيطة ، وهذا المنكشف من الأرض قالوا هو مقدار النصف من الكرة أو أقل ، والمعمور منه مقدار ربعه وهو المنقسم بالأقاليم السبعة ، وانغمر النصف الآخر في الأرض وصار المنكشف من الأرض نصفين كأنما قسم بخط مسامت لخط معدل النهار يمر تحت دائرته وجميع البلاد التي على هذا الخط لا عرض لها البتة ، والقطبان غير مرئيين فيها ، ويكونان هناك على دائرة الأفق من الجانبين . وكلما بعد موضع بلد عن هذا الخط إلى ناحية الشمال قدر درجة ارتفع القطب الشمالي الذي هو الجدي على أهل ذلك البلد درجة وانخفض القطب الجنوبي الذي هو سهيل درجة ، وهكذا ما زاد ويكون الأمر فيما بعد من البلاد الواقعة في ناحية الجنوب كذلك من ارتفاع القطب الجنوبي وانحطاط القطب الشمالي .

وبهذا عرف عرض البلدان ، وصار عرض البلد عبارة عن ميل دائرة معدل النهار عن سمت رؤوس أهله وارتفاع القطب عليهم ، وهو أيضاً بُعد ما بين سمت رؤوس أهل ذلك البلد ، وسمت رؤوس أهل بلد لا عرض له ، فأما ما انكشف من الأرض مما يلي الجنوب من خط الاستواء فانه خراب ، والنصف الآخر الذي يلي الشمال من خط الاستواء فهو الربع العامر وهو المسكون من الأرض ، وخط الاستواء لا وجود له في الخارج وإنما هو فرض يوهمنا أنه خط ابتداؤه من المشرق إلى المغرب تحت مدار رأس الحمل ، وسمي بذلك من أجل أن النهار والليل هناك أبداً سواء لا يزيد ولا ينقص أحدهما عن الآخر شيئاً البتة في سائر أوقات السنة كلها ، ونقطتا هذا الخط ملازمتان للافق ، إحداها على مدار سهيل في ناحية الجنوب والأخرى مما يلي الجدي في ناحية الشمال ، وخط الاستواء يقسم الأرض نصفين من المغرب إلى المشرق وهو طول الأرض وأكبر خط في كرتها كما أن منطقة فلك البروج ودائرة معدل النهار أكبر خط في الفلك ، ومنطقة البروج منقسمة ثلاثمائة وستين درجة والدرجة من مسافة الأرض خمسة وعشرون فرسخاً والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع في ثلاثة أميال لأن الميل أربعة آلاف ذراع والذراع أربعة وعشرون إصبعاً والإصبع ست حبات شعير مصفوفة ملصق بعضها إلى بعض ظهراً لبطن. وبين دائرة معدل النهار التي تقسم الفلك نصفين وتسامت خط الاستواء من الأرض وبين كل واحد من القطبين تسعون درجة لكن العمارة في الجهة الشمالية من خط الاستواء أربع وستون درجة والباقي منها خلاء لا عمارة فيه لشدة البرد والجمود كما كانت الجهة الجنوبية خلاء كلها لشدة الحر .

والعمارة من المشرق إلى المغرب مائة وثمانون درجة ، من الجنوب إلى الشمال من خط إريس إلى بنات نعش ثمان وأربعون درجة وهو مقدار ميل الشمس مرتين وخلف خط إريس وهو مقدار ست عشرة درجة وجملة معمور الأرض نحو من سبعين درجة لإعتدال مسير الشمس في هذا الوسط ومرورها على ما وراء الحمل والميزان مرتين في السنة . وأما الشمال والجنوب فالشمس لا تحاذيهما إلا مرة واحدة ولأن أوج الشمس

مرتين في جهة الشمال كانت العمارة فيه لارتفاعها وانتفاء ضرر قوتّها غير ساكنة ولأن حضيضها في الجنوب عدمت العمارة هنالك .

وقد اختلف الناس في مسافة الأرض فقيل مسافتها خمسمائة عام ثلث عمران وثلث خراب وثلث بحار ، وقيل المعمور من الأرض مائة وعشرون جزءاً تسعون ليأجوج ومأجوج واثنا عشر للسودان وثمانيـة للروم وثلاثة للعرب وسبعة لسائر الأمم ، وقيل الدنيـا سبعة أجزاء ستة ليأجوج ومأجوج وواحد لسائر الناس ، وقيـل الأرض خمسمائة عام البحار ثلاثمائة ومائة خراب ومائة عمران ، وقيـل الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ ، للسودان اثنا عشر ألفاً وللروم ثمانيـة آلاف ولفارس ثلاثة آلاف وللعرب ألف .

وعن وهب بن منبه ما العمارة من الدنيا في الخراب إلا كفسطاط في الصحراء . وقال أزدشير بن بابك : الأرض أربعة أجزاء جزء منها للترك وجزء للعرب وجزء للفرس وجزء للسودان ، وقيل الأقاليم سبعة والأطراف أربعة والنواحي خمس وأربعون والمدائن عشرة آلاف ، والرساتيق مائتا ألف وستة وخمسون ألفـاً . وقيل المدن والحصون أحد وعشرون ألفاً وستمائة مدينة وحصن .

ففي الاقليم الأول : ثلاثة آلاف ومائة مدينة كبيرة .

وفي الثاني : ألفان وسبعمائة وثلاث عشرة مدينة وقرية كبيرة .

وفي الثالث : ثلاثة آلاف وتسع وسبعون مدينة وقرية .

وفي الرابع : وهو بابل ألفان وتسعمائة وأربع وسبعون مدينة .

وفي الخامس : ثلاثة آلاف مدينة وست مدائن .

وفي السادس : ثلاثة آلاف وأربع مائة وثمانون مدينة .

وفي السابع : ثلاثة آلاف وثلاثمائة مدينة في الجزائر .

وقال الخوارزمي : قطر الأرض سبعة آلاف فرسخ وهو نصف سدس الأرض والجبال والمفاوز والبحار ، والباقي خراب يباب

لا نبات فيه ولا حيوان . وقيل المعمور من الأرض مثـل طائر رأسه الصين والجناح الأيمن الهند والسند والجناح الأيسر الخـزر ، وصدره مكة والعراق والشام ومصر ، وذنبه الغرب . وقيل قطر الأرض سبعة آلاف وأربعمائة وأربعة عشر ميلاً ، ودورها عشرون ألف ميل وأربعمائة ميل وذلك جميع ما أحاطت به من بر وبحر .

وقال أبو زيد أحمد بن سهل البلخي : طول الأرض من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب نحو أربعمائة مرحلة وعرضها من حيث العمران الذي من جهة الشمال وهو مساكن يأجوج ومأجوج إلى حيث العمران الذي من جهة الجنوب وهو مساكن السودان مائتان وعشرون مرحلة ، وما بين براري يأجوج ومأجوج إلى البحر المحيط في الشمال ، وما بين براري السودان والبحر المحيط في الجنوب خراب ليس فيه عمارة .

ويقال أن مسافة ذلك خمسة آلاف فرسخ وهذه أقوال لا دليل على صدقها . والطريق في معرفة مساحة الأرض أنّا لو سرنا على خط نصف النهار من الجنوب إلى الشمال بقدر ميل دائرة معدل النهار عن سمت رؤوسنا إلى الجنوب درجة من درج الفلك التي هي جزء من ثلاثمائة وستين جزءاً وأرتفع القطب علينا درجة نظير تلك الدرجة فإنا نعلم أنا قد قطعنا من محيط جرم الأرض جزءاً من ثلاثمائة وستين جزءاً وهو نظير ذلك الجزء من الفلك ، فلو قسنا من ابتداء مسيرنا إلى انتهاء مكاننا الذي وصلنا اليه حيث ارتفع القطب علينا درجة فإنّا نجد حقيقة الدرجة الواحدة من الفلك قد قطعت من الأرض ستة وخمسين ميلاً وثلثي ميل منها خمسة وعشرون فرسخاً ، فإذا ضربنا حصة الدرجة الواحدة وهو ما ذكر من الأميال في ثلاثمائة وستين خرج من الضرب عشرون ألفاً وأربعمائة ميل وذلك مساحة دور الأرض . فإذا قسمنا هذه الأميال التي هي مساحة دور الأرض على ثلاثة وسبع خرج من القسمة ستة آلاف وأربعمائة وأربعون ميلاً وهي مساحة قطر الأرض ، فلو ضربنا هذا القطر في مبلغ دور الأرض لبلغت مساحة بسط الأرض بالتكسير مائة ألف ألف واثنتين وثلاثين ألف ألف وستمائة ألف ميل بالتقريب ، فعلى هذا مساحة ربع

الأرض المسكون بالتكسير ثلاثة وثلاثون ألف ألف ميل ومائة وخمسون ألف ميل ، وعرض المسكون من هذا الربع بقدر بعد مدار السرطان عن القطب وهو خمسة وخمسون جزءاً وسدس جزء ، وهذا هو سدس الأرض وانتهاؤه إلى جزيرة تولي في بريطانية وهي آخر المعمور من الشمال، وهو من الأميال ثلاثة آلاف وسبعمائة وأربعة وستون ميلاً ، فإذا ضربنا هذا السدس الذي هو مساحة عرض الأرض في النصف ، وهو مقدار الطول ، كان المعمور من الشمال قدر نصف ثلث الأرض . وأما الطول فإنه يقل لتضايق أقسام كرة الأرض ومقداره مثل خمس الدور ، وهو بالتقريب أربعة آلاف وثمانون ميلاً وفي الربع المسكون من الأرض سبعة أبحر كبار وفي كل بحر منها عدة جزائر ، وفيه خمس عشرة بحيرة منها ملح وعذب ، وفيه مائتا جبل طوال ومائتا نهر وأربعون نهراً طوالاً ، ويشتمل على سبعة أقاليم تحتوي على سبعة عشرة ألف مدينة كبيرة .

وقال في كتاب هروشيوس ، لما استقامت طاعة بوليس الملقب قيصر الملك في عامة الدنيا تخير أربعين من الفلاسفة سماهم فأمرهم أن يأخذوا له وصف حدود الدنيا وعدة بحارها وكورها أرباعاً ،فولى أحدهم أخذ وصف جزء المشرق ، وولى آخر أخذ وصف جزء المغرب ، وولى الثالث أخذ وصف جزء الشمال ، وولى الرابع أخذ وصف جزء الجنوب ، فتمت كتابة الجميع على أيديهم في نحو من ثلاثين سنة فكانت جملة البحار المسماة في الدنيا تسعة وعشرين بحراً قد سموها منها بجزء الشرق ثمانية وبجزء الغرب ثمانية وبجزء الشمال أحد عشر ، وبجزء الجنوب اثنان . وعدة الجزائر المعروفة الامهات احدى وسبعون جزيرة منها في الشرق ثمان ، وفي الغرب ست عشرة ، وفي جهة الشمال احدى وثلاثون ، وفي جهة الجنوب ست عشرة .

وعدة الجبال الكبار المعروفة في جميع الدنيا ستة وثلاثون وهي أمهات الجبال وقد سموها فيما فسروه منها في جهة الشرق سبعة ، وفي جهة الغرب خمسة عشر ، وفي الشمال اثنا عشر ، وفي الجنوب اثنان : والبلدان الكبار ثلاثة وستون منها في المشرق سبعة ، وفي المغرب خمسة

وعشرون ، وفي الشمال تسعة عشر ، وفي الجنوب اثنا عشر ، وقد سموها .

والكور الكبار المعروفة تسع ومائتان منها في المشرق خمس وسبعون، وفي المغرب ست وستون ، وفي الشمال ست ، وفي الجنوب اثنان وستون.

والأنهار الكبار المعروفة في جميع الدنيا ستة وخمسون منها لجزء الشرق سبعة عشر ، ولجزء الغرب ثلاثة عشر ، ولجزء الشمال تسعة عشر ، ولجزء الجنوب سبعة .

ثم إن المخبرين عن هذا المعمور وحدوده وما فيه من الأمصار والمدن والجبال والبحار والأنهار والقفار والرمال مثل بطليموس في كتاب الجغرافيا وصاحب كتاب زجار من بعده قسموا هذا المعمور بسبعة أقسام يسمونها الأقاليم السبعة بحدود وهمية بين المشرق والمغرب ، متساوية في العرض ، مختلفة في الطول . وقالوا : الأقاليم السبعة كل اقليم منها كأنه بساط مفروش قد مدّ طوله من الشرق إلى الغرب ، وعرضه من الشمال إلى الجنوب . وهذه الأقاليم مختلفة الطول والعرض .

فالاقليم الأول : أطول مما بعده وكذا الثاني إلى آخرها فيكون السابع أقصر لما اقتضاه وضع الدائرة الناشئة من انحسار الماء عن كرة الأرض ، وكل واحد من هذه الأقاليم عندهم منقسم بعشرة أجزاء من المغرب إلى المشرق على التوالي . وفي كل جزء الخبر عن أحواله وأحوال عمرانه ، فالاقليم الأول منها يمر وسطه بالمواضع التي طول نهارها الأطول ثلاث عشرة ساعة ، والسابع منها يمر وسطه بالمواضع التي طول نهارها الأطول ست عشرة ساعة ، لأن ما حاذى حد الاقليم الأول إلى نحو الجنوب يشتمل عليه البحر ولا عمارة فيه ، وما حاذى الاقليم السابع إلى الشمال لا يعلم فيه عمارة فجعل طول الاقاليم السبعة من الشرق إلى الغرب مسافة اثنتي عشرة ساعة من دور الفلك ، وصارت عروضها تتفاضل نصف ساعة من ساعات النهار الاطول فأطولها وأعرضها .

الاقليم الأول ، وطوله من المشرق إلى المغرب نحو ثلاثة آلاف فرسخ وعرضه من الشمال إلى الجنوب مائة وخمسون فرسخاً ، وأقصرهـــا طولاً وعرضاً .

الاقليم السابع ، وطوله من الشرق إلى الغرب ألف وخمسمائة فرسخ وعرضه من الشمال إلى الجنوب نحو من سبعين فرسخاً ، وبقية الاقاليم الخمسة فيما بين ذلك .

وهذه الأقاليم خطوط متوهمة لا وجود لها في الخارج وضعها القدماء الذين جالوا في الأرض ليقفوا على حقيقة حدودها ويتيقنوا مواضع البلدان منها ويعرفوا طرق مسالكها ، هذا حال الربع المسكون .

وأما الثلاثة الأرباع فانها خراب ، فجهة الشمال واقعة تحت مدار الجدي قد أفرط هناك البرد وصارت ستة أشهر ليلاً مستمراً وهي مدة الشتاء عندهم لا يعرف فيها نهار ويظلم الهواء ظلمة شديدة وتجمد المياه لقوة البرد ، فلا يكون هناك نبات ولا حيوان .

ويقابل هذه الجهة الشمالية ناحية الجنوب حيث مدار سهيل فيكون النهار ستة أشهر بغير ليل وهي مدة الصيف عندهم فيحمى الهواء ويصير سموماً محرقة يهلك بشد حره الحيوان والنبات فلا يمكن سلوكه ولا السكنى فيه.

وأما ناحية الغرب فيمنع البحر المحيط من السلوك فيه لتلاطم أمواجه وشدة ظلماته ، وناحية الشرق تمنع من سلوكه الجبال الشامخة وصار الناس أجمعهم قد أنحصروا في الربع المسكون من الأرض ، ولا علم لأحد منهم بالأرض أي بالثلاثة الأرباع الباقية . والأرض كلها بجميع ما عليها من الجبال والبحار نسبتها إلى الفلك كنقطة في دائرة وقد اعتبرت حدود الأقاليم السبعة بساعات النهار ، وذلك أن الشمس إذا حلت برأس الحمل تساوي طول النهار والليل في سائر الأقاليم كلها ، فإذا انتقلت في درجات برج الحمل والثور والجوزاء اختلفت ساعات نهار كل اقليم ، فإذا بلغت آخر الجوزاء وأول برج السرطان بلغ طول النهار في وسط الاقليم الأول ثلاث عشرة ساعة سواء ، وصارت في وسط الاقليم الثاني ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة ، وفي وسط الاقليم الثالث أربع عشرة ساعة ، وفي وسط الاقليم الرابع أربع عشرة ساعة ونصف ساعة ، وفي وسط الاقليم الخامس خمس عشرة ساعة ، وفي وسط الاقليم السادس خمس عشرة ساعة ونصف ساعة ، وفي وسط الاقليم السابع ست عشرة ساعة سواء ،

وما زاد على ذلك إلى عرض تسعين درجة يصير نهاراً كله . ومعنى طول البلد هو بعدها من أقصى العمارة في الغرب وعرضها هو بعدها عن خط الاستواء ، وخط الاستواء كما تقدم هو الموضع الذي يكون فيه الليل والنهار طول الزمان سواء فكل بلد على هذا الخط لا عرض له وكل بلد في أقصى الغرب لا طول له ومن أقصى الغرب إلى أقصى الشرق مائة وثمانون درجة ، وكل بلد يكون طوله تسعين درجة فانه في وسط ما بين الشرق والغرب ، وكل بلد كان طوله أقل من تسعين درجة فانه أقرب إلى الغرب وأبعد من الشرق ، وما كان طوله من البلاد أكثر من تسعين درجة فإنه أبعد من الغرب وأقرب إلى الشرق .

فقد ذكر القدماء أن العالم السفلي مقسوم سبعة أقسام ، كل قسم يقال له إقليم . فاقليم الهند لزحل ، واقليم بابل للمشتري ، وإقليم الترك للمريخ ، واقليم الروم للشمس ، واقليم مصر لعطارد ، واقليم الصين للقمر .

وقال قوم : الحمل والمشتري لبابل ، والجدي وعطارد للهند ، والأسد والمريخ للترك ،والميزان والشمس للروم ،ثم صارت السنة على اثني عشر برجاً ؛ فالحمل ومثلاه للمشرق والثور ومثلاه للجنوب والجوزاء ومثلاها للمغرب والسرطان ومثلاه للشمال .

قالوا : وفي كل اقليم مدينتان عظيمتان ، يحسب بين كل كوكب إلا إقليم الشمس واقليم القمر فإنه ليس في كل اقليم منهما سوى مدينة واحدة عظيمة ، وجميع مدائن الاقاليم السبعة وحصونها أحد وعشرون ألف مدينة وست مائة مدينة وحصن بقدر دقائق درج الفلك .

وقال هرمس : إذا جعلت هذه الدقائق روابع كانت أناس هذه الأقاليم وإذا مات أحد ولد نظيره ، ويقال ان عدد مدن الاقليم الأول من مطلع الشمس وقراها ثلاثة آلاف ومائة مدينة وقرية كبيرة ، وان في الثاني ألفين وسبعمائة وثلاث عشرة مدينة وقرية كبيرة ، وفي الثالث ثلاثة آلاف وتسع وسبعون ، وفي الرابع وهو بابل ألفان وتسعمائة وأربع وسبعون ، وفي الخامس ثلاثة آلاف وست مدن ، وفي السادس

ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمان مدن ، وفي السابع ثلاثة آلاف وثلاثمائة مدينة وقرية كبيرة في الجزائر .

ثم إن الأول والثاني من الأقاليم المعمورة أقل عمراناً مما بعدهما وما وجد من عمرانه فيتخلله الخلاء والقفار والرمال ، والبحر الهندي الذي في الشرق منهما وأمم هذين الاقليمين وأناسيهما ليست لهم الكثرة البالغة وأمصاره ومدنه كذلك . والثالث والرابع وما بعدهما بخلاف ذلك فالقفار فيها قليلة والرمال كذلك أو معدومة وأممها وأناسيها تجوز الحد من الكثرة وأمصارها ومدنها تجاوز الحد عدداً ، والعمران فيها مندرج ما بين الثالث والسادس ، والجنوب خلاء كله ، وقد ذكر كثير من الحكماء أن ذلك لافراط الحر وقلة ميل الشمس فيها عن سمت الرؤوس .

وقد أوضح ذلك ابن خلدون ببرهانه ويتبين منه سبب كثرة العمارة فيما بين الثالث والرابع من جانب الشمال إلى الخامس والسابع .

فالاقليم الأول : يمر وسطه بالمواضع التي طول نهارها الأطول ثلاث عشر ساعة ، ويرتفع القطب الشمالي فيها عن الافق ست عشرة درجة وثلثا درجة وهو العرض ، وانتهاء عرض هذا الاقليم من حيث يكون طول النهار الأطول فيه ثلاث عشرة ساعة وربع ساعة ، وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض عشرون درجة ونصف درجة وهو مسافة أربعمائة وأربعين ميلاً وابتداؤه من أقصى بلاد الصين فيمر فيها إلى ما يلي الجنوب ويمر بسواحل الهند ثم ببلاد السند ، ويمر في البحر على جزيرة العرب وأرض اليمن ، ويقطع بحر القلزم فيمر ببلاد الحبشة ويقطع نيل مصر إلى بلاد الحبشة ومدينة دنقله من أرض النوبة ، ويمر في أرض المغرب على جنوب بلاد البربر إلى نحو البحر المحيط وفي هذا الاقليم عشرون جبلا فيها ما طوله من عشرين فرسخاً إلى ألف فرسخ ، وفيه ثلاثون نهراً طويلا منها ما طوله ألف فرسخ إلى عشرين فرسخاً ، وفيه خمسون مدينة كبيرة .

وعامة أهل هذا الاقليم سود الالوان ، ولهذا الاقليم من البروج الحمل والقوس وله من الكواكب السيارة المشتري ، وهو مع فرط حرارته كثير المياه كثير المروج وزرع أهله الذرة والأرز ، إلا أن الاعتدال عندهم معدوم فلا يثمر عندهم كرم ولا حنطة والبقر عندهم كثير لكثرة المروج . وفي مشرقه البحر الخارج وراء خط الاستواء بثلاث عشرة درجة وفي مغربه النيل وبحر الغرب ، ومن هذا الاقليم يأتي نيل مصر وشرقهم معمور بالبحر الشرقي الذي هو بحر الهند واليمن وهذا الاقليم مار من المغرب إلى المشرق مع خط الاستواء بحده من جهة الجنوب وليس وراء هنالك إلا القفار والرمال وبعض عمارة إن صحت فهي كلا عمارة . ويليه من جهة شماله الاقليم الثاني ثم الثالث كذلك ثم الرابع والخامس والسادس والسابع ، وهو آخر العمران من جهة الشمال وليس وراء السابع إلا الخلاء والقفار إلى أن ينتهي إلى البحر المحيط كالحال في ما وراء الاقليم الأول في جهة الجنوب إلا أن الخلاء في جهة الشمال أقل بكثير من الخلاء الذي في جهة الجنوب .

ثم إن أزمنة الليل والنهار تتفاوت في هذه الأقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة معدل النهار وارتفاع القطب الشمالي عن آفاقها فيتفاوت قوس النهار والليل لذلك كما ذكرنا . وفيه من جهة غربه الجزائر الخالدات التي منها بدأ بطليموس بأخذ أطوال البلاد وليست في بسيط الاقليم ، وإنما هي في البحر المحيط جزر متكثرة أكبرها وأشهرها ثلاثة ويقال إنها معمورة .

والاقليم الثاني : حيث يكون طول النهار الاطول ثلاث عشرة ساعة ونصف ويرتفع القطب الشمالي فيه قدر أربعة وعشرين جزءاً وعشر جزء ، وعرضه من حد الاقليم الأول إلى حيث يكون النهار الاطول ثلاث عشرة ساعة ونصف وربع وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض سبعة وعشرون درجة ونصف درجة ، ومساحة هذا الاقليم اربعمائة ميل ويبتديء من بلاد المشرق ماراً ببلاد الصين إلى بلاد الهند والسند ، ثم بملتقى البحر الأخضر وبحر البصرة ، ويقطع جزيرة العرب في أرض نجد

وتهامة فيدخل في هذا الاقليم اليمامة والبحران وهجر ومكة والمدينة والطائف وأرض الحجاز ، ويقطع بحر القلزم فيمر بصعيد مصر الأعلى ويقطع النيل فيصير فيه مدينة قوص واخميم واسنى وانصنا واسوان ، ويمر في أرض المغرب على وسط بلاد أفريقية فيمر على بلاد البربر إلى البحر في المغرب . وفي هذا الاقليم سبعة عشر جبلا وسبعة عشر نهراً طوالاً وأربعمائة وخمسون مدينة كبيرة ، وألوان أهل هذا الاقليم ما بين السمرة والسواد ، وله من البروج الجدي ومن السيارة زحل ويسكن هذا الاقليم الرحالة ففي المغرب حدالة وصنهاجة ولمتونة ومسوفة ، ويتصل بهم رحالة مصر من الواح وفي هذا الاقليم يكون نخل ، وفيه مكة والمدينة ومن السماوة من أهل العراق إلى رحالة الترك وهو متصل بالأول من جهة الشمال وقبالة المغرب منه في البحر المحيط جزيرتان من الجزائر الخالدات .

والاقليم الثالث : وسطه حيث يكون النهار الاطول أربع عشرة ساعة ، وارتفاع القطب وهو العرض ثلاثون درجة ونصف وخمس درجة ، وعرض هذا الاقليم من حد الاقليم الثاني إلى حيث يكون النهار الاطول أربع عشرة ساعة وربع ساعة ، وارتفاع القطب وهو العرض ثلاث وثلاثون درجة ومسافته ثلاثمائة وخمسون ميلا ، ويبتديء من الشرق فيمر بشمال الصين وبلاد الهند وفيه مدينة الهندهار ، ثم بشمال السند وبلاد كابل وكرمان وسجستان إلى سواحل بحر البصرة وفيه اصطخر وسابور وشيراز وسيراف ، ويمر بالأهواز والعراق والبصرة وواسط وبغداد والكوفة والأنبار وهيت ، ويمر ببلاد الشام إلى سلمية وصور وعكا ودمشق وطبرية وقيسارية وبيت المقدس وعسقلان وغزة ومدين والقلزم ، ويقطع أسفل أرض مصر من شمال انصنا إلى فسطاط مصر وسواحل البحر وفيه الفيوم والاسكندرية والفرما وتنيس ودمياط ، ويمر ببلاد برقة إلى افريقية فيدخل فيه القيروان وينتهي في البحر إلى الغرب ، وبهذا الاقليم ثلاث وثلاثون جبلاً كباراً واثنان وعشرون نهراً طوالاً ، ومائة وثمانية وعشرون مدينة ، وأهله سمر الألوان ، وله من البروج :

العقرب ، ومن السيارة : الزهرة ، وفي هذا الاقليم العمائر المتواصلة من أوله إلى آخره ، وهو متصل بالثاني من جهة الشمال.

والاقليم الرابع : وسطه حيث يكون النهار الاطول أربع عشرة ساعة ونصف ساعة ، وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض ست وثلاثون درجة وخمس درجة وحد هذا الاقليم من حد الاقليم الثالث إلى حيث يكون النهار الاطول أربع عشرة ساعة ونصف وربع ساعة، والعرض تسعاً وعشرين درجة وثلث درجة ، ومسافة هذا الاقليم ثلاثمائة ميل ويبتدىء من الشرق فيمر ببلاد التبت وخراسان وخجنده وفرغانة وسمرقند وبخارى وهراة ومرو والرود وسرخس وطوس ونيسابور وجرجان وقومس وطبرستان وقزوين والديلم والري واصفهان وهمدان ونهاوند ودينور والموصل ونصيبين وآمد ورأس العين وشميساط والرقة ويمر ببلاد الشام فيدخل فيه بالس ومسح وملطية وحلب وانطاكية وطرابلس والصيصة وحماة وصيدا وطرسوس وعمورية واللاذقية ، ويقطع بحر الشام على جزيرة قبرس ورودس ، ويمر ببلاد طنجة فينتهي إلى بحر المغرب . وفي هذا الاقليم خمسة وعشرون جبلا كباراً وخمسة وعشرون نهراً طوالاً ومائتا مدينة واثنتا عشرة مدينة ، وألوان أهله ما بين السمرة والبياض، وله من البروج الجوزاء ، ومن السيارة عطارد ، وفيه البحر الرومي من مغربه إلى القسطنطينية . ومن هذا الاقليم ظهرت الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين ، ومنه انتشر الحكماء والعلماء ، فإنه وسط الاقاليم ثلاثة جنوبية وثلاثة شمالية ، وهو في قسم الشمس وبعده في الفضيلة الاقليم الثالث والخامس فانهما على جنبيه . وبقية الاقاليم منحطة أهلوها ناقصون ومنحطون عن الفضيلة لسماجة صورهم وتوحش أخلاقهم كالزنج والحبشة ، وأكثر أمم الاقليم الأول والثاني والسادس والسابع يأجوج ومأجوج والتغرغر والصقالبة ونحوهم وهو متصل بالثالث من جهة الشمال .

والاقليم الخامس : وسطه حيث يكون النهار الأطول خمس عشرة ساعة ، وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض إحدى وأربعون درجة

وثلث درجة ، وابتداؤه من نهاية عرض الاقليم الرابع إلى حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة ونصف ساعة والعرض ثلاثاً وأربعين درجة ، ومسافته خمسون ومائتا ميل ، ويبتدىء من المشرق إلى بلاد يأجوج ومأجوج ، ويمر بشمال خراسان وفيه خوارزم واسبيجاب ، وآذربيجان وبردعه وسجستان واردن وخلاط ، ويمر على بلاد الروم إلى رومية الكبرى والاندلس حتى ينتهي إلى البحر الذي في المغرب . وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال ثلاثون جبلاً ومن الأنهار الكبار خمسة عشر نهراً ومن المدائن الكبار مائتا مدينة وأكثر أهله بيض الألوان ، وله من البروج الدلو ومن السيارة القمر .

والاقليم السادس : وسطه حيث يكون النهار الأطول خمس عشرة ساعة ونصف ساعة ، وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض خمساً وأربعين درجة وخمسي درجة ، وابتداؤه من حد نهاية عرض الاقليم الخامس إلى حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة ونصف وربع ساعة ، والعرض سبعاً وأربعين درجة وربع درجة ، ومسافة هذا الاقليم مائتا ميل وعشرة أميال ، ويبتديء من المشرق فيمر بمساكن الترك من الجرخير والتغرغر إلى بلاد الخزر من شمال تخومهم على اللان والشرير وأرض برجان والقسطنطينية وشمال الاندلس إلى البحر المحيط الغربي . وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال اثنان وعشرون جبلاً ومن الأنهار الطوال اثنان وثلاثون نهراً ومن المدن الكبار تسعون مدينة وأكثر أهل هذا الاقليم ألوانهم ما بين الشقرة والبياض وله من البروج السرطان ومن السيارة المريخ .

والاقليم السابع : وسطه حيث يكون النهار الاطول ست عشرة ساعة سواء ، وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض ثمانية وأربعين درجة وثلثي درجة ، وابتداء هذا الاقليم من حد نهاية الاقليم السادس إلى حيث يكون النهار الأطول ست عشرة ساعة وربع ساعة ، والعرض خمسين درجة ونصف درجة ، ومسافته مائة وخمسة وثمانون ميلاً فتبين أن ما بين أول حد الاقليم الأول وآخر حد الاقليم السابع ثلاث ساعات ونصف ،

وأن ارتفاع القطب الشمالي ثمانية وثلاثون درجة تكون من الأميال الفين ومائة وأربعين ميلا ، ويبتديء الاقليم السابع من المشرق على بلاد يأجوج ومأجوج ، ويمر ببلاد الترك على سواحل بحر جرجان مما يلي الشمال ، ويقطع بحر الروم على بلاد جرجان والصقالبة ، إلى أن ينتهي إلى البحر المحيط في المغرب . وبهذا الاقليم عشرة جبال طوال وأربعون نهراً طوالاً واثنتان وعشرون مدينة كبيرة ، وأهله شقر الألوان وله من البروج الميزان ومن السيارة الشمس .

وفي كل اقليم من هذه الاقاليم السبعة أمم مختلفة الآلسن والألوان ، وغير ذلك من الطبائع والأخلاق والآراء والديانات والمذاهب والعقائد والأعمال والصنائع والعادات والعبادات ، لا يشبه بعضهم بعضاً .

وكذلك الحيوانات والمعادن والنبات مختلفة في الشكل والطعم واللون والريح بحسب اختلاف أهوية البلدان وتربة البقاع وعذوبة المياه وملوحتها ، على ما اقتضته طوالع كل بلد من البروج على أفقه ، وممر الكواكب على مسامتة البقاع من الأرض ومطارح شعاعاتها على المواضع كما هو مقر في مواضعه من كتب الحكمة ، ليتدبر أولو النهي ويعتبر ذوو الحجى بتدبير الله في خلقه وتقديره لما يشاء ، وفعله لما يريد لا إله إلا هو .

ومع ذلك فإن الربع المسكون من الأرض على تفاوت أقطاره مقسوم بين سبع أمم كبار وهم الصين والهند والسودان والبربر والروم والترك والفرس ، فجنوب مشرق الأرض في يد الصين ، وشماله في يد الترك ، ووسط جنوب الأرض في يد الهند ، وفي وسط شمال الأرض الروم ، وفي جنوب مغرب الأرض السودان ، وفي شمال مغرب الأرض البربر . وكانت الفرس في وسط هذه الممالك قد أحاطت بهم الأمم الست .

ذكر المعتدل من الاقاليم والمنحرف

قد بيّنا أن المعمور من هذا المنكشف من الأرض إنما هو وسطه لإفراط الحر في الجنوب منه والبرد في الشمال ، ولما كان الجانبان من الشمال والجنوب متضادين في الحر والبرد وجب أن تندرج الكيفية من كليهما إلى الوسط فيكون معتدلاً .

فالاقليم الرابع أعدل العمران والذي حفافيه من الثالث والخامس أقرب إلى الاعتدال ، والذي يليهما والثاني والسادس بعيدان من الاعتدال ، والأول والسابع أبعد بكثير ، فلهذا كانت العلوم والصنائع والمباني والملابس والأقوات والفواكه بل والحيوانات وجميع ما يتكون في هذه الأقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال ، وسكانها من البشر أعدل أجساماً وألواناً وأخلاقاً وأدياناً . حتى النبوات فانما توجد في الاكثر فيها ولم نقف على خبر بعثة في الاقاليم الجنوبية ولا الشمالية وذلك ان الانبياء والرسل إنما يختص بهم أكمل النوع في خلقهم وأخلاقهم . قال تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ (١) . وذلك ليتم القبول لما يأتيهم به الأنبياء من عند الله . وأهل هذه الأقاليم أكمل لوجود الاعتدال لهم ، فتجدهم على غاية من التوسط في مساكنهم وملابسهم وأقواتهم وصنائعهم يتخذون البيوت المنجدة بالحجارة المنمقة بالصناعة ، ويتناغون في استجادة الآلات والمواعين ، ويذهبون في ذلك إلى الغاية ، وتوجد لديهم المعادن الطبيعية من الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والقصدير ، ويتصرفون في معاملاتهم بالنقدين العزيزين ، ويبعدون

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١١٠ .

عن الانحراف في عامة أحوالهم ، وهؤلاء أهل المغرب والشام والحجاز واليمن والعراقين والهند والسند والصين وكذلك الاندلس ومن قرب منها من الفرنجة والجلالقة والروم واليونانيين ، ومن كان مع هؤلاء أو قريباً منهم في هذه الأقاليم المعتدلة ، ولهذا كان العراق والشام أعدل هذه كلها لأنها وسط من جميع الجهات . وأما الاقاليم البعيدة من الاعتدال مثل الأول والثاني والسادس والسابع فأهلها أبعد من الاعتدال في جميع أحوالهم فبناؤهم بالطين والقصب ، وأقواتهم من الذرة والعشب ، وملابسهم من أوراق الشجر يخصفونها عليهم أو الجلود ، وأكثرهم عرايا من اللباس وفواكه بلادهم وأدمها غريبة التكوين مائلة إلى الانحراف ، ومعاملاتهم بغير الحجرين الشريفين من نحاس أو حديد أو جلود يقدرونها للمعاملات ، وأخلاقهم مع ذلك قريبة من خلق الحيوانات العجم حتى ينقل عن الكثير من السودان أهل الاقليم الأول أنهم يسكنون الكهوف والغياض ويأكلون العشب وأنهم متوحشون غير مستأنسين يأكل بعضهم بعضاً ، وكذا الصقالبة .

والسبب في ذلك أنهم لبعدهم عن الاعتدال يقرب عرض أمزجتهم وأخلاقهم من عرض الحيوانات العجم ، ويبعدون عن الانسانية بمقدار ذلك . وكذلك أحوالهم في الديانة أيضاً فلا يعرفون نبوة ولا يدينون بشريعة إلا من قرب منهم من جوانب الاعتدال وهو في الأقل النادر مثل الحبشة المجاورين اليمن الدائنين بالنصرانية فيما قبل الاسلام وما بعده لهذا العهد . ومثل أهل مالي وكوكو والتكرور المجاورين لأرض المغرب الدائنين بالاسلام لهذا العهد يقال أنهم دانوا به في المائة السابعة ومثل من دان بالنصرانية من أمم الصقالبة والافرنجة والترك من الشمال من سوى هؤلاء من أهل تلك الاقاليم المنحرفة جنوباً وشمالاً فالدين مجهول عندهم ، والعلم مفقود بينهم، وجميع أحوالهم بعيدة من أحوال الاناسي قريبة من أحوال البهائم . ﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾ (1) .

ولا يعترض على هذا القول بوجود اليمن وحضرموت والاحقاف

---

(1) سورة النحل ، الآية : ٨ .

وبلاد الحجاز واليمامة وما يليها من جزيرة العرب في الاقليم الأول والثاني فان جزيرة العرب كلها أحاطت بها البحار من الجهات الثلاث ، فكان لرطوبتها أثر في رطوبة هوائها فنقص ذلك من اليبس والانحراف الذي يقتضيه الحر وصار فيه بعض الاعتدال بسبب رطوبة البحر .

وقد توهم بعض النسابين ممن لا علم لديه بطبائع الكائنات أن السودان هم ولد حام بن نوح اختصوا بلون السواد لدعوة كانت عليه من أبيد ظهر أثرها في لونه وفيما جعل الله من الرق في عقبه . وينقلون في ذلك حكاية من خرافات القصاص ودعاء نوح على ابنه حام قد وقع في التوراة وليس فيه ذكر السواد وإنما دعا عليه بأن يكون ولده عبيداً لولد اخوته لا غير ، وفي القول بنسبته السواد إلى حام غفلة عن طبيعة الحر والبرد وأثرهما في الهواء ، وفيما يتكون فيه من الحيوانات وذلك أن هذا اللون شمل أهل الاقليم الأول والثاني من مزاج هوائهم للحرارة المتضاعفة بالجنوب فإن الشمس تسامت رؤوسهم مرتين في كل سنة قريبة أحدهما من الأخرى ، فتطول المسامتة عامة الفصول فيكثر الضوء لأجلها ويلج القيظ الشديد عليهم ، وتسود جلودهم لإفراط الحر ونظير هذين الاقليمين مما يقابلهما من الشمال الاقليم السابع والسادس شمل سكانهما أيضاً البياض من مزاج هوائهم للبرد المفرط في الشمال ، إذ الشمس لا تزال بأفقهم في دائرة مرأى العين أو ما قرب منها ولا ترتفع إلى المسامتة ولا ما قرب منها ، فيضعف الحر فيها ويشتد البرد عامة الفصول فتبيض ألوان أهلها، وتنتهي إلى الزعورة ويتبع ذلك ما يقتضيه مزاج البرد المفرط من زرقة العيون وبرش الجلود وصهوبة الشعور .

وتوسطت بينهما الاقاليم الثلاثة الخامس والرابع والثالث ، فكان لها في الاعتدال الذي هو مزاج المتوسط حظ وافر والرابع ابلغها في الاعتدال غاية لنهايته في التوسط ، فكان لأهله من الاعتدال في خلقهم وخلقهم ما اقتضاه مزاج أهويتهم ، وتبعه عن جانبيه الثالث والخامس وإن لم يبلغا غاية التوسط لميل هذا قليلاً إلى الجنوب الحار وهذا قليلاً إلى الشمال البارد إلا أنهما لم ينتهيا إلى الانحراف .

وكانت الاقاليم الأربعة منحرفة وأهلها كذلك في خلقهم وخلقهم ، فالأول والثاني للحر والسواد ، والسابع والسادس للبرد والبياض ويسمى سكان الجنوب من الاقليمين الأول والثاني باسم الحبشة والزنج والسودان أسماء مترادفة على الامم المتغيرة بالسواد .

وإن كان اسم الحبشة مختصاً منهم بمن تجاه مكة واليمن والزنج بمن تجاه بحر الهند وليست هذه الأسماء لهم من أجل انتسابهم إلى آدمي أسود لا حام ولا غيره . وقد نجد من السودان أهل الجنوب من يسكن الربع المعتدل أو السبع المنحرف إلى البياض فتبيض ألوان أعقابهم على التدريج مع الأيام وبالعكس فيمن يسكن من أهل الشمال أو الرابع بالجنوب تسود ألوان أعقابهم ، وفي ذلك دليل على أن اللون تابع لمزاج الهواء . قال ابن سينا في أرجوزته في الطلب :

بالزنجِ حرٌّ غيّـر الاجسـادا حتّى كسا جلودهـا سـوادا
والصقلبُ اكتسبت البياضا حتّى غدَتْ جلودُها بضاضا

وأما أهل الشمال فلم يسموا باعتبار الوانهم ، لأن البياض كان لوناً لأهل تلك اللغة الواضعة للأسماء فلم يكن فيه غرابة يحمل على اعتباره في التسمية لموافقته واعتياده ، ووجدنا سكانه من الترك والصقالبة والتغرغر والخزر واللان والكثير من الافرنجة ويأجوج ومأجوج أسماء متفرقة وأجيالاً متعددة ، مسمين بأسماء متنوعة .

وأما أهل الاقاليم الثلاثة المتوسطة ، أهل الاعتدال في خلقهم وخلقهم وسيرهم وكافة الاحوال الطبيعية للاعتمار لديهم من المعاش والمساكن والصنائع والعلوم والرئاسات والملك ، فكانت فيهم النبوات والملك والدول والشرائع والعلوم والبلدان والامصار والمباني والفراسة والصنائع الفائقة وسائر الأحوال المعتدلة .

وأهل هذه الاقاليم التي وقفنا على أخبارهم مثل العرب والروم وفارس وبني إسرائيل واليونان وأهل السند والهند والصين . ولما رأى النسابون اختلاف هذه الامم بسماتها وشعارها حسبوا ذلك لأجل الانساب،

فجعلوا أهل الجنوب كلهم السودان من ولد حام وارتابوا في ألوانهم ، فتكلفوا نقل تلك الحكاية الواهية ، وجعلوا أهل الشمال كلهم أو أكثرهم من ولد يافث ، وأكثر الامم المعتدلة وأهل الوسط المنتحلين للعلوم ، والصنائع والملل والشرائع والسياسة والملك من ولد سام .

وهذا الزعم وإن صادف الحق في انتساب هؤلاء فليس ذلك بقياس مطرد ، إنما هو أخبار عن الواقع لأن تسمية أهل الجنوب بالسودان والحبشان من أجل انتسابهم إلى حام الأسود وما أداهم إلى هذا الغلط إلا اعتقادهم أن التمييز بين الامم إنما يقع بالأنساب فقط . وليس كذلك فإن التمييز للجيل أو الأمة يكون بالنسب في بعضهم كما للعرب وبني إسرائيل والفرس ، ويكون بالجهة والسمة كما للزنج والحبشة والصقالبة والسودان ، ويكون بالعوائد والشعار والنسب كما للعرب ويكون بغير ذلك من أحوال الامم وخواصهم ومميزاتهم فتعميم القول في أهل جهة معينة من جنوب أو شمال بأنهم من ولد فلان المعروف لما شملهم من نحلة أو لون أو سمة وجدت لذلك الأب إنما هو من الأغاليط التي وقع فيها الغفلة عن طبائع الأكوان والجهات ، وإن هذه كلها تتبدل في الأعقاب ، ولا يجب استمرارها سنة الله في عباده . ﴿ ولن تجد لسنّة الله تبديلا ﴾ [1] . والله ورسوله أعلم بغيبه وأحكم وهو المولى المنعم الرؤوف الرحيم .

---

(١) سورة فاطر ، الآية : ٤٣ .

ذكر المساجد العظيمة في العالم

اعلم أن الله سبحانه وتعالى فضل من الأرض بقاعاً اختصها بتشريفه ، وجعلها مواطن العبادة يضاعف فيها الثواب ، وينمو بها الاجور وأخبرنا بذلك على ألسن رسله وأنبيائه لطفاً بعباده وتسهيلاً لطرق السعادة لهم ، وكانت المساجد الثلاثةهي أفضل بقاع الأرض حسب ما ثبت في«الصحيحين» وهي مكة والمدينة وبيت المقدس .

أما البيت الحرام ، الذي بمكة فهو بيت إبراهيم عليه الصلاة والسلام أمره الله ببنائه وأن يؤذن في الناس بالحج اليه ، فبناه هو وابنه إسماعيل كما نصه القرآن ، وقام بما أمره الله فيه وسكن اسماعيل به مع هاجر ومن نزل معهم من جرهم إلى أن قبضهما الله ودفنا بالحجر منه .

وبيت المقدس ؛ بناه داود عليه السلام وسليمان أمرهما الله ببناء مسجده ونصب هياكله ، ودفن كثير من الأنبياء من ولد إسحاق عليه السلام حواليه .

والمدينة ؛ مهاجر نبينا محمد ﷺ أمره الله تعالى بالهجرة اليها وإقامة دين الاسلام بها ، فبنى مسجده الحرام بها ، وكان ملحده الشريف في تربتها . فهذه المساجد الثلاثة قرة عين المسلمين ومهوى أفئدتهم وعظمة دينهم ، وفي الآثار من فضلها ومضاعفة الثواب في مجاورتها والصلاة فيها كثير معروف ، فلنشر إلى شيء من الخبر عن أولية هذه المساجد الثلاثة وكيف تدرجت أحوالها إلى أن كمل ظهورها في العالم .

فأما مكة فأوليتها فيما يقال أن آدم صلوات الله عليه بناها قبالة البيت

المعمور ، ثم هدمها الطوفان بعد ذلك وليس فيه خبر صحيح يعول عليه وإنما إقتبسوه من محل الآية في قوله : ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ﴾ [1] . ثم بعث الله إبراهيم وكان من شأنه وشأن زوجته سارة وغيرتها من هاجر ما هو معروف وأوحى الله اليه أن يترك ابنه اسماعيل وأمه هاجر بالفلاة فوضعهما في مكان البيت وسار عنهما ، وكيف جعل الله لهما من اللطف في نبع ماء زمزم ومرور الرفقة من جرهم بهما حتى احتملوهما وسكنوا اليهما ونزلوا معهما حوالي زمزم كما عرف في موضعه ، فاتخذ اسماعيل بموضع الكعبة بيتاً يأوي اليه ، وأدار عليه سياجاً من الدوم ، وجعله زرباً لغنمه ، وجاء إبراهيم صلوات الله عليه مراراً لزيارته من الشام أُمر في آخرها ببناء الكعبة مكان ذلك الزرب ، فبناه واستعان فيه بابنه اسماعيل ، ودعا الناس إلى حجه وبقي اسماعيل ساكناً به . ولما قبضت أمه هاجر وقام بنوه من بعده بأمر البيت مع أخوالهم من جرهم ثم العماليق من بعدهم واستمر الحال على ذلك والناس يهرعون اليها من كل أُفق من جميع أهل الخليقة لا من بني اسماعيل ولا من غيرهم ممن دنا أو نأى ، فقد نقل أن التبابعة كانت تحج البيت وتعظمه وان تبعاً كساها الملاء والوصائل وأمر بتطهيرها وجعل لها مفتاحاً . ونقل أيضاً أن الفرس كانت تحجه وتقرب اليه وان غزالي الذهب اللذين وجدهما عبد المطلب حين احتفر زمزم كانا من قرابينهم ، ولم يزل بجرهم الولاية عليه من بعد ولد اسماعيل من قبل خؤولتهم حتى إذا خرجت خزاعة وأقاموا بها بعدهم ما شاء الله ثم كثر ولد اسماعيل وانتشروا وتشعبوا إلى كنانة ثم كنانة إلى قريش وغيرهم وساءت ولاية خزاعة فغلبتهم قريش على أمره وأخرجوهم من البيت وملكوا عليهم يومئذ قصي بن كلاب فبنى البيت وسقفه بخشب الدوم وجريد النخل ، قال الأعشى :

حلَفْتُ بثوبي راهبُ الدير والتي ... بناها قصيٌ والمضاض بن جرهمِ

ثم أصاب البيت سيل ، ويقال حريق ، وتهدم وأعادوا بناءه ، وجمعوا النفقة لذلك من أموالهم ، وانكسرت سفينة بساحل جدة فاشتروا خشبها

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٢٧ .

للسقف ، وكانت جدرانه فوق القامة فجعلوها ثمانية عشر ذراعاً . وكان الباب لاصقاً بالأرض ، فجعلوه فوق القامة لئلا تدخله السيول وقصرت بهم النفقة عن اتمامه فقصروا عن قواعده وتركوا منه ستة أذرع وشبراً أداروها بجدار قصير يطاف من ورائه وهو الحجر .

وبقي البيت على هذا البناء إلى أن تحصن ابن الزبير بمكة حين دعا لنفسه وزحفت اليه جيوش يزيد بن معاوية مع الحصين بن نمير السكوني ، ورمى البيت سنة أربع وستين فأصابه حريق يقال من النفط الذي رموا به على ابن الزبير فأعاد بناءه أحسن مما كان بعد أن اختلفت عليه الصحابة في بنائه واحتج عليهم بقول رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها : «لولا قومك حديثو عهد بكفر لرددت البيت على قواعد إبراهيم ولجعلت له بابين شرقياً وغربياً» فهدمه وكشف عن أساس إبراهيم عليه السلام ، وجمع الوجوه والأكابر حتى عاينوه وأشار عليـــه ابن عباس بالتحري في حفظ القبلة على الناس ، فأدار على الاساس الخشب ونصب من فوقها الأستار حفظاً للقبلة ، وبعث إلى صنعاء في الفضة والكلس فحملها ، وسأل عن مقطع الحجارة الأول فجمع منها ما احتاج اليه ثم شرع في البناء على أساس إبراهيم عليه السلام ورفع جدرانها سبعاً وعشرين ذراعاً وجعل لها بابين لاصقين بالأرض كما روي في حديثه ، وجعل فرشها وازرها بالرخام وصاغ لها المفاتيح وصفائح الأبواب من الذهب .

ثم جاء الحجّاج لحصاره أيام عبد الملك ورمى على المسجد بالمنجنيقات إلى أن تصدعت حيطانها ثم لما ظفر بابن الزبير شاور عبد الملك فيما بناه وزاده في البيت ، فأمره بهدمه ورد البيت على قواعد قريش كما هي اليوم ، ويقال أنه ندم على ذلك حين علم صحة رواية ابن الزبير لحديث عائشة .

وقال : وددت أني كنت حملت أبا خبيب في أمر البيت وبنائه ما تحمل ، فهدم الحجّاج منها ستة أذرع وشبراً مكان الحجر ، وبناها على أساس قريش وسد الباب الغربي وما تحت عتبة بابها اليوم من الباب الشرقي .

وترك ساترها لم يغير منه شيئاً فكل البناء الذي فيه اليوم بناء ابن الزبير وبناء الحجاج في الحائط صلة ظاهرة للعيان لحمة ظاهرة بين البنائين والبناء متميز عن البناء بمقدار اصبع شبه الصدع ، وقد لحم .

ويعرض ها هنا أشكال قوي لمنافاته لما يقوله الفقهاء في أمر الطواف ويحذر الطائف عن أن يميل على الشاذروان الدائر على آساس الجدر من أسفلها فيقع طوافه داخل البيت بناء على أن الجدر إنما قامت على بعض الأساس ، وترك بعضه وهو مكان الشاذروان ؛ وكذا قالوا في تقبيل الحجر الاسود لا بد من رجوع الطائف من التقبيل حتى يستوي قائماً لئلا يقع بعض طوافه داخل البيت . وإذا كانت الجدران كلها من بناء ابن الزبير وهو إنما على أساس إبراهيم فكيف يقع هذا الذي قالوه ، ولا مخلص من هذا إلا بأحد أمرين : إما أن يكون الحجاج هدم جميعه وأعاده ، وقد نقل ذلك جماعة إلا أن العيان في شواهد البناء بالتحام ما بين بناتين ، وتمييز أحد الشقين من أعلاه عن الآخر في الصناعة ، يرد ذلك ، وإما أن يكون ابن الزبير لم يرد البيت على أساس إبراهيم من جميع جهاته وإنما فعل ذلك في الحجر فقط ليدخله فهي الآن مع كونها من بناء ابن الزبير ليست على قواعد ابراهيم ، وهذا بعيد ولا محيص من هذين ، والله تعالى أعلم .

ثم إن مساحة البيت ، وهو المسجد ، كان فضاء للطائفين ولم يكن عليه جدر أيام النبي ﷺ وأبي بكر من بعد ، ثم كثر الناس فاشترى عمر رضي الله عنه دوراً هدمها وزادها في المسجد ، وأدار عليها جداراً دون القامة ، وفعل مثل ذلك عثمان ، ثم ابن الزبير ، ثم الوليد بن عبد الملك ، وبناه بعمد الرخام ثم زاد فيه المنصور وابنه المهدي من بعده ، ووقفت الزيادة واستقرت على ذلك لعهدنا .

وتشريف الله لهذا البيت وعنايته به أكثر من أن يحاط به وكفى من ذلك أن جعله مهبطاً للوحي والملائكة ومكاناً للعبادة ، وفرض له شعائر الحج ومناسكه وأوجب لحرمه من سائر نواحيه من حقوق التعظيم والحق ما لم يوجبه لغيره ، فمنع كل من خالف دين الاسلام من دخول ذلك

الحرم ، وأوجب على داخله أن يتجرد ومن المخيط إلا إزاراً يستره وحمى العائذ به والراتع في مسارحه من مواقع الآفات ، فلا يرام فيه خائف ولا يصاد له وحش ولا يحتطب له شجر . وحد الحرم الذي يختص بهذه الحرمة من طريق المدينة ثلاثة أميال إلى التنعيم ، ومن طريق العراق سبعة أميال إلى الثنية من جبـــل المنقطع ، ومن طريق الطائف سبعة أميال إلى بطن نمرة ، ومن طريق جدة سبعة أميال إلى منقطع العشائر هـــذا شأن مكة وخبرها وتسمى أم القرى ، وتسمى الكعبة لعلوها من اسم الكعب، ويقال لها بكة .

قال الأصمعي : لأن الناس يبك بعضهم بعضاً اليها أي يدفع .

وقال مجاهد : باء بكة أبدلوها ميماً كما قالوا لازب ولازم لقرب المخرجين .

وقال النخعي : بالباء البيت وبالميم البلد .

وقال الزهري : بالباء للمسجد كله وبالميم للحرم ، وقد كانت الأمم منذ عهد الجاهلية تعظمه والملوك تبعث اليه بالأموال والذخائر ككسرى وغيره ، وقصة الأسياف وغزالي الذهب معروفة .

وقد وجد رسول الله ﷺ حين افتتح مكة في الجب الذي كان فيه سبعين ألف أوقية من الذهب مما كان الملوك يهدون للبيت فيها الف الف دينار مكررة مرتين بمائتي قنطار وزناً .

وقال له علي بن أبي طالب : « يارسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك» ، فلم يفعل ، ثم ذكر لأبي بكر فلم يحركه هكذا قال الأزرقي . وفي البخاري بسنده إلى وائل قال : جلست إلى شيبة بن عثمان، وقال : جلس إلى عمر بن الخطاب ، فقال : هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها بين المسلمين ، قلت : ما أنت بفاعل . قال : ولِمَ ؟ قلت : لم يفعله صاحباك ، فقال : هما اللذان يقتدى بهما وخرجه أبو داود وابن ماجه وأقام ذلك المال إلى أن كانت فتنة الأفطس وهو الحسن بن الحسين بن علي بن علي زين العابدين سنة تسع وتسعين ومائة حين غلب على مكة عمد إلى الكعبة فأخذ ما في خزائنها .

وقال : ما تصنع الكعبة بهذا المال موضوعاً فيها لا ينتفع به نحن أحق به نستعين به على حربنا ، وأخرجه وتصرف فيـــه ، وبطلت الذخيرة من الكعبة من يومئذ . ذكر ذلك كله ابن خلدون في تاريخه ، وفي كتابنا « رحلة الصديق إلى البيت العتيق » من شأن الكعبة ومكة ومناسك الحج والعمرة ما يغني .

قال القاضي محمد بن علي الشوكاني في « ارشاد السائل إلى دليل المسائل » : عمارة المقامات بمكة المكرمة بدعة باجماع المسلمين أحدثها شر ملوك الجراكسة فرج بن برقوق في أوائل المائة التاسعة من الهجرة ، وأنكر ذلك أهل العلم في ذلك العصر ووضعوا فيه مؤلفات ، وقد بينت ذلك في غير هذا الموضع وياالله العجب من بدعة يحدثها من هومن شر ملوك المسلمين في خير بقاع الأرض ، كيف لم يغضب لها من جاء بعده من الملوك المائلين إلى الخير لا سيما وقد صارت هذه المقامات سبباً من أسباب تفريق الجماعات ؟ وقد كان الصادق المصدوق ينهي عن الاختلاف والفرقة ، ويرشد إلى الاجتماع والالفة كما في الأحاديث الصحيحة بل نهى عن تفريق الجماعات في الصلوات وبالجملة فكل عاقل متشرع يعلم أنه حدث بسبب هذه المذاهب التي فرقت فرق الاسلام مفسدة أصيب بها الدين وأهله ، وإن من أعظمها خطراً وأشدها على الاسلام ما يقع الآن في الحرم الشريف من تفريق الجماعات ، ووقوف كل طائفة في مقام من هذه المقامات ، كأنهم أهل أديان مختلفة وشرائع غير مؤتلفة ، فإنّا لله وإنّا اليه راجعون .

وأما رفع المنارات فأصل وضعها لمقصد صالح ، وهو إسماع البعيد عن محل الآذان وهذه مصلحة مسوغة إذا لم تعارضها مفسدة فإن عارضتها مفسدة من المفاسد المخالفة للشريعة فدفع المفاسد مقدم على جلب المصالح ، كما تقرر ذلك في الأصول . وأما تشييد البنيان ورفعه فوق حاجة الانسان فقد ورد النهي عنه والوعيد عليه ، وثبت أنه ﷺ أمر بهدم بعض الأبنية ، وليس ذلك مجرد بدعة ، بل خلاف ما أرشد اليه الشارع انتهى كلامه .

وأما بيت المقدس : وهو المسجد الأقصى ، فكان أول أمره أيام

الصابئية موضع الزهرة . وكانوا يقربون اليه الزيت فيما يقربونه يصبونه على الصخرة التي هناك ثم دثر ذلك الهيكل واتخذها بنو إسرائيل حين ملكوها قبلة لصلاتهم ، وذلك أن موسى صلوات الله عليه لما خرج ببني إسرائيل من مصر لتمليكهم بيت المقدس كما وعد الله إباهم إسرائيل وأباه اسحاق من قبله ، وأقاموا بأرض التيه ، أمره الله باتخاذ قبة من خشب السنط عين بالوحي مقدارها وصفتها وهياكلها وتماثيلها ، وأن يكون فيه التابوت ومائدة بصحافها ومنارة بقناديلها ، وأن يضع مذبحاً للقربان . وصف ذلك كله في التوراة أكمل وصف فصنع القبة ووضع فيها تابوت العهد ، وهو التابوت الذي فيه الألواح المصنوعة عوضاً عن الألواح المنزلة بالكلمات العشر لما تكسرت ، ووضع المذبح عندها وعهد الله إلى موسى بأن يكون هارون صاحب القربان ، ونصبوا تلك القبة بين خيامهم في التيه يصلون اليها ويتقربون في المذبح أمامها ، ويتعرضون للوحي عندها ، ولما ملكوا الشام وبقيت تلك القبة قبلتهم ، ووضعوها على الصخرة ببيت المقدس وأراد داود عليه السلام بناء مسجده على الصخرة مكانها ، فلم يتم له ذلك . وعهد به إلى ابنه سليمان فبناه لأربع سنين من ملكه ولخمسمائة سنة من وفاة موسى ،واتخذ عمده من الصفر وجعل به صرح الزجاج وغشى أبوابه وحيطانه بالذهب ، وصاغ هياكله وتماثيله وأوعيته ومنارته ومفتاحه من الذهب ، وجعل في ظهره قبراً ليضع فيه تابوت العهد وهو التابوت الذي فيه الألواح ، وجاء به من صيهون بلد أبيه داود تحمله الاسباذ والكهونية حتى وضعه في القبر ، ووضعت القبة والأوعية والمذبح لكل واحد حيث أعد له من المسجد وأقام كذلك ما شاء الله ثم خربه بخت نصر بعد ثمانمائة سنة من بنائه ، وأحرق التوراة والعصا ، وصاغ الهياكل ونثر الاحجار .

ثم لما أعادهم ملوك الفرس بناه عزير نبي بني إسرائيل لعهده باعانة بهمن ملك الفرس الذي كانت الولادة لبني إسرائيل عليه من سبي بخت نصر وحد لهم في بنائه حدوداً دون بناء سليمان بن داود عليهما السلام ، فلم يتجاوزوها ثم تداولتهم ملوك اليونان والفرس والروم، واستفحل

الملك لبني إسرائيل في هذه المدة ثم لبني خسمان من كهنتهم ثم لصهرهم هيردوس ولبنيه من بعده . وبني هيردوس ببيت المقدس على بناء سليمان عليه السلام وتأنق فيه حتى أكمله في ست سنين . فلما جاء طيطش من ملوك الروم وغلبهم وملك أمرهم خرب بيت المقدس ومسجدها وأمر أن يزرع مكانه ، ثم أخذوا الروم بدين المسيح عليه السلام ودانوا بتعظيمه ثم اختلف حال ملوك الروم في الأخذ بدين النصارى تارة وتركه أخرى ، إلى أن جاء قسطنطين وتنصرت أمة هيلانة ، وارتحلت إلى المقدس في طلب الخشبة التي صلب عليها المسيح بزعمهم ، فأخبرها القساسة بأنه رمى بخشبته على الأرض والقى عليها القمامات والقاذورات فاستخرجت الخشبة ، وبنت مكان تلك القمامات كنيسة القمامة كأنهـــا على قبره بزعمهم،وخربت ما وجدت من عمارة البيت وأمرت بطرح الزبل والقمامات على الصخرة حتى غطاها ، وخفي مكانها جزءاً بزعمها لما فعلوه بقبر المسيح ثم بنوا بازاء القمامة بيت لحم وهو البيت الذي ولد فيه عيسى عليه السلام ؛ وبقي الأمر كذلك إلى أن جاء الاسلام وحضر عمر لفتح بيت المقدس وسأل عن الصخرة فأري مكانها وقد علاها الزبل والتراب ، فكشف عنها وبنى عليها مسجداً على طريق البداوة وعظم من شأنه ما أذن الله من تعظيمه ، وما سبق من أم الكتاب في فضله حسب ما ثبت . ثم إحتفل الوليد بن عبد الملك في تشييد مسجده على سنن مساجد الاسلام بما شاء الله من الاحتفال ، كما فعل في المسجد الحرام وفي مسجد النبي ﷺ بالمدينة ، وفي مسجد دمشق وكانت العرب تسميه بلاط الوليد وألزم ملك الروم أن يبعث الفعلة والمال لبناء هذه المساجد وأن ينمقوها بالفسيفساء فأطاع لذلك ، وتم بناؤها على ما اقترحه ثم لما ضعف أمر الخلافة أعوام الخمسمائة من الهجرة في آخرها،وكانت في ملكة العبيديين خلفـــاء القاهرة من الشيعة واختل أمرهم ، زحف الفرنجـــة إلى بيت المقدس فملكوه وملكوا معه عامة ثغور الشام وبنوا على الصخرة المقدسة منه كنيسة كانوا يعظمونها ويفتخرون ببنائها ، حتى إذا استقل صلاح الدين ابن أيوب الكردي بملك مصر والشام ومحا أثر العبيديين وبدعهم ، زحف إلى الشام وجاهد من كان به من الفرنجة حتى غلبهم على بيت المقدس وعلى

ما كانوا ملكوه من ثغور الشام ، وذلك لنحو ثمانين وخمسمائة من الهجرة ، وهدم تلك الكنيسة وأظهر الصخرة وبنى المسجد على النحو الذي هو عليه اليوم لهذا العهد ، ولا يعرض لك الاشكال المعروف في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ سئل عن أول بيت وضع فقال : « مكة » . قيل ، ثم أي ؟ قال: «بيت المقدس» ، قيل : فكم بينهما ؟ قال : « أربعون سنة » . فإن المدة بين بناء مكة وبين بناء بيت المقدس بمقدار ما بين إبراهيم وسليمان لأن سليمان بانيه ، وهو ينيف على الألف بكثير واعلم أن المراد بالوضع في الحديث ليس البناء وإنما المراد أول بيت عين للعبادة ولا يبعد أن يكون بيت المقدس عين للعبادة قبل بناء سليمان بمثل هذه المدة . وقد نقل أن الصابئية بنوا على الصخرة هيكل الزهرة فلعل ذلك انها كانت مكاناً للعبادة كما كانت الجاهلية تضع الأصنام والتماثيل حوالي الكعبة وفي جوفها والصابئية الذين بنوا هيكل الزهرة كانوا على عهد ابراهيم عليه السلام ، فلا تبعد مدة الأربعين سنة بين وضع مكة للعبادة ووضع بيت المقدس ، وإن لم يكن هناك بناء كما هو المعروف وأن أول من بنى بيت المقدس سليمان عليه السلام . فتفهمه ففيه حل هذا الاشكال .

وأما المدينة : وهي المسماة بيثرب فهي من بناء يثرب بن مهلائل من العمالقة ، وملكها بنو إسرائيل من أيديهم فيما ملكوا من أرض الحجاز ، ثم جاورهم بنو قيلةمن غسان وغلبوهم عليها وعلى حصونها ثم أمر النبي ﷺ بالهجرة اليها لما سبق من عناية الله بها فهاجر اليها ومعه أبو بكر وتبعه أصحابه ، ونزل بها وبنى مسجده وبيوته في الموضع الذي كان الله قد أعده لذلك ، وشرفه في سابق ازله وآواه ابناء قيلة ونصروه فلذلك سموا الأنصار ، وتمت كلمة الاسلام من المدينة حتى علت على الكلمات وغلب على قومه . وفتح مكة وملكها ، وظن الأنصار أنه يتحول عنهم إلى بلده فأهمهم ذلك فخاطبهم رسول الله ﷺ وأخبرهم أنه غير متحول حتى إذا قبض رسول الله ﷺ كان ملحده الشريف بها ، وجاء في فضلها من الأحاديث الصحيحة ما لا خفاء به ، ووقع الخلاف بين العلماء في تفضيلها على مكة ، وبه قال مالك رحمه الله : لما ثبت عنده في ذلك من النص الصريح عن رافع بن خديج أن النبي ﷺ قال : « المدينة خير من

مكة » . نقل ذلك عبد الوهاب في المعونة إلى أحاديث أخرى تدل بظاهرها على ذلك ، وخالف أبو حنيفة والشافعي رحمهما الله وأصبحت على كل حال ثانية المسجد الحرام ، وجنح اليها الامم بأفئدتهم من كل أوب ، فانظر كيف تدرجت الفضيلة في هذه المساجد المعظمة لما سبق من عناية الله لها وتفهم سر الله في الكون وتدريجه على ترتيب محكم في أمور الدين والدنيا . وأما غير هذه المساجد الثلاثة فلا نعلمه في الأرض إلا ما يقال من شأن مسجد آدم عليه السلام بسرنديب من جزائر الهند ، لكنه لم يثبت فيه شيء يعول عليه . وقد كانت للامم في القديم مساجد يعظمونها على جهة الديانة بزعمهم منها بيوت النار للفرس والهند والصين ، وهياكل اليونان ، وبيوت العرب بالحجاز التي أمر النبي ﷺ بهدمها في غزواته.

وقد ذكر المسعودي منها بيوتاً لسنا من ذكرها في شيء إذ هي غير مشروعة ولا هي على طريق ديني ولا يلتفت اليها ولا إلى الخبر عنها ، ويكفي في ذلك ما وقع في التواريخ ، فمن أراد معرفة الأخبار فعليه بها ، والله يهدي من يشاء سبحانه وتعالى عما يشركون ؛ ذكر ذلك كله ابن خلدون .

وقد عقدنا فصلاً في التفاضل بين مكة والمدينة في كتابنا « رحلة الصديق إلى البيت العتيق » ، وذكرنا فيه أنه قال محمد بن علي الشوكاني في « نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار » بعدما ذكر أدلة الفريقين بالبسط أن الاستيعاب ببيان الفاضل من هذين الموضعين الشريفين كالإشتغال ببيان الأفضل من القرآن الكريم والنبي ﷺ والكل من فضول الكلام الذي لا يتعلق به فائدة غير الجدال والخصام ، وقد أفضى النزاع في ذلك وأشباهه إلى فتن وتلفيق حجج واهية كاستدلال المهلب على أفضلية المدينة بأنها هي التي أدخلت مكة وغيرها من القرى في الاسلام ، فصار الجميع في صحائف أهلها ، وبأنها تنفي الخبيث ، كما ثبت في الحديث الصحيح ، وقد أجيب عن هذين الاستدلالين في موضعه انتهى .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجدي هذا

والمسجد الأقصى » . متفق عليه ، وصورة هذا الحديث نفي والمراد به النهي ، كأنه قال لا يستقيم شرعاً أن يقصد المساجد أو البقاع الأخرى بالزيارة إلا هذه البقاع الثلاثة لاختصاصها بما اختصت به من المزايا التي شرفها الله تعالى بها . وقال أهل الأصول : خبر الشارع آكد من الأمر والنهي ، وقد استدل بهذا الحديث جمع من أهل العلم أكبرهم شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رضي الله عنه وأرضاه على منع السفر للزيارة إلى مشاهد الأنبياء والأولياء ومقابر المشايخ والأصفياء وهو استنباط حسن المسلك ، وبه قال مالك إمام دار الهجرة والقاضي عياض ، ومن خالفه في ذلك أو طعن عليه لم يأت بما يشفي العليل ويروي الغليل ، وقد بسطنا الكلام على هذا الحديث في مؤلفاتنا بسطاً لائقاً ، ومهدناه مهداً فائقاً . فمن شاء الاطلاع على مباحثه فعليه بـ « مسك الختام شرح بلوغ المرام » وأمثاله ، ففيه مقنع وبلاغ ، والذين لم يبلغوا معشار ما آتاه الله من العلم والعمل قد أقاموا عليه الطامة الكبرى في هذه المسألة وأخواتها ولهم في في ذلك قلاقل وزلازل ، قديماً وحديثاً ، ليس هذا موضع ذكرها ، والحق الذي لا محيص عنه هو ما دل عليه حديث الباب بظاهره وله شواهد من الأخبار الصحيحة والآثار المأثورة .

وعينُ الرضا عن كلّ عيبٍ كليلةٍ ولكن عينَ السخطِ تبدي المساويا

وفق الله إخواننا من المسلمين إلى القول الحق والعمل الصدق على مراد الله في كتابه العزيز ، ومراد رسوله في السنّة المطهرة ، وجنبنا وإياهم عما لم يرد فيه نص من القرآن والحديث ، أو لم يقل به سلف الأمة وأئمتها ، أو لم يعمل به أحد من الصحابة والتابعين والذين اتبعوهم باحسان ، وكم من آية وسنّة دلت على الاتباع ونهت عن التقليد والابتداع وهي لا تخفى على من عرف دواوين الاسلام ومارس الفرقان،ولكن مفاسد الجهل والتعصب أكثر من أن تضبط أو تحيط بها الأذهان . وكم للعلما من كتب ضخمة ورسائل جمة في هذا الشأن في لسان العرب والعجم تدفع بها أهل الايمان في صدور الناكثين والمارقين من أهل الطغيان ، فمن قدر الله

ه السعادة في الأزل يوفق لها ويكون علمه له عليها دليلاً ، ومن جعله شقياً في علمه فهو لا يهتدي اليه سبيلا .

ولا بدّ من شكوى إلى ذي مــروةٍ يواسيك أو يُسليك أو يتوجعُ

وهذا زمان جاء فيه الجهل ، وحلي مذاقه وذهب عنه العلم برمته ، وطاب فراقه لا ترى واحداً من ألف يحزن على عقباه إنما يبكي كل واحد منهم على دنياه فهم ﴿ الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدُّنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ (١) . حتى نبعث فرقة لعهدنا هذا في مملكة الهند تقول بالملة النيجرية وتنصر النصارى وتخذل المسلمين بأدلة واهية ، وشكوك شيطانية ، وحجج داحضة ، ولها دعاة في ديارها يدعون ضعفاء العقول وسفهاء الأحلام إلى قبول قولها وتحسين فعلها وما هي بأول فتنة حدثت في الاسلام أو قارورة كسرت فيه ، فكم من دجاجلة كاذبة خاطئة ظهرت قديماً في الملّة الحقة ، وكم بلغت الشريعة الصادقة من أيديها الفاسدة وآرائها الكاسدة أنواع المحن والمشقة وتلألأ رونقها في بدء الولاية ثم أدرك الله سبحانه وتعالى ثأرها على أيدي حماة الدين القويم ، وسالكي الصراط المستقيم ، السادة القادة ، وأنجز وعده ونصر حزبه وصدق رسوله وعبده فيما قال : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله » . فرحم الله عبداً أبصر الحق حقاً واتبعه ، ورأى الباطل باطلاً واجتنبه ، وانتصف من نفسه كما انتصف من غيره ، ولم يبال بقبول الحق ورده ، وآثر الحق على الخلق ، ونصر الله رسوله في اتباع كتابه وسنّة رسوله ، ولم يقلّد آراء الرجال ولم يلتفت إلى كتب القيل والقال ، وأخذ الدين من حيث أخذه السلف الصلحاء ، واقتبس الأنوار من مشكوة مصابيح السنّة البيضاء ، وعلم أن الرأي ثلمة في مكان الدين وتحريف في سواذج الشرع المبين ، وإنما القضاء ما قضى الله به والرسول في الكتاب والسنّة على ألسنة الفحول من أهل القرآن والحديث ، جهينة الأخبار وعيبة الآثار ، ودارسي الرق المنزل من السماء وآخذي

(١) سورة الكهف ، الآية : ١٠٤ .

السنن من رجال الصدق والصفاء ، ورواة العز والعلاء ، وعاملي الصالحات ومقدمي الروايات على الصناعات ، وأولئك حزب الله إلا ان حزب الله هم المفلحون ، وتلك حزب الشيطان ، إلا ان حزب الشيطان هم الخاسرون، والله يهدي إلى الحق من يشاء، اللهم كن لي حيثما كنت ولا تشمت بي الأعداء .

ذكر حكم الصلاة والصوم في ارض التسعين

قال الشيخ رفيع الدين الدهلوي في بعض إفاداته : لم أجد أحداً من أهل العلم تكلم في ذلك ، ولم يذكر الفقهاء في كتاب من كتب الفقه حكم هذه المسألة بالخصوص ، ولعل السلف من العلماء لما رأوا هذا الموضع من الأرض لا يسكن فيه حيوان فضلاً عن نوع الانسان ولا يمكن ذلك طووا كشح البحث عن ذكرها وعلموا أن لا فائدة في البحث عن ذلك لأن الشمس بعدت عن تلك الأرض جداً ، واستولت عليها البرودة غاية الاستيلاء ، حتى لم يمكن العيش بها لذي حياة أبداً فإن الحياة تتوقف على الحرارة الغريزية ، وهي لا توجد هناك فكيف يعيش أو كيف يوجد بها حيوان وحينئذ البحث عن حكم الصلاة والصوم في تلك البقعة من الأرض المفروضة عبث لا جدوى تحته .

ولكن القرآن العزيز يستفاد منه حكمها في هذا الموضع من الأرض وصورته هكذا أن الشمس إذا دخلت بحركتها الخاصة في البروج الشمالية من الحمل إلى آخر السنبلة لا تغيب عند سكانها في تمام دورة اليوم والليلة ، بل تقطع كل يوم مداراً بحركة فلك الأفلاك . وعلى هذا ينبغي أن يجعل المصلي مدار كل يوم حصتين ويعتبر أحدهما يوماً ويصلي فيه للصلوات الثلاث الصبح والظهر والعصر في مواقيتها بتقسيم ذلك المدار على تلك الأوقات ، ويعتبر النصف الآخر ليلا ويصلي فيه المغرب أولا ، ثم إذا بلغت الشمس ربع المدار يصلي العشاء الآخرة . وهذا حكم الصلاة حين تكون الشمس في المدارات الشمالية ظاهرة في أنظار سكانها،وأما إذا كانت في البروج الجنوبية من الميزان إلى آخر الحوت فيقدر المدارات الجنوبية كما كان قدر المدارات الشمالية ، وينصف اليوم والليلة ويعتبر أحد النصفين

ليلاً والآخر يوماً لأن كلا من المدارات الشمالية والجنوبية متساويان لا تفاوت بينهما ، وإن وجدا متفاوتين في النظر باختلاف الاوج والحضيض تفاوتاً غير محسوس .

وأما الصوم فيستفسر من أهل المراكب التي تأتي من قرب الأرض المعمورة ، أي شهر هذا من الشهور القمرية ، فإذا أخبروهم بذلك حسبوا كل شهر ثلاثين يوماً من الشهور القمرية الأخرى ، فإذا جاء شهر رمضان على ذلك الحساب يجعل نصف المدار يوماً ، والنصف الآخر ليلاً ، ويصوم بالنهار ويفطر بالليل ، كما ذكرنا في الصلاة .

وهذا هو الطريق السهل ، وإن كانت هناك آلات النجامية ، ومعرفة التقاويم كما يذكر أن في بلاد الروم أجراساً تصنع لمعرفة الشهور يعرفون بها جملة تشكلات الشهر القمري من أوله إلى آخره ، فيعتبر بهذه الآلة أولا شهر رمضان ، ثم بآلة أخرى ساعات اليوم والليلة ، ويفطر الصائم على وفقها ، ويمكن أن يعرف منازل القمر من ابتداء ذلك الشهر ويجعل كل منزل منها قسمين ، فيعتبر نصفاً منه اليوم ونصفاً الليل وأسهل الطرق أن القمر منطقته المائلة تميل خمس درجات من منطقة البروج ، فإذا كان القمر في المنازل الشمالية كان مداره دائم الظهور على سكان تلك الأرض ، فينصف كل مدار ويصوم ويفطر . وإذا سار القمر في البروج الجنوبية يعمل على ذلك الحساب الكائن في المنازل الشمالية ، وهذا الحكم دل عليه قوله تعالى : ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ (١) ، ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة ، وهذه المنازل مقسومة على البروج وهي إثنا عشر برجاً ولكل برج منزلتان وثلث ، فينزل القمر كل ليلة منها منزلاً ويكون انقضاء الشهر مع نزوله تلك المنازل والمعنى لتعلموا عدد الشهور والأيام والساعات وما يتفرع عليها مثل الصلاة والصوم وحلول الديون ووجوب المشاهرة وغير ذلك وقوله تعالى : ﴿ الشمس والقمر بحسبان ﴾ (٢) . أي يجريان بحساب

---

(١) سورة الاسراء ، الآية : ١٢ .

(٢) سورة الرحمن ، الآية : ٥ .

البروج والمنازل لا يعدوانها يعني بهما تحسب الأوقات والآجال ، فإن قيل أن أوقات الصلوات موقوفة على ساعات الليل والنهار ، طويلة كانت أو قصيرة ، فيجب أن يصلى ثلاث صلوات في ستة أشهر ، وصلاتين في الستة الأخرى ، وكذلك الصوم في الشرع إنما يجب بطلوع القمر في أول الشهر . وعلى هذا إذا طلع القمر على سكان تحت القطب بحركته الخاصة يصوم من هناك بطلوعه ، وإذا سار نحو الجنوب يفطر من بها بسيره.

قلت ؛ هذه الصورة تخالف مقصود الشرع ومقصود الآيات الكريمة بوجوه أحدها ، إن انقسام أوقات الصلاة على ساعات اليوم والليلة إنما يتعلق بحركة آولية هي أسرع الحركات بحركة الشمس الخاصة بها في فلكها ، قال الله تعالى : ﴿ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ﴾ (١) . أي يخلف أحدهما صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر فهما يتعاقبان في الضياء والظلام والزيادة والنقصان ، فمن فاته عمله في أحدهما قضاه في الآخر .

والمعنى يذكر باللسان أو القلب أو يشكر نعمة ربه عليه بالجسد والجوارح فعلم من هذه الآية أن اليوم والليل المتعلقين بالحركة الأولية هما المتعينان للذكر والشكر . والصوم داخل في الشكر لأن الصائم يصون بدنه بترك الغذاء لله تعالى ؛ وثانيها أن الصلاة إنما فرضت لأجل أن يتوجه العبد إلى خالقه ساعة فساعة ، بفاصلة يسيرة ومسافة قليلة ويعبده هكذا حتى يستولي لون التوجه والعبادة على روحه ونفسه ، ويذهب عنه صبغ الغفلة والسكرة ، فإن تقع هذه القضية في عام خمس مرات لا تؤثر في الروح والجسد أصلا بل تنس .

وكذلك الصوم إن امتد إفطاره إلى ستة أشهر في حق سكان تلك الأرض لكان لهم تكليف بما لا يطاق ، فإن الامتناع من الأكل والشرب إلى هذه الغاية الطويلة مهلك في مجاري العادات . وقد نطق الكتاب العزيز بنفي هذا التكليف . قال تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ (٢)

---

(١) سورة الفرقان ، الآية : ٦٢ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٦ .

وأيضاً قال تعالى عند ذكر فرضية الصوم : ﴿ كتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معدودات ﴾ [1] . والظاهر أن عدد الأيام في شهر واحد يكون في أقل من شهر عرفاً ، فيعدون مثلاً أيام الشهر ويقولون يوم أو يومان أو ثلاثة أيام أو أربعة أيام ، وإذا تجاوزوا الشهر قالوا شهر أو شهران أو ثلاثة أشهر أو شهران ونصف ، فعلم أن الصيام لا يزيد على شهر فضلاً عن أن يزيد إلى ستة أشهر .

وقال بعض المتفقهين مورداً للشبهة في هذا المقام أن في كتب الأصول أن الصلاة والصوم إنما سبب وجوبهما الوقت ، وليس في أرض التسعين وقت لهما ، يعني لا طلوع ولا زوال ولا غروب في كل يوم حتى تجب الصلاة والصوم ، والمسبب لا يتحقق إلا بوجود السبب ، والجواب عنه أن المراد يكون الوقت سبباً للوجود هو العلامة وإلا فأصل السبب في الوجوب ، إنما هو حكم الله سبحانه حكم به لحكمة مقصودة . فالسبب في وجوب الصلاة حقيقة التنبه بذكر الخالق وفكره ودفع الغفلة عن تذكره ، وفي الصوم كسر النفس وهضمها بترك المألوفات إلى مدة طويلة . وهذه الأسباب تلازم وجود نوع الانسان أينما كان وكيفما كان ، وعلى أن الشرع الشريف فيه يسر يمكن استخراج حكم الصلاة والصوم بطريق آخر ، وهو إذا كان اليوم ستة أشهر والليل ستة أشهر ، يستحيل عادة أن يبقى يقظاناً ويشتغل بالحوائج تلك المدة على الاتصال في النهار أو ينام بلا حس وحركة إلى تلك المدة الطويلة بحكم الجبلة البشرية ، بل لا بد أن يفرق بين هذه المدة ويجعل وقتاً للاستراحة والنوم ، ووقتاً آخر للكسب والمعاش ، فهذا الوقت يكون في حقه يوماً ويصلي فيه صلوات النهار والوقت الأول يكون ليلاً ، ويصلي فيه صلاة الليل في أول الوقت وأوسطه وكذلك يعمل في الصوم وفي افطاره ، وهذا طريق سهل يوافق قواعد الفقه لأن العرف والعادة له اعتبار في بعض الاحكام عند الضرورة ، والقرآن الكريم يشير إلى أصل هذا المطلب . قال الله تعالى : ﴿ فالق

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٨٣ .

الأصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ﴾ [1] . أي بحساب معلوم للشهور والأعوام لا يجاوزانه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلهما. وقال تعالى : ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ﴾[2] . يعني جعل الليل للسكون والاستراحة واليوم لكسب المعاش ، وهذه العبارة فيها لف ونشر مرتب وعلم منها أن الليل وقت للاستراحة حقيقة كيفما كان وكذلك اليوم وقت لابتغاء الفضل ، وهو المعاش كيفما يكون ولا يقف ذلك على طلوع الشمس والقمر وغروبهما ، انتهى كلامه .

ذكر حكم الصلاة والصوم بأرض البلغار

بلغار بضم الباء الموحدة ، فسكون اللام والألف بين الغين المعجمة والراء وضبطه في القاموس بلا ألف ، وقال العامة : تقول بلغار وهي مدينة الصقالبة ضاربة في الشمال شديدة البرد ، انتهى .

يطلع الفجر فيها قبل غروب الشفق ويفقد وقت العشاء والوتر ، وكذلك وقت الفجر أيضاً في أربعينية الصيف ففاقدهما مكلف بهما يجب عليه صلاة العشاء والوتر ، ويقدر الوقت كما في أيام الدجال ، والمراد بالتقدير ما قاله الشافعية من أنه يكون وقت العشاء في حقه بقدر ما يغيب فيه الشفق في أقرب البلاد اليه ، والأول أظهر والوجوب عليه قضاء لا أداء وبه أفتى البرهان الكبير واختاره الكمال ؛ وقد يقال لا مانع من كونها لا أداء ولا قضاء . وقيل أن الصلاة الواقع بعضها في الوقت وبعضها خارجه يسمى ما وقع منها في الوقت أداء ، وما وقع خارجه قضاء ، اعتباراً لكل جزء بزمانه ، وقيل لا يكلف بهما لعدم السبب وبه جزم في الكنز والدرر والملتقى وبه أفتى البقالي ووافقه الحلواني والمرغيناني ورجحه الشرنبلالي والحلبي ، وأوسعا المقال ومنعا ما ذكره الكمال ، وقد كر على الحلبي الفاضل المحشي بالنقض ، وانتصر للمحقق بما يطول . قال في « الدر المختار » : ولا يساعده أي الكمال حديث الدجال لأنه

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٩٦ .
(٢) سورة القصص ، الآية : ٧٣.

وإن وجب أكثر من ثلاثمائة ظهر مثلاً قبل الزوال ليس كمسألتنا لأن المفقود فيه العلامة لا الزمان ، أما فيها فقد فُقد الأمران ، انتهى .

قال الشامي : والأحسن في الجواب عنه أنه لم يذكر حديث الدجال ليقيس عليه مسألتنا أو يلحقها به دلالة ، وإنما ذكره دليلاً على افتراض الصلوات الخمس وإن لم يوجد السبب افتراضاً عاماً . وما أورد عليه من عدم الافتراض على الحائض والكافر يجاب عنه بما قاله المحشي من ورود النص باخراجهما من العموم . هذا وقد أقر ما ذكره المحقق تلميذاه العلامتان المحققان إبن أمير حاج والشيخ قاسم ، والحاصل أنهما قولان مضجعان ويتأيد القول بالوجوب بأنه قال به إمام مجتهد وهو الشافعي ، كما نقله في الحلية عن المتولي عنه ، انتهى .

والمراد بالأمرين العلامة وهي غيبوبة الشفق قبل الفجر ، والزمان المعلم وهو ما تقع فيه الصلاة فيه أداء ضرورة أن الزمان الموجود قبل الفجر هو زمان المغرب وبعده هو زمان الصبح ، فلم يوجد الزمان الخاص وليس المراد فقد أصل الزمان كما لا يخفى . نعم إذا قلنا بالتقدير هنا يكون الزمان موجوداً تقديراً كما في أيام الدجال ، فلا يرد على المحقق الكمال ذكره الشامي .

أقول ؛ وصل الينا في هذا الزمان أعني سنة ألف ومائتين وإحدى وتسعين مؤلف للشيخ الأجل والحبر الأكمل هارون بن بهاء الدين المرجاني شهاب الدين البلغاري ، سلمهما الله تعالى ، على يد الحاج الحبيب الشيخ محمد احسن الطبيب الحاجي بوري ألفه في مسألتنا هذه ، وأطال فيها غاية الاطالة ، ولم يدع لقائل عدم الوجوب حجة ولا مقالة ، وسماه بناظورة الحق في فرضية العشاء ، وإن لم يغب الشفق فلنلخص هنا كلامه ولنحرر مرامه بما يتضح به الصواب ، ويجيء الحق ويزهق الباطل ، ويتحلى به كل جيد عاطل .

فأقول : قال سلمه الله تعالى وعافاه وعلى معارج العلى رقاه ، قد ثبت فرضية كل واحدة من الصلوات الخمس بالكتاب والسنّة وإجماع

الأمة على كل واحد من المكلفين من غير اختصاص بأهل قطر دون قطر ، وحصرها على عصر دون عصر ، وكل واحدة منها على قدم سواء في عموم الفرضية وشمول الوجوب ، ودخولها تحت كليات الدلائل القطعية وعمومات البراهين اليقينية ، فهذا مما لا مساغ للارتياب فيه لأحد فانها أظهر من الشمس وأبين من الامس ، لا تمس الحاجة إلى تفصيل الأمر فيه وبسط الكلام في مبانيه . ففرضيتها موزعة على أوقاتها المعروفة في الدين ضرورة غدوة وظهيرة وعشية ومساء وزلفة ، وإنما شذ شرذمة قليلة من أحداث الأمة واخلاف المتفقهة ، وزعموا أن العشاء ساقطة عن سكان بعض الأقطار في عدة أيام من السنة ، ينتهي قصر لياليها إلى غاية لا يغيب الشفق فيها توهماً منهم أن وجود الوقت الذي هو سبب لوجوب الصلاة وطريق لها وشرط لتحققها يتوقف على غيبوبة الشفق ، وهو زعم ساقط وتوهم لا مساغ له قط وذلك لأن أدنى مراتب السبب أن يكون ملائماً للمسبب ، وهو منتف بين الصلاة والوقت قطعاً . ولأن السبب لا يجوز أن يكون كل الوقت لوجوب الصلاة لمن صار أهلاً لها في آخر الوقت ولا البعض منه لصحة الأداء ممن أقامها في غير ذلك الجزء المعين ، ولا الغير المعين مطلقاً لعدم وجوب أدائها ولا قضائها ولا الفدية عنها على من اعترضه عدم الاهلية في آخر الوقت من موت أو جنون مطبق أو حيض أو نفاس ، ولا الجزء المقارن للاداء لوجوب قضائها على المساهل الذي لم يشرع فيها بل تعطل في الوقت كله مع أن الجزء المقارن ليس له تقدم على الصلاة أصلاً ، فكيف يكون سبباً موجباً لها ، ومؤدياً اليها ، وبالجملة جعل الوقت سبباً للعبادة بما هو وقت غير معقول ، ومـا ذكروه في الاستدلال عليه فضول لا يرتضيه الفحـول ، وقوله سبحانه : ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس ﴾ (١) . إنما يدل على السببية إن لو كان اللام للتعليل وهو في حيز المنع فانها ترد على معان فقد جعلها في القاموس هنا بمعنى بعد ، وجعلها للتوقيت ، وجعلها المجد أيضاً بمعنى عندما .

قال ابن الهمام : وهو استعمال محقق في اللغة وعلى ذلك قوله تعالى :

---

(١) سورة الاسراء ، الآية : ٧٨ .

﴿ فطلقوهن لعدتهن ﴾ [1] . وهو المفهوم من قوله ﷺ في حديث جابر « هذا حين دلكت الشمس » ثم لا شك أن الوقت متحقق في حق من هو ليس بأهل للصلاة لاشتماله على أحواله ، مع عدم الوجوب عليه فينقدح من ذلك أن السبب أمر وراء الوقت ، وقد ذهب الفقهاء المتقدمون والعلماء المحققون إلى أن سبب وجوب العبادات توالي نعم الله تعالى ، وتواتر انعامه واحسانه الينا في كل وقت ومن كل وجه وعلى كل حال كما دلت عليه الآيات الكريمات والأحاديث الصحيحات ، ثم النعم لما كانت غير داخلة تحت الضبط والاحصاء، وكان الوقت ظرفاً لحدوثها أديرت الصلوات معه ، ووزعت على أوقاتها تيسيراً للعباد واقامة للظرف مقام المظروف .

ثم إن الوقت مقدار محدود من زمان غير محدود ، وهو أمر بديهي الآنية ، وإن كان خفي اللمية لأن الزمان مقدار متجدد غير قار ، فلتجعله ما شئت وسمّه به وإنما جعل الطلوع والزوال والغروب والغيبوبة وأمثالها علامات لوجود الصلوات ومعرفات لها ليتمكن بها العامة والخاصة ، بحضور الأوقات المعينة للصلوات ، ولو سلم أن الوقت سبب الوجوب مع عدم مساغه فإنما ينتفي وجوب الصلاة بانتفائه علاماته المفارقة من غيبوبة الشفق وغيرها .

والذي ثبت من الأوقات لا نسلم انتفاءه بانتفاء تلك العلامات ثم حديث امامة جبريل وغيره مما ذكر فيه غيبوبة الشفق في بيان وقت صلاة العشاء والمغرب لا تدل أصلاً على اشتراط غيبوبته لخروج وقت المغرب ودخول وقت العشاء ، لأن قوله حين غاب الشفق وإن احتمل بالنظر إلى نفس اللفظ أمرين أحدهما ؛ تقدير المدة المعينة وقتاً لصلاة المغرب بالمدة الفاصلة بين غروب الشمس وغيبوبة الشفق في البلاد التي كانوا فيها من غير أن يكون تحقق العلامة شرطاً لخروج وقت المغرب ودخول وقت العشاء ، بل يكون الشرط تحقق المدة الفاصلة فقط سواء تحقق العلامة أو لا .

(١) سورة الطلاق ، الآية : ١ .

وثانيهما ؛ اعتبار غيبة الشفق شرطاً لخروج الوقت ودخوله ، لكن بالنظر إلى تمام الحديث في هذه الرواية وإلى الأدلة الخاصة يضمحل هذا الاحتمال المرجوح بالكلية ، ويتعين الشق الأول مراداً منه .

أما أولاً : فلأن في نظائره لم تعتبر العلامات المذكورة شرطاً لدخول وقت وخروج وقت مثلا صيرورة ، ظل كل شيء مثله أو مثليه ليست بشرط لخروج وقت الظهر ، ودخول وقت العصر ، لعدم تحقق ذلك في غيم الهواء ويوم السحاب افترى أنه يسقط عن سكانها صلاة الظهر أو لا يكلف أهلها بها وكذلك افطار الصائم وحرمة الطعام والشراب عليه شرط لدخول وقت المغرب ووقت الفجر قطعاً ضرورة انتفاء الصائم في بعض أيام السنة ، وكذلك الحال في الروايات الفقهية من نحو قولهم : وقت المغرب من غروب الشمس إلى غيبة الشفق ، ووقت العشاء منه إلى طلوع الفجر ، معناه أن امتداد الوقت مقدر بذلك القدر ، وإن لم يتحقق العلامة كيف لا فإن غيبة الشفق كما أخذت في دخول وقت العشاء اعتبرت في خروج وقت المغرب ، فلو كان شرطاً لما تحقق خروج وقت المغرب أصلاً فيمن لا يغيب عنهم الشفق ولا يوجد حين يحرم فيه الطعام والشراب على الصائم عند أولئك ، ومقتضاه سقوط الفجر عنهم وعدم وجوب صوم الشهر عليهم وهو باطل بالنص والاجماع .

وأما ثانياً : فلأن حديث امامة جبريل عليه السلام وحديث عائشة وعمر وأبي موسى وبريدة وأبي سعيد ، وفي رواية عن أبي هريرة وأبي برزة وعبد الله بن عمرو بن العاص ، قد اعتبر في بيان آخر وقت العشاء ثلث الليل ، وفي رواية عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص وأنس وعائشة وعمر وأبي سعيد نصف الليل ، ثم ما تضمن حديث بريدة من قوله ﷺ : « وقت صلاتكم بين ما رأيتم » .

وحديث الامامة والوقت ما بين هذين الوقتين تشريع عام لعموم خطابه عليه السلام ، ومفاده أن يكون آخر وقت العشاء لجميع الأمة ثلث الليل أو نصفه والثلث والنصف متحقق في جميع الليالي في كل قطر

يوجد فيه غروب الشمس وطلوعها ، فيوجد آخر وقت العشاء عند أهل ذلك القطر وإن لم يتحقق الغيبوبة ومن ضرورته تحقق أوله لا محالة .

فلو حمل قوله ﷺ حين غاب الشفق على اشتراط تحقق الغيبوبة يلزم أن يتناقض مفاد أول الحديث ومفاد آخره ، وهو محال في كلام الشارع المعصوم عن الخطأ والكذب ، ولئن حمل على الاشتراط فيكون مخصصاً لعمومه بالنسبة إلى الأقطار التي لا يغيب فيها الشفق . وملخص كلام الطحاوي في هذه الأحاديث أنه يظهر من مجموعها أن آخر وقت العشاء حين يطلع الفجر إذ قد ورد في رواية لعائشة أنه ﷺ اعتم بها حتى ذهب عامة الليل ، وفي رواية لابن عمر إلى آخر الليل .

وعن أبي موسى الأشعري أنه كتب اليه عمر صلِّ العشاء أي الليل شئت ولا تغفلها . وفي رواية عنه أنه ﷺ أخرها حتى انهـار الليل وغير ذلك وكلها في « الصحيح » ، قال ؛ فثبت أن الليل كله وقت لها ولكنها على أوقات ثلاثة إلى الثلث أفضل وإلى النصف دونه وما بعده دونه .

وأما ثالثاً : فلأنه على ذلك التقدير يكون مناقضاً لحديث جابر بن عبد الله أنه ﷺ صلى العشاء قبل غيبوبة الشفق ، وحديث أبي هريرة صلاها حين ذهبت ساعة من الليل ، ولما مر عن عمر : صلِّ أي الليل شئت . أخرجه الطحاوي بطرق رجاله ثقات ، ولحديث نعمان بن بشير كان النبي ﷺ يصليها لسقوط القمر لثالثة ، ولا ريب أن غروب القمر في الليلة الثالثة من رؤيته ليس بشرط لدخول وقت العشاء في جميع أيام الدهر ، فإن المقصود من النقل بلفظ ظاهره المواظبة بيان المشروع العام لجميع الأمة .

ولو فرض على منوال فرض المحال أن الحديث بالنسبة إلى الأمرين على قدم سواء في الاحتمال ، فما أخرجه مسلم في صحيحه من رواية نواس بن سمعان من حديث الدجال وفيه قلنا ؛ يارسول الله ، فذلك

اليوم الذي كسنة تكفينا فيه صلاة يوم قال : « لا أقدروا له » يلتحق بياناً لهذا المحتمل وكذلك عدة أحاديث غيره في هذا المعنى فلو شرط غيبة الشفق لدخول وقت العشاء لزم نسخ عمومات الكتاب ومحكمات الأدلة الواردة في إيجاب الصلوات الخمس على كل مؤمن ومؤمنة بالنسبة إلى سكان الأقطار التي لا يغيب فيها الشفق ، ولذلك اختلف في مفاده فقهاء الأمة وعلماء الملة ، فإن أصحابنا وسفيان الثوري وأحمد ومالكاً في رواية والشافعي في قوله القديم ذهبوا إلى أن وقت المغرب يمتد إلى غروب الشفق مع اختلافهم في الشفق ، وذهب الأوزاعي وابن المبارك والشافعي في قوله الجديد ، ومالك في رواية إلى أنه قدر ما يصلي خمس ركعات متوسطات بوضوء وأذان وإقامة فحسب ، ويدخل وقت العشاء بعده والشفق هو البياض عند أبي حنيفة وأحمد بن حنبل والمزني والصفرة فيما اختاره الجويني والحمرة عند آخرين وذهب أبو سعيد الاصطخري من الشافعية إلى أن آخر وقت العشاء إلى نصف الليل ، وقال الحسن بن زياد آخر وقت العصر إلى اصفرار الشمس فقط ، ومن مذهب المخالفين أن وقت الظهر والعصر واحد وكذا وقت المغرب والعشاء ، وجواز الجمع بين الصلاتين في السفر والحضر ولو كان قطعياً لزمه الاجماع ، ولما ساغ هذا الخلاف فيما بين هؤلاء .

هذا ، والمذهب أن العلامات حيث ما تحققت يجب مراعاتها ولا يجوز المساهلة في تحقيقها تحصيلا لليقين وسلوكاً لطريق الاحتياط وعملاً بقوله ﷺ : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » . ومهما لم يكن اعتبارها ولم يتيسر مراعاتها فلا يعبأ بها ، ولا يعتمد عليها في اسقاط ما ثبت من الفرائض بالأدلة القطعية من الكتاب والسنّة والاجماع .

وهل في ذلك من ريبة ، فيقدر وقت المغرب بمدة يغيب فيها الشفق في الأيام الاعتدالية والأقطار الاستوائية ، ثم يدخل وقت العشاء إن أمكن ذلك وإلا فبقدر ما يغيب فيه أسرع من غيبته في هذه الأيام والأقطار ثم الأسرع فالأسرع ، فإن لم يمكن ذلك بأن لا يكون بين غروب الشمس وطلوعها إلا زمان قليل لا يسع فيه التقدير بشيء .

فالواجب إذن إيقاع المغرب والعشاء والفجر بين الغروب والطلوع ، فإن لم يكن بينهما مدة تسع فيها تلك الفرائض فيسقط اعتبار تلك العلامات بالكلية ، ويرجع الأمر إلى التقدير في كل صلاة للضرورة ، ويكون أداء لما ثبت فرضيته بالأدلة المطلقة في الوجوب ، وتلخيص البيان أن كون الأوقات أسباباً لوجوب الصلاة ووجودها مشروطاً بتحقق العلامات مما لا مساغ له قط فلا نسلم فقد الأوقات بانتفائها ، ولا سقوط الصلوات بفقدانها ولو قدر التسليم في ذلك لما عرف منها علامة بقاطع من نص الشارع ، وهو الغدوة والظهيرة والعشية والمساء والزلفة.وأما نحو صيرورة الظل وغيبوبة الشفق فلو ثبت شرطاً فإنما يثبت بدليل ظني وبمدخل من الرأي على أنه ربما يسقط بحكم الشرع اعتبار الأركان ، فضلاً عن الشرائط والاسباب كالاقرار في الايمان وطواف الزيارة في الحج والقيام والقراءة والركوع والسجود للعذر وقد تقرر في مقره أن الأسباب والشرائط إنما تعتبر بحسب الامكان ، ولا يسقط الممكن بسقوط ما ليس بممكن ، هذا وإنه لو انتفت تلك العلامات المعرفة للمدة الفاصلة بين أوقات الصلوات أصلاً بأن لا يتحقق غروب الشمس ولا طلوعها مدة مديدة نصف سنة أو أقل أو بأن تطلع الشمس كما تغرب ، فإن مثل هذه المعمورة متحقق لا محالة فإن العمارة موجودة في عرض ست وستين من الشمال ، معروفة من لدن عصر بطليموس بل في خارج دائرة قطب البروج ، فإن عرض ثمان وستين قد بلغ اليه الحكيم المسكوبي وفيه قلعة للروس يقال لها « قوله » لا تغرب فيها الشمس من أول الجوزاء إلى أول الأسد مدة اثنين وستين يوماً ولا تطلع من حادي عشر القوس إلى عشرين من الجدي مدة تسعة وثلاثين يوماً وربما يردها أشخاص من أهل الاسلام من أفراد العسكر في خدمات الدولة ، ويعترض عليهم هذه الحالة ويطول أيامهم على الغاية كما في أيام الدجال ، وتحت القطبة ، وأقصى المنطقة الباردة لا تغرب الشمس أكثر من ستة أشهر فإنه لا تطلع الشمس فيها ولا تغرب إلا بحركتها الخاصة الشرقية . ويمكن أن يكون طول يوم واحد كسنة من حيث الحكمة .

وهل تجب الصلوات الخمس والصوم وسائر العبادات المتعلقة بالأوقات

على سكان هذه الأقطار ؟ لم ير فيه كلام في كتب المتقدمين ، ولم ير د خبر عنهم في تصانيف واحد من الكبار المتبحرين . وقد كانت المسألة معركة فيما بين العلماء المتأخرين من أهل القرن السادس وبعده في وجوب العشاء والوتر وعدمه على من لا يجد وقتهما بأن لا تتحقق المدة الفاصلة التي هي مدة غروب الشفق في الأيام المعتدلة والأقطار المتوسطة. ففي الفتاوى الظهيرية والمضمرات والتتارخانية وغيرها أفتى البرهان الكبير في أهل بلد كما تغرب الشمس يطلع الفجر ان عليهم صلاة العشاء ، والصحيح أنه لا ينوي القضاء لفقد وقت الأداء .

وقال ابن الهمام في « فتح القدير وافق البرهان الكبير » بوجوبهما وفي التبيين شرح «الكنز» للزيلعي عن المرغيناني عن البرهان الكبير نحوه. وقال التمرتاشي الغزي في «تنوير الأبصار» وفاقد وقتهما مكلف بهما. وقال سري الدين المعروف بابن الشحنة في « الذخائر الأشرفية » أن الصحيح خلاف ما اختاره صاحب الكنز في هذه المسألة. وقال في ترجمة «الكنز» ان الفتوى على الوجوب وفي المحيط البرهاني عن الصدر الكبير أنه ليس عليهم صلاة العشاء . هكذا كان يفتي ظهير الدين المرغيناني ونحوه في المضمرات وفي خلاصة الفتاوى ، ولو كانوا في بلدة إذا غربت الشمس طلع الفجر لا يجب عليهم صلاة العشاء . وفي « الكافي » للنسفي : ولا يجب العشاء على قوم لم يجدوا وقته بأن يطلع الفجر كما غربت الشمس لعدم سبب الوجوب ، وهو وقته . وفي « الكنز » ومن لم يجد وقتهما لم يجبا . وذكر الزاهدي في « المجتبى شرح المختصر » عن البدر الطاهر نحو ما في المحيط ونحوه في جواهر الفقه لطاهر بن سلام الخوارزمي ، وقد نسب الفتوى بالوجوب إلى ظهير الدين المرغيناني في غير واحد من الشروح وغيرها .

وبالجملة ؛ فمأخذ القول بالوجوب هو برهان الدين الكبير ومأخذ القول بعدمه هو الصدر الكبير برهان الأئمة ، واختلف عن المرغيناني . وقد شارك في هذا اللقب والنسبة رجلان من بيت واحد ، ولم يبين أحد أن المفتي في هذه الحادثة أيهما . أحدهما ظهير الدين أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن عبد الرزاق المرغيناني مات سنة ست وخمسمائة ، وهو

جد صاحب الخلاصة لأمه وعم والد قاضيخان . وثانيهما ابنه ظهير الدين أبو المحاسن حسن بن علي المرغيناني صاحب كتاب « الأقضية » وغيرها والظاهر أن تلك الفتوى بالوجوب منسوبة اليه ، ثم صحة كلام الزيلعي ترفع الاحتمال وتبين أنه هو المراد من المرغيناني ومن برهان الدين الكبير هو أبو محمد عبد العزيز بن عمر المروزي بعثه سلطان سنجر بن ملك شاه السلجوقي إلى بخارى في مهم وسماه صدراً سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، وهو المعروف بالصدر الماضي والصدر الكبير وبرهان الدين الكبير وبرهان الأئمة ، وهو أبو الصدور ، وهذا اللقب مقارناً لوصفه بالكبير لم يقع إلا عليه .

وأما التعبير بالصدر الكبير وبرهان الأئمة وبرهان الدين فقد وقع عليه وعلى جماعة من أولاده وغيرهم ولعل المفتي بالسقوط كان أحدهم إن صح ذلك ولا يساعد عصر واحد منهم أن يحكي عنه ظهير الدين المرغيناني إلا الصدر الماضي والدهم ، وأخاف أن يكون الزيلعي أخطأ في نقله عن المرغيناني ذلك ، وأرى أنه أخذ من الفتاوى الظهيرية ، وزعم أن صاحبها ظهير الدين المرغيناني . وجرى من جاء بعده ممن نسب اليه القول بالوجوب على اثره ، وليس كما زعم ، بل هو ظهير الدين محمد بن أحمد البخاري مات سنة تسع عشرة وستمائة .

وبالجملة ؛ أن طائفة من احداث الجهال المتعصبين على الحق المنهمكين في التقليد،المتهالكين في إضاعة الصلوات قد حرفوا عبارة الظهيرية والمضمرات وغيرها ، وزادوا فيها كلمة ليس النافية وسلطوها على الوجوب زعماً منهم أنه لو لم تكن موجودة في العبارة لكان آخر الكلام منافياً لأوله ، حيث قال : والصحيح أنه لا ينوي القضاء لفقد وقت الأداء وهو زعم سقيم ووهم عقيم . فإن عبارات تلك الكتب محكمة في عدم هذه الكلمة والنسخ منها مطردة عليه ، وقد عرفت أن الخلاف فيمن لا يجد الوقت أصلاً ، ومن أفتى بالوجوب لم يبال بعدم الوقت ، وذهب إلى وجوبه مع عدمه لأن الوقت غير مقصود بالذات ولا بسبب حقيقة ويسقط اعتباره بأدنى سبب كما في عرفة ومزدلفة وأيام الدجال بالاتفاق .

ويجوز الجمع بين الظهر والعصر في وقت أحدهما ، وكذا المغرب والعشاء عند مالك والشافعي ومن وافقهما . وقد أخرج الشيخان عن ابن عمر أن النبي ﷺ لما رجع من الأحزاب قال : « لا يصلين أحداً العصر إلا في بني قريظة » فأدرك بعضهم العصر في الطريق وقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيها .

وقال بعضهم : لم يرد ذلك منا ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف أحداً منهم .

وقد روي أن بعضهم صلاها بعدما انتصف الليل ، وقد قام الدليل القطعي على وجوب العشاء بعد غروب الشمس فلا يجوز تركها بانتفاء سبب جعلي محتمل للسقوط والتكليف إنما هو بقدر الوسع فيجب أداؤها ، وإن لم يتحقق الوقت أصلاً لثبوت أصل الوجوب في الذمة .

فقولهم الصحيح أنه لا ينوي القضاء متفرع على وجوب الأداء مع عدم تحقق وقت العشاء ولا تنافي بين أطراف الكلام أصلا . ألا ترى المحقق ابن الهمام بعدما بسط الكلام في الوجوب وزيف القول بالسقوط ، قال: الصحيح أنه لا ينوي القضاء واعترض عليه الزيلعي بما هو ظاهر السقوط لا يكاد يصح وتبعه صاحب الدرر والجواهر وأمثالهما ، وإنما الخلاف فيمن لا يجد الوقت أصلاً وإن الحق الابلج فيه هو الوجوب أيضاً ، والفرق بينهما ظاهر وليت شعري ماذا يقول الزيلعي وأتباعه في المغرب ؟ هل يرى سقوطه عن هؤلاء أو يجعله فرض الوقت وإن دخل وقت الفجر ؟ وذكر الزاهدي في المجتبى حكاية في هذه المسألة عن الحلواني والبقالي ، وأن البقالي وافقه فيها .

وقد انتحل هذه الحكاية عن الزاهدي رجال من المتأخرين وشوشوا به عقيدة الحق على أهله وفرحوا باضاعتهم الصلاة مع زعمهم أن البقالي هو أبو الفضل محمد بن أبي القاسم الخوارزمي ، وهو متأخر الزمان توفي سنة ست وثمانين أو سبعين وخمسمائة ، فكيف يمكن معاصرته للحلواني ؟ فإن وفاة الحلواني كانت سنة ثمان أو تسع وأربعين وأربعمائة ، وهذا الوصف قد وقع على عدة أشخاص يعرف كل منهم بالبقالي .

وقد وقع النقل عنه في المحيط البرهاني ،وخلاصة الفتوى وفتاوى قاضي خان وفي القنيـــة وعصر هؤلاء لا ينجعه النقل عن أبي الفضل البقالي لعدم سبق زمانه عليهم ، وأياً ما كان ، فالبقالي من أهل الاعتزال في العقيدة ويلوح من كلام الزاهدي تعصبه لاخوانه من أرباب تلك النحلة .

وقال ابن الشحنة في « شرح المنظومة » أن كلام الزاهدي لا يؤخد به ما لم يعضده نقل عن غيره ، ولهذا اعترض عليه ابن الهمام وقال انتفاء الدليل على الشيء لا يستلزم انتفاءه لجواز دليل آخر . وقد وجد وهو ما تواطأ من أخبار الاسراء من فرض الصلاة خمساً بعدما أمر أولاً بخمسين ثم استقر الأمر على الخمس شرعاً عاماً لأهل الآفاق لا تفصيل فيه بين قطر وقطر .

وما روي من حديث الدجال عند مسلم فقد أوجب أكثر من ثلاثمائة عصر قبل صيرورة الظل مثلاً أو مثلين ، وقس عليه فاستفدنا أن الواجب في نفس الأمر خمس على العموم غير أن توزيعها على تلك الأوقات عند وجودها لا يسقط بعدمها الوجوب وكذا قال ﷺ : « خمس صلوات كتبهن الله على العباد » . ومن أفتى بوجوب العشاء يجب على قوله الوتر أيضاً ، انتهى .

ولعمري أن هذا الكلام قد بلغ من التحقيق والاتقان الغاية ، ومن الطلاوة وحسن البيان النهاية ، ولكن قد كثر مدافعة المتأخرين له ومناقشتهم فيه وذلك لاهمالهم الفقه والأصول واغفالهم معاني المعقول ومدارك المنقول ، وانتصر ابراهيم بن محمد الحلبي في « شرح المنية » للبقالي وقال: الحديث ورد على خلاف القياس . وقال القاضي عياض : إنه حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع ، ولو وكلنا فيه لاجتهادنا لكانت الصلاة فيه عند الأوقات المعروفة ولاكتفينا بالصلوات الخمس ، انتهى .

قال الحسكفي في شرح « تنوير الأبصار » : وقيل لا أي لا يكلف بهما لعدم سببهما وبه جزم في « الكنز » والدرر والملتقى وبه أفتى البقالي ووافقه الحلواني وظهير الدين المرغيناني ورجحه الشرنبلالي والحلبي ،

قلت ؛ كلام المحيط والخلاصة والكافي والكنز وأمثالها محمول على من لم يجد الوقت أصلاً غير أن الزيلعي ومن تابعه لما زعموا أن وقت العشاء لا يوجد إلا بغروب الشفق ، نزلوا هذا القول على من لا يغيب عنه الشفق وبنوا كلامهم عليه ، وتصرفوا في العبارات وكيف ما كان فقد أظهر الدليل فساده ، وأبدت الحجة عليه عواره ، وأثبت ابن الهمام الوجوب على الاطلاق وأقام برهانه وشيد أركانه ، ولم يأت الشرنبلالي في كتابه « شرح الملتقى » ولا في « امداد الفتاح » بشيء سوى ما نقله من كلام الحلبي بعبارته التي بطلانها أظهر من أن يحتاج المصنف إلى التأمل فيه ، فإن المحقق لا يسلم أولاً فقدان الوقت بعدم غيبة الشفق وإنما كلامه في إثبات الوجوب على من لا يجد الوقت أصلا . ثم لا يسلم كون الوقت سبباً لأن السبب هو تتالي نعم الله تعالى على عباده ، ولئن كان سبباً فلا نسلم أن الوقت الذي هو سبب غير موجود لأن مدة اليوم والليلة في قطر تغيب فيه الشمس تكون أربعة وعشرين ساعة سواء تساوى الليل والنهار أو تفاوتا في الطول والقصر ، ولا نسلم أن الوقت من الأسباب والشروط لا تحتمل السقوط لأنه يسقط بأدنى علة مثل عرفة ومزدلفة وأيام الدجال بالاتفاق ، وبعذر المطر والسفر والمرض ، وغير ذلك عند الشافعي . ومن وافقه لكونه وسيلة غير مقصودة والنقض يمثل الحائض ، والكافر ظاهر السقوط ، فإنه حكم استثناه الشرع وورد فيه دليل قطعي من الكتاب والسنّة وإجماع الأمة .

والقول بأن القياس على حديث الدجال غير صحيح ظاهر البطلان ، لأن المحقق في غنى عن وضع السبب به وإنما هو في صدد بيان المعرف الآخر للوجوب العام ، وإن انتفى المعرف المعهود وهو الزوال والغروب وغيرهما . وقد حكى النسفي في « المصفى شرح المنظومة » عن جمال الدين المحبوبي أنه قال : كسالى بخارى لا يمنعون عن الصلاة وقت طلوع الشمس لأن الغالب أنهم إذا منعوا عن ذلك وأمروا بالمكث في المسجد إلى ارتفاع الشمس أو بالرجوع ثم الحضور لم يفعلوا ذلك ولم يقضوها ولو صلوها في هذه الحالة ، فقد أجازه أصحاب الحديث والاداء في وقت يجيزه بعض الأئمة أولى من الترك .

وهكذا نقل عن الحلواني والمرغيناني فانظر كيف جوز هؤلاء صحة الفجر عند الطلوع ، والعشاء قبل الغيبوبة بناء على تجويز بعض الأئمة مع ورود النهي عنه ، ونصوص الأئمة الثلاثة القاضية على عدم الجواز مخافة أن يتركوها بالكلية بمجرد الكسالة فكيف يسوغ أن يفتى بسقوط العشاء عمن لا يغيب عنهم الشفق بجعل إلهي وسبب سماوي مع نهوض براهين الوجوب عليه نهوضاً لا مرد له وليس في العالم قطر تغيب فيه الشمس .

ثم كما تغرب يطلع الفجر من جانب آخر بل تتحول الحمرة من جهة المغرب متدرجة إلى الصفرة ، ثم إلى البياض حسب دوران الشمس تحت الافق إلى أن ينتصف الليل .

ثم ترجع على هذه الدراجة منعكسة قهقرى حتى تطلع الشمس من جهة المشرق وعندي أن نقول الفتوى بالسقوط عن الحلواني والمرغيناني والصدر الكبير وأمثالهم لا تصح أصلا وإن وجد في عدة كتب فانه مع خلوه عن الاسناد لا دليل يبتنى عليه وحسن الظن فيهم لا يرخصنا في نسبة هذه المجازفة اليهم . ومما يشهد بذلك أن اسلام أهل بلغار كان بزمان كثير قبل زمان أولئك الفضلاء الذي يعزى اليهم الافتاء بسقوط العشاء عن سكان هذه الديار في ليال من السنة تنتهي إلى غاية القصر ، فمنهم من قال أنهم أسلموا في صدر ملك بني مروان في كبد القرن الأول من الهجرة ، ومنهم من قال أنهم أسلموا في خلافة المأمون ، ومنهم من قال في خلافة ابن أخيه الواثق بالله ثم ظهر الاسلام فيها باسلام ملك بلغار الماس خان بن سلكي خان في خلافة المقتدر فتسمى بالأمير جعفر .

ولأحمد بن فضلان رسالة كتب فيها ما شاهده في سفره إلى بلغار ومدينة بلغار كانت على خمس وخمسين درجة من العرض الشمالي ، وعرض قزان أكثر منه بخمس وأربعين دقيقة ، وطولها في ست وستين درجة وست وأربعين دقيقة من جزائر الخالدات ، وطول بلغار أكثر منه بشيء نحو ست عشرة دقيقة فكيف يتخيل أنه خفي عليهم شأن الشفق فما تكلموا في مسألة العشاء بها. نعم كان الأمر واضحاً لهم في ذلك حين

كانوا في بلادهم لمكانهم بمحل عظيم من العلوم الشرعية ، ولكنهم لم يروا اسقاط شيء من فرائض الله تعالى ، وما كان لهم أن يشكوا في هذا الحكم لما لاح لهم من عموم الأدلة وظهور البراهين القطعية والروايات المستفيضة ، أم كيف يهمل المتقدمون من أهل بلغار هذه المسألة مع فرط حاجتهم اليها وكثرة ابتلائهم بها ولم يستفتوا فيها ، والاسلام فيهم غض المجنى جلو المغنى ، يحفظون حدوده ويلتزمون عهوده . وقد كان فيهم من علمائهم جماعة قبل عصر البقالي والحلواني وبعده مثل عبد الحي ووالده عبد السلام والقاضي أبو العلاء حامد بن ادريس والقاضي يعقوب ابن نعمان مؤرخ بلغار وغيرهم ، وهب أنه لم يكن فيهم علماء فقهاء يفتون في الوقائع ، فهلا راجعوا إلى علماء سائر الأمصار مع كثرة أسفارهم في الأقطار وشهرتهم بوفور التجارة وحسن التمدن من قديم الاعصار ؟ وما ظهر ذلك إلا لأحمد بن فضلان وغيره من وفود العراق وعلماء دار الخلافة مع طول مقامهم بها وورودهم اليها لتعليم الاسلام وإذاعة الشرائع والأحكام ، بل علموا ذلك ولكن لم يشكوا في الوجوب بل إنما حدثت هذه الشبهة الغثة والريبة الرثة بعد انقراض الفقهاء وذهاب العلماء، ورئاسة الجهال واشراف الاسلام على الزوال وانتكاس حال الأنام ، واختلال مصالح البرية عند اضمحلال الدولة العباسية ، فإنا لله وإنا اليه راجعون . انتهى كلام الناظورة وهو حرف من الكتاب وقطرة من العباب، وكم فيه من أدلة وبراهين على فرضية صلاة العشاء على جميع المكلفين من الأمة على السواء غاب عنهم الشفق أو لم يغب تركناها مخافة الاطالة فمن شاء تفصيل ذلك فليرجع اليه .

وأما مسألة الصوم : فقد قال الشامي في « رد المحتار حاشية در المختار » : لم أر من تعرض عندنا لحكم صومهم فيما إذا كان يطلع الفجر عندهم كما تغيب الشمس أو بعده بزمان لا يقدر فيه الصائم على أكل ما يقيم بنية ولا يمكن أن يقال بوجوب موالاة الصوم عليهم لأنه يؤدي إلى الهلاك فإن قلنا بوجوب الصوم يلزم القول بالتقدير ، وهل يقدر ليلهم بأقرب البلاد اليهم . كما قاله الشافعية هنا أيضاً ، أم يقدر لهم بما يسع

الأكل والشرب أم يجب عليهم القضاء فقط دون الاداء كل محتمل ، فليتأمل ولا يمكن القول هنا بعدم الوجوب أصلاً كالعشاء عند القائل به فيها لأن العلة عدم الوجوب فيها عند القائل به عدم السبب ، وفي الصوم قد وجد السبب وهو شهود جزء من الشهر وطلوع فجر كل يوم .
هذا ما ظهر لي والله تعالى أعلم .

ذكر الارض الجديدة

اعلم أنه قد حقق قوم من حكماء النصارى مند مضي أربعمائة سنة من سني الهجرة أرضاً جديدة ، ما خلا أرض الربع المسكون المنقسم على الأقاليم السبعة وسموها برا اعظم وينكي والدنيا الجديدة وأمريكا وقالوا : إحاطة الماء لكرة الأرض ليس على ما رسمه الحكماء السابقون، بل الواقع أنه قد أحاط عنصر الماء كرة الأرض على صورة المنطقة لحصر الانسان . وكما أن الأرض ظهرت وانكشفت في هذه الجهة التي قسموها على الأقاليم السبعة وسموها الربع المسكون وصارت هي مساكن العالم من بني آدم فكذلك انكشفت وظهرت في الجهة المقابلة لتلك الجهة ، وصارت مسكناً لجموع من الناس وهي واقعة على وضع لو لم تكن الأرض في البين لالتصقت أقدام أشخاص كلتا الجهتين بالأخرى ، وتبقى الرؤوس في جهة السماء فكان الأرض بتمامها خمس حصص ، والربع المسكون منها المسمى بالأقاليم السبعة ثلاث حصص ، والأرض الجديدة حصتان أو أزيد ، ثم تحتوي تلك الدنيا الجديدة على البلاد الحارة والباردة ، ويحصل منها صنوف الخشب والعشب والأدوية والأغذية ، وهي كثيرة المعادن من الذهب والفضة ، وفيها المعابد والكنائس والمكاتب والعمائر العظيمة ، وفيها كل شيء نحو ما في هذه الدنيا كأنها هي الربع المسكون بعينه ، تسكنها أقوام من النصارى وسلطنة هذه الأرض بأيديهم إلى يومنا هذا . ولهم محاربات وقضايا ووقائع مع البريطانية الذين هم حكام الهند اليوم كثيرة يطول شرحها . ويخلق ما لا تعلمون ، ولا يعلم جنود ربك إلا هو .

ذكـر في التاريـخ

لا يخفى أن فن التاريخ من الفنون التي يتداولها الامم والأجيال ، وتشد اليه الركائب والرحال ، وتسمو إلى معرفة السوقة والاغفال ، وتتنافس فيه الملوك والاقيال ، ويتساوى في فهمه العلماء والجهال ، إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول ، تنمي فيها الأقوال ، وتضرب فيها الأمثال ، وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال ، وتؤدي الينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال ، واتسع للدول فيها النطاق والمجال ، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال ، وحان منهم الزوال ، وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق ، وجدير بأن يعد في علومها خليق ، وأن فحول المؤرخين في الاسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها ، وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها ، وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها أو ابتدعوها ، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها ، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها ، وأدوها الينا كما سمعوها ، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها ، ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها ، فالتحقيق قليل ، وطرف التنقيح في الغالب كليل ، والغلط والوهم نسيب للاخبار وخليل ، والتقليد عريق في الآدميين وسليل ، والتطفل على الفنون عريض وطويل ، ومرعى الجهل بين الأنام وخيم ووبيل ، والحق لا يقاوم سلطانه ، والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه ، والناقل إنما هو يملي وينقل ، والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمقل ، والعلم يجلو لها صفحات الصواب ويصقل .

وقد دوّن الناس في الأخبار وأكثروا ، وجمعوا تواريخ الأمم والدول في العالم وسطروا ، والذين ذهبوا بفضل الشهرة والأمانة المعتبرة ، واستفرغوا دواوين من قبلهم في صحفهم المتأخرة ، هم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الأنامل ، ولا حركات العوامل ، مثل ابن اسحاق والطبري وابن الكلبي ومحمد بن عمر الواقدي ، وسيف بن عمر الأسدي ، والمسعودي وغيرهم من المشاهير . المتميزين عن الجماهير ، وإن كان في كتب المسعودي والواقدي من المطعن والمغمز ما هو معروف عند الاثبات ، ومشهور بين الحفظة الثقات ، إلا أن الكافة اختصتهم بقبول أخبارهم ، واقتفاء سننهم في التصنيف واتباع آثارهم ، والناقد البصير قسطاس نفسه في تزييفهم فيما ينقلون أو اعتبارهم ، فللعمران طبائع في أحواله ترجع اليها الأخبار ، وتحمل عليها الروايات والآثار ، ثم أن أكثر التواريخ لهؤلاء عامة المناهج والمسالك ، لعموم الدولتين صدر الاسلام في الآفاق والممالك ، وتناولها البعيد من الغايات في المآخذ والمتارك.

ومن هؤلاء من استوعب ما قبل الملة من الدول والأمم ، والأمر العمم ، كالمسعودي ومن نحا منحاه ، وجاء من بعدهم من عدل عن الاطلاق إلى التقييد ، ووقف في العموم والاحاطة عن الشأو البعيد ، فقيد شوارد عصره ، واستوعب أخبار قطره ، واقتصر على أحاديث دولته ومصره ، كما فعل أبو حيان مؤرخ الأندلس والدولة الأموية بها ، وابن الرفيق مؤرخ أفريقية والدول التي كانت بالقيروان ثم لم يأت من بعد هؤلاء إلا مقلد ، وبليد الطبع والعقل أو متبلد ، ينسج على ذلك المنوال ويحتذى منه بالمثال ، ويذهل عما أحالته الأيام من الأحوال ، واستبدلت به من عوائد الأمم والأجيال ، فيجلبون الأخبار عن الدول ، وحكايات الوقائع في العصور الأول ، صوراً قد تجردت عن موادها ، وصفاحاً انتضيت من أغمادها ، ومعارف تستنكر للجهل بطارفها وتلادها ، إنما هي حوادث لم تعلم أصولها ، وأنواع لم تعتبر أجناسها ولا تحققت فصولها ، يكررون في موضوعاتهم الأخبار المتداولة بأعيانها ، اتباعاً لمن عنى من المتقدمين بشأنها ، ويغفلون أمر الأجيال الناشئة في ديوانها ، بما أعوز عليهم من ترجمانها ، فتستعجم صحفهم عن بيانها ، ثم إذا

تعرضوا لذكر الدولة نسقوا أخبارها نسقاً ، محافظين على نقلهـا وهماً أو صدقاً ، لا يتعرضون لبدايتها ، ولا يذكرون السبب الذي رفع من رايتها ، وأظهر من آيتها ، ولا علة الوقوف عند غايتها ، فيبقى الناظر متطلعاً بعد إلى افتقاد أحوال مباديء الدول ومراتبها ، مفتشاً عن أسباب تزاحمها أو تعاقبها ، باحثاً عن المقنع في تباينها أوتناسبها ، حسب ما ذكر ابن خلدون في مقدمة تاريخه .

ثم جاء آخرون بإفراط الاختصار ، وذهبوا إلى الاكتفاء بأسماء الملوك والاقتصار ، مقطوعة عن الانساب والاخبار ، موضوعة عليها اعداد أيامهم بحروف الغبار ، كما فعله ابن رشيق في ميزان العمل ، ومن اقتفى هذا الأثر من المهمل ، وليس يعتبر لهؤلاء مقال ، ولا يعدلهم ثبوت ولا انتقال ، لما أذهبوا من الفوائد ، وأخلوا بالمذاهب المعروفة للمؤرخين والعوائد.

ومن أحسن ما ألف في فن التاريخ وأجمع ما جمع فيه تحقيقاً واتقاناً في كتب القوم ، بعد سبر غور الأمس واليوم ، كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، لقاضي القضاة ، فإنه أنشأ في التاريخ كتاباً ، ورفع به عن أحوال الناشئة من الأجيال حجاباً ، وفصله في الأخبار والاعتبار باباً باباً ، وأبدى فيه لأولية الدول والعمران عللا وأسباباً ، وبناه على أخبار الأمم الذين عمروا المغرب في تلك الآثار ، وملأوا أكناف النواحي منه والأمصار ، وما كان لهم من الدول الطوال والقصار ، ومن سلف من الملوك والأنصار ، سلك في ترتيبه وتبويبه مسلكاً غريباً ، واخترعه من بين المناحي مذهباً عجيباً ، وشرح فيه من أحوال العمران والتمدن وما يعرض في الاجتماع الانساني من العوارض الذاتية ما يمتعك بعلل الكوائن وأسبابها ، ويعرفك كيف دخل أهل الدول من أبوابها ، حتى تنزع من التقليد يدك وتقف على أحوال من قبلك من الأيام والأجيال وما بعدك ثم من أحسن التواريخ المختصرة كتاب « المختصر في أحوال البشر » لأبي الفدا اسماعيل صاحب « حماة الملك » المؤيد وكتاب « المواعظ والاعتبار في بيان الخطط والآثار » للمقريزي رحمه الله ، وقد طالعناها على هذه المقالة وأضفنا اليها أشياء والله يهدي اليه من يشاء .

ذكر فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والالماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط والاوهام وذكر شيء من أسبابها

إعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية ، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم ، والأنبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياستهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا ، فهو محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت ، يفضيان بصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط . لأن الاخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الانساني ، ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق .

وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل ، غثاً أو سميناً ، لم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار ، فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط ، سيما في احصاء الاعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات ، إذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر ، ولا بد من ردها إلى الأصول وعرضها على القواعد .

جيوش بني إسرائيل :

وهذا كما نقل المسعودي وكثير من المؤرخين في جيوش بني إسرائيل ، وأن موسى أحصاهم في التيه بعد أن أجاز من يطيق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها ، فكانوا ستمائة ألف أو يزيدون ، ويذهل في ذلك عن تقدير مصر والشام واتساعهما لمثل هذا العدد من الجيوش لكل مملكة من الممالك حصة من الحامية ، تتسع لها وتقوم بوظائفها ، وتضيق عما فوقها ، تشهد بذلك العوائد المعروفة والأحوال المألوفة .

ثم إن مثل هذه الجيوش البالغة إلى مثل هذا العدد يبعد ان يقع بينها زحف أو قتال لضيق ساحة الأرض عنها ، وبعدها إذا اصطفت عن مدى البصر مرتين أو ثلاثاً أو أزيد ،فكيف يقتتل هذان الفريقان أو تكون غلبة أحد الصفين وشيء من جوانبه لا يشعر بالجانب الآخر ؟ والحاضر يشهد لذلك فالماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء .

جيوش الفرس :

ولقد كان ملك الفرس ودولتهم أعظم من ملك بني إسرائيل بكثير يشهد لذلك ما كان من غلبة بخت نصر لهم والتهامه بلادهم واستيلائه على أمرهم وتخريب بيت المقدس قاعدة ملتهم وسلطانهم ، وهو من بعض عمال مملكة فارس ، يقال أنه كان مرزبان المغرب من تخومها وكانت ممالكهم بالعراقين وخراسان ، وما وراء النهر والأبواب أوسع من ممالك بني إسرائيل بكثير .

ومع ذلك لم تبلغ جيوش الفرس قط مثل هذا العدد ولا قريباً منه وأعظم ما كانت جموعهم بالقادسية مائة وعشرون ألفاً ، كلهم متبوع على ما نقله سيف ، قال : وكانوا في أتباعهم أكثر من مائتي ألف .

جموع رستم :

وعن عائشة والزهري أن جموع رستم التي زحف بها لسعد بالقادسية إنما كانوا ستين ألفاً كلهم متبوع ، وأيضاً فلو بلغ بنو إسرائيل مثل هذا

العدد لاتسع نطاق ملكهم وانفسح مدى دولتهم ، فإن العمالات والممالك في الدول على نسبة الحامية والقبيل القائمين بها في قلتها وكثرتها والقوم لم تتسع ممالكهم إلى غير الأردن وفلسطين من الشام وبلاد يثرب وخيبر من الحجاز على ما هو المعروف .

وأيضاً فالذي بين موسى وإسرائيل إنما هو أربعة اباء على ما ذكره المحققون فإنه موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وهو إسرائيل الله هكذا نسبه في التوراة .

والمدة بينهما على ما نقله المسعودي حين أتوا إلى يوسف سبعين نفساً وكان مقامهم بمصر إلى أن خرجوا مع موسى إلى التيه مائتين وعشرين سنه تتداولهم ملوك القبط من الفراعنة .

تشعب النسل :

ويبعد أن يتشعب النسل في أربعة أجيال إلى مثل هذا العدد ، وإن زعموا أن عدد تلك الجيوش إنما كان في زمن سليمان ومن بعده فبعيد أيضاً ، إذ ليس بين سليمان وإسرائيل إلا أحد عشر أباً ، ولا يتشعب النسل في أحد عشر من الولد إلى مثل هذا العدد الذي زعموه اللهم إلى المئين والآلاف .

فربما يكون وإما أن يتجاوز إلى ما بعدهما من عقود الاعداد فبعيد ، واعتبر ذلك في الحاضر المشاهد والقريب المعروف تجد زعمهم باطلاً ونقلهم كاذباً ، والذي ثبت في الاسرائيليات أن جنود سليمان كانت اثنى عشر ألف خاصة وأن مقرباته كانت ألفاً وأربعمائة فرس مرتبطة على أبوابه . هذا هو الصحيح من أخبارهم ، ولا يلتفت إلى خرافات العامة منهم .

أيام سليمان :

وفي أيام سليمان وملكه كان عنفوان دولتهم واتساع ملكهم هذا ، وقد نجد الكافة من أهل العصر إذا أفاضوا في الحديث عن عساكر الدول

التي لعهدهم أو قريباً منه وتفاوضوا في الأخبار عن جيوش المسلمين أو النصارى ، أو أخذوا في إحصاء أموال الجبايات وخراج السلطان ونفقات المترفين وبضائع الأغنياء الموسرين وتوغلوا في العدد وتجاوزوا حدود العوائد وطاوعوا وساوس الأغراب .

فإذا استكشفت أصحاب الدواوين عن عساكرهم ، واستنبطت أحوال أهل الثروة في بضائعهم وفوائدهم ، واستجلبت عوائد المترفين في نفقاتهم لم تجد معشار ما يعدونه ، وما ذلك إلا لولوع النفس بالغرائب وسهولة التجاوز على اللسان والغفلة عن المتعقب والمنتقد حتى لا يحاسب نفسه على خطأ ولا عمد ، ولا يطالبها في الخبر بتوسط ولا عدالة ولا يرجعها إلى بحث وتفتيش فيرسل عنانه ويسيم في مراتع الكذب لسانه ، ويتخذ آيات الله هزواً ويشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وحسبك بها صفقة خاسرة .

ملوك اليمن وجزيرة العرب :

ومن الأخبار الواهية للمؤرخين ما ينقلونه كافة في أخبار التبابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب أنهم كانوا يغزون من قراهم باليمن إلى افريقية والبربر من بلاد المغرب ، وأن افريقش بن قيس بن صيفي كان لعهد موسى أو قبله بقليل غزا افريقية وأثخن في البربر ، وأنه سماهم بهذا الاسم حين سمع رطانتهم وقال: ما هذه البربرة، فأخذ هذا الاسم منه ودعوا به من حينئذ ، وأنه لما انصرف إلى المغرب حجز هنالك قبائل من حمير فأقاموا بها واختلطوا بأهلها ومنهم صنهاجة وكتامة .

ومن هذا ذهب الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي والبيلي إلى أن صنهاجة وكتامة من حمير وتأباه نسابة البربر ، وهو الصحيح .

ذا الاذعار :

وذكر المسعودي أيضاً أن ذا الاذعار من ملوكهم قبل افريقش وكان

على عهد سليمان غزا المغرب ودوخه وكذلك ذكر مثله عن ياسر ابنه من بعده ، وأنه بلغ وادي الرمل من بلاد المغرب ولم يجد فيه مسلكاً لكثرة الرمل فرجع وكذلك يقولون في تبع الآخر ، وهو أسعد أبو كرب وكان على عهد بشتاسف من ملوك الفرس الكيانية ، أنه ملك الموصل وأذربيجان ولقي الترك فهزمهم وأثخن ثم غزاهم ثانية وثالثة كذلك وأغزى ثلاثة من بنيه بلاد فارس وإلى بلاد الصغد من أمم الترك ووراء النهر وإلى بلاد الروم،فملك الأول البلاد إلى سمرقند وقطع المفاوز إلى الصين ، ورجع بالغنائم وترك بالصين قبائل من حمير ، فهم بها إلى هذا العهد.

وهذه الأخبار كلها بعيدة عن الصحة عريقة في الوهم والغلط ، وأشبه بأحاديث القصص الموضوعة كما بينها ابن خلدون في تاريخه .

تفسير سورة الفجر :

وأبعد من ذلك وأعرق في الوهم ما يتناقله المفسرون في تفسير سورة الفجر في قوله تعالى ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد ﴾ [١] فيجعلون لفظة ارم أسماء للمدينة وصفت بأنها ذات عماد أي أساطين وينقلون أنه كان لعاد بن عوص بن ارم ابنان هما شديد وشداد ملكا من بعده ، وهلك شديد فخلص الملك لشداد ودانت له ملوكهم ، وسمع وصف الجنة فقال : لأبنين مثلها ، فبنى مدينة ارم في صحارى عدن في مدة ثلاثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة ، وأنها مدينة عظيمة قصورها من الذهب وأساطينها من الزبرجد والياقوت ، وفيها أصناف الشجر والأنهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها بأهل مملكته حتى إذا كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا كلهم . ذكر ذلك الطبري والثعالبي والزمخشري وغيرهم من المفسرين .

وينقلون عن عبدالله بن قلابة من الصحابة أنه خرج في طلب إبل له فوقع عليها وحمل منها ما قدر عليه ، وبلغ خبره إلى معاوية فأحضره وقص عليه ، فبحث عن كعب الاحبار وسأله عن ذلك ، فقال : هي

---

(١) سورة الفجر ، الآية : ٦ .

ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له .

ثم التفت فأبصر ابن قلابة ، فقال : هذا والله ذلك الرجل .

وذكره الشيخ عبد العزيز الدهلوي أيضاً في تفسيره الفارسي ، وهذه المدينة لم يسمع لها خبر من يومئذ في شيء من بقاع الأرض وصحارى عدن التي زعموا أنها بنيت فيها هي في وسط اليمن .

وما زال عمرانه متعاقباً والادلاء تقص طرقه من كل وجه ولم يقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها أحد من الاخباريين . ولا من الأمم ، ولو قالوا أنها درست فيما درس من الآثار لكان أشبه إلا أن ظاهر كلامهم أنها موجودة ، وبعضهم يقول أنها دمشق بناء على أن قوم عاد ملوكها . وقد ينتهي الهذيان ببعضهم إلى أنها غائبة . وإنما يعثر عليها أهل الرياضة والسحر مزاعم كلها أشبه بالخرافات .

والذي حمل المفسرين على ذلك ما اقتضته صناعة الأعراب في لفظة ذات العماد أنهم صفة ارم ، وحملوا العماد على الأساطين فتعين أن يكون بناء ورشح لهم ذلك قراءة ابن الزبير عاد ارم على الإضافة من غير تنوين ، ثم وقفوا على تلك الحكايات التي هي أشبه بالأقاصيص الموضوعة التي هي أقرب إلى الكذب المنقولة في عدد المضحكات ، وإلا فالعماد هي عماد الأخبية بل الخيام وإن أريد بها الأساطين فلا بدع في وصفهم بأنهم أهل بناء وأساطين على العموم بما اشتهر من قوتهم ، لا أنه بناء خاص في مدينة معينة أو غيرها . وإن أضيفت كما في قراءة ابن الزبير فعلى إضافة الفصيلة إلى القبيلة كما تقول قريش كنانة والياس مضر وربيعة نزار ، وأي ضرورة إلى المحمل البعيد الذي تمحلت لتوجيهه لأمثال هذه الحكايات الواهية التي يتنزه كتاب الله تعالى عن مثلها لبعدها عن الصحة .

الرشيد :

ومن الحكايات المدخولة للمؤرخين ما ينقلونه كافة في سبب نكبة

الرشيد للبرامكة من قصة العباسة أخته مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاه وهيهات ذلك من منصب العباسة في دينها وأبويها وجلالها وأنها بنت عبد الله ابن عباس ليس بينها وبينه إلا أربعة رجال هم أشراف الدين وعظماء الملة من بعده . وإنما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجابهم أموال الجباية .

يحيى بن أكثم :

ويناسب هذا أو قريب منه ما ينقلونه كافة عن يحيى بن أكثم ، قاضي المأمون وصاحبه ، وأنه كان يعاقر المأمون الخمر مع أن يحيى كان من علية أهل الحديث . وقد أثنى عليه أحمد واسماعيل القاضي وخرج عنه الترمذي وروى عنه البخاري في غير الجامع ، فالقدح فيه قدح في جميعهم . وذكره ابن حبان في الثقاة وقال لا يشتغل بما يحكى عنه لأن أكثرها لا يصح عنه .

ومن أمثال هذه الحكايات ما نقله ابن عبد ربه صاحب العقد من حديث الزنبيل في سبب إصهار المأمون إلى الحسن بن سهل في بنته بوران .

العبيديين :

ومن الأخبار الواهية ما يذهب اليه الكثير من المؤرخين والأثبات في العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفيهم عن أهل البيت والطعن في نسبهم إلى اسماعيل الامام ابن جعفر الصادق ، يعتمدون في ذلك على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بني العباس تزلفاً اليهم بالقدح فيمن ناصبهم وتفنناً في الشمات بعدوهم ، ويغفلون عن التفطن لشواهد الواقعات وأدلة الأحوال التي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والرد عليهم كما بينها ابن خلدون .

واعتبر حال القرمطي إذ كان دعيا في انتسابه كيف تلاشت دعوته وتفرقت أتباعه ، وظهر سريعاً على خبثهم ومكرهم فساءت عاقبتهم

وذاقوا وبال أمرهم ولو كان أمر العبيديين كذلك لعرف ولو بعد مهلة .

ومهما يكن عند امرئ مـن خليقةٍ وأن خالـها تخفى على الناسِ تعلمُ

فقد اتصلت دولتهم نحواً من مائتين وسبعين سنة ، وملكوا مقام ابراهيم ومصلاه وموطن الرسول ﷺ ومدفنه وموقف الحجيج ومهبط الملائكة ، ثم انقرض أمرهم وشيعتهم في ذلك كله على أتم ما كانوا عليه من الطاعة لهم والحب فيهم ،واعتقادهم بنسب الامام اسماعيل والعجب من القاضي أبي بكر الباقلاني شيخ النظار من المتكلمين يجنح إلى هذه المقالة المرجوحة ، ويرى هذا الرأي الضعيف فإن كان ذلك لما كانوا عليه من الإلحاد في الدين والتعمق في الرافضية ، فليس ذلك بدافع في صدر دعوتهم وليس اثبات منتسبهم بالذي يغني عنهم من الله شيئاً فقد قال تعالى لنوح عليه السلام في شأن ابنه ﴿ أنه ليس من أهلك أنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ﴾ (١) وقال ﷺ لفاطمة يعظها : « يا فاطمة اعملي فلن أغني عنك من الله شيئا » ومتى عرف أمر وقضية أو استيقن أمراً وجب عليه ان يصدع به والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . وقد أطال ابن خلدون في بيان صحة نسبهم إلى أهل البيت فمن شاء فليرجع إلى كلامه .

ويلحق بهذه المقالات الفاسدة ما يتناوله ضعفة الرأي من فقهاء المغرب من القدح في الامام المهدي ، صاحب دولة الموحدين ، ونسبته إلى الشعوذة والتلبيس فيما أتاه من القيام بالتوحيد الحق والنعي على أهل البغي وتكذيبهم لجميع مدعياته في ذلك ، حتى فيما يزعم الموحدون أتباعه من انتسابه في أهل البيت ، وإنما حمل الفقهاء على تكذيبه ما كمن في انفسهم من حسده على شأنه فإنهم لما رأوا من أنفسهم مناهضة في العلم وانقياداً في الدين بزعمهم ، ثم إمتاز عنهم بأنه متبوع الرأي مسموع القول موطأ العقب ، نفسوا ذلك عليه وغضوا منه بالقدح في مذاهبه والتكذيب لمدعياته .

---

(١) سورة هود ، الآية : ٤٦ .

وما ظنك برجل نقم على أهل الدولة ما نقم من أحوالهم وخالف اجتهاده فقهاءهم ، فنادى في قومه ودعا إلى جهادهم بنفسه فاقتلع الدولة من أصولها ، وجعل عاليها سافلها أعظم ما كانت قوة وأشد شوكة وأعز أنصاراً وحامية ، وتساقطت في ذلك من أتباعه نفوس لا يحصيها إلا خالقها ، قد بايعوه على الموت ووقوه بأنفسهم من الهلكة وتقربوا إلى الله بإتلاف مهجهم في إظهار تلك الدعوة والتعصب لتلك الكلمة ، حتى علت على الكلم وأدالت بالعدوتين من الدول ، وهو بحالة من التقشف والحصر والصبر على المكاره والتقلل من الدنيا ، حتى قبضه الله وليس على شيء من الحظ والمتاع في دنياه ، حتى الولد الذي ربما تجنح اليه النفوس وتخادع عن تمنيه ، فليت شعري ما الذي قصد بذلك إن لم يكن وجه الله . وهو لم يحصل له حظ من الدنيا في عاجله . ومع هذا فلو كان قصده غير صالح لما تم أمره وانفسحت دعوته ، « سنة الله قد خلت في عباده » .

وانتصر له ابن خلدون ثم قال : فقد زلت اقدام كثير من الاثبات والمؤرخين الحفاظ في مثل هذه الأحاديث والآراء وعلقت بأفكارهم ونقلها عنهم الكافة من ضعفة النظر والغفلة عن القياس ، وتلقوها هم أيضاً كذلك من غير بحث ولا روية، واندرجت في محفوظاتهم حتى صار فن التاريخ واهياً مختلطاً ، وناظره مرتكباً ،وعد من مناحي العامة فإذا يحتاج صاحب هذا الفن إلى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاع والاعصار في السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال والإحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق أو بين ما بينهما من الخلاف ،وتعليل المتفق منهما والمختلف ، والقيام على أصول الدول والملل ومبادي ظهورها وأسباب حدوثها ودواعي كونها وأحوال القائمين بها وأخبارهم ، حتى يكون مستوعباً لأسباب كل حادث واقفاً على أصول كل خبر ، وحينئذ يعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد والأصول . فإن وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحاً وإلا زيفه واستغنى عنه . وما استكبر القدماء علم التاريخ إلا لذلك حتى انتحله الطبري والبخاري وابن اسحاق من قبلهما وأمثالهم من علماء الأمة .

وقد ذهل الكثير عن هذا السر فيه حتى صار انتحاله مجهلة ، واستخف العوام ، ومن لا رسوخ له في المعارف مطالعته وحمله والخوض فيه والتطفل عليه ، فاختلط المرعى بالهمل واللباب بالقشر والصادق بالكاذب ، وإلى الله عاقبة الأمور .

ومن الغلط الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الاعصار ومرور الأيام ، وهو داء دوي شديد الخفاء إذ لا يقع إلا بعد أحقاب متطاولة ، فلا يكاد يتفطن له إلا الآحاد من أهل الخليقة وذلك أن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر ، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال . وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول .

وقد كانت في العالم أمم الفرس الأولى ، والسريانيون والنبط والتبابعة وبنو إسرائيل والقبط وكانوا على أحوال خاصة بهم في دولهم وممالكهم وسياستهم وصنائعهم ولغاتهم واصطلاحاتهم وسائر مشاركاتهم مع أبناء جنسهم ، وأحوال اعتمارهم للعالم تشهد بها آثارهم .

ثم جاء بعدهم الفرس الثانية والروم والعرب فتبدلت تلك الأحوال وانقلبت بها العوائد إلى ما يجانسها أو يشابهها وإلى ما يباينها أو يباعدها .

دولة مضر :

ثم جاء الاسلام بدولة مضر فانقلبت تلك الأحوال أجمع انقلابة أخرى وصارت إلى ما أكثره متعارف لهذا العهد يأخذه الخلف عن السلف .

ثم درست دولة العرب وأيامهم وذهبت الأسلاف الذين شيدوا عزهم ومهدوا ملكهم ، وصار الأمر في أيدي سواهم من العجم مثل الترك بالمشرق والبربر بالمغرب والفرنجة بالشمال ، فذهبت بذهابهم أمم وانقلبت أحوال وعوائد نسي شأنها وأغفل أمرها .

والسبب الشائع في تبدل الأحوال والعوائد أن عوائد كل جيل تابعة

لعوائد سلطانه كما يقال في الأمثال الحكمية «الناس على دين ملوكهم» وأهل الملك والسلطان إذا استولوا على الدولة والأمر فلا بد وأن يفزعوا إلى عوائد من قبلهم ويأخذوا الكثير منها ولا يغفلوا عوائد جيلهم ، مع ذلك فيقع في عوائد الدولة بعض المخالفة لعوائد الجيل الأول .

فإذا جاءت دولة أخرى من بعدهم ومزجت من عوائدهم وعوائدها خالفت أيضاً بعض الشيء وكانت للأولى أشد مخالفة ثم لا يزال التدريج في المخالفة حتى ينتهي إلى المباينة بالجملة .

فما دامت الأمم والأجيال تتعاقب في الملك والسلطان لا تزال المخالفة في العوائد والأحوال واقعة . والقياس والمحاكاة للانسان طبيعة معروفة ، ومن الغلط غير مأمونة . تخرجه مع الذهول والغفلة عن قصده وتعوج به عن مرامه، فربما يسمع السامع كثيراً من أخبار الماضين ولا يتفطن لما وقع من تغير الأحوال وانقلابها ، فيجريها لأول وهلة على ما عرف ويقيسها بما شهد وقد يكون الفرق بينهما كثيراً فيقع في مهواة من الغلط .

الحجاج :

فمن هذا الباب ما ينقله المؤرخون من أحوال الحجاج وأن أباه كان مع المعلمين، مع أن التعليم لهذا العهد من جملة الصنائع المعاشية البعيدة من اعتزاز أهل العصبية ، والمعلم مستضعف مسكين منقطع الجذم فيتشوف الكثير من المستضعفين أهل الحرف والصنائع المعاشية إلى نيل الرتب التي ليسوا لها بأهل. ويعدونها من الممكنات لهم فتذهب بهم وساوس المطامع وربما انقطع حبلها من أيديهم فسقطوا في مهواة الهلكة والتلف ، ولا يعلمون إستحالتها في حقهم وانهم أهل حرف وصنائع للمعاش. وأن التعليم صدر الاسلام والدولتين لم يكن كذلك ولم يكن العلم بالجملة صناعة إنما كان نقلا لما سمع من الشارع ، وتعليماً لمـــا جهل من الدين على جهة البلاغ . فكان أهل الانساب والعصبية الذين قاموا بالملة هم الذين يعلمون كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ على معنى التبليغ الخبري لا على وجه التعليم الصناعي ، إذ هو كتابهم المنزل على الرسول منهم وبه هدايانهم والاسلام دينهم قاتلوا عليه

وقتلوا واختصوا به من بين الامم وشرفوا ، فيحرصون على تبليغ ذلك وتفهيمه للأمة لا تصدهم عنه لائمة الكبر ولا يزعزعهم عاذل الانفة .

ويشهد لذلك بعث النبي ﷺ كبار أصحابه مع وفود العرب يعلمونهم حدود الاسلام وما جاء به من شرائع الدين بعث في ذلك من أصحابه العشرة فمن بعدهم . فلما استقر الاسلام ووشجت عروق الملة حتى تناولها الامم البعيدة من أيدي أهلها ، واستحالت بمرور الأيام أحوالها وكثر استنباط الاحكام الشرعية من النصوص لتعدد الوقائع وتلاحقها ، فاحتاج ذلك لقانون يحفظه من الخطأ ، وصار العلم ملكة يحتاج إلى التعلم فأصبح من جملة الصنائع والحرف ، واشتغل أهل العصبية بالقيام بالملك والسلطان ، فدفع للعلم من قام به من سواهم وأصبح حرفة للمعاش وشمخت أنوف المترفين وأهل السلطان عن التصدي للتعليم واختص انتحاله بالمستضعفين ، وصار منتحله محتقراً عند أهل العصبية والملك .

والحجاج بن يوسف كان أبوه من سادات ثقيف وأشرافهم ومكانهم من عصبية العرب ، ومناهضة قريش في الشرف ما علمت ولم يكن تعليمه للقرآن على ما هو الامر عليه لهذا العهد من أنه حرفة للمعاش ، وإنما كان على ما وصفناه من الامر الأول في الاسلام .

أحوال القضاة :

ومن هذا الباب أيضاً ما يتوهمه المتصفحون لكتب التاريخ إذا سمعوا أحوال القضاة وما كانوا عليه من الرئاسة في الحروب وقود العساكر ، فتترامى بهم وساوس الهمم إلى مثل تلك الرتب يحسبون أن الشأن في خطة القضاء لهذا العهد على ما كان عليه من قبل ويظنون بابن أبي عامر صاحب هشام المستبد عليه وابن عباد من ملوك الطوائف باشبيلية إذا سمعوا أن أباءهم كانوا قضاة أنهم مثل القضاة لهذا العهد ، ولا يتفطنون لما وقع في رتبة القضاء من مخالفة العوائد .

وابن أبي عامر وابن عباد كانا من قبائل العرب القائمين بالدولة الأموية بالاندلس وأهل عصبيتها ، وكان مكانهم فيها معلوماً ولم يكن نيلهم لما نالوه من الرئاسة والملك بخطة القضاء كما هي لهذا العهد بل إنما كان القضاء في الأمر القديم لأهل العصبية من قبيل الدولة ومواليها .

ومن هذا الباب أيضاً ما يسلكه المؤرخون عند ذكر الدول ونسق ملوكها فيذكرون اسمه ونسبه وأباه وأمه ونساءه ولقبه وخاتمه وقاضيه وحاجبه ووزيره ، كل ذلك تقليد لمؤرخي الدولتين من غير تفطن لمقاصدهم. والمؤرخون لذلك العهد كانوا يضعون تواريخهم لأهل الدولة وأبناؤها متشوفون إلى سير اسلافهم ومعرفة أحوالهم ليقتفوا آثارهم ، وينسجوا على منوالهم ، حتى في اصطناع الرجال من خلف دولتهم وتقليد الخطط والمراتب لأبناء صنائعهم وذويهم،والقضاة أيضاً كانوا من أهل عصبية الدولة ، وفي عداد الوزراء فيحتاجون إلى ذكر ذلك كله . وأما حين تباينت الدول وتباعد ما بين العصور ، ووقف الغرض على معرفة الملوك بأنفسهم خاصة ونسب الدول بعضها من بعض في قوتها وغلبتها ومن كان يناهضها من الأمم أو يقصر عنها ، فما الفائدة للمصنف في هذا العهد في ذكر الابناء والنساء ونقش الخاتم واللقب والقاضي والوزير والحاجب من دولة قديمة لا يعرف فيها أصولهم ولا أنسابهم ولا مقاماتهم ، إنما حملهم على ذلك التقليد والغفلة عن مقاصد المؤلفين الأقدمين والذهول عن تحري الأغراض من التاريخ ، اللهم إلا ذكر الوزراء الذين عظمت آثارهم ، وعفت على الملوك أخبارهم كالحجاج وبني المهلب والبرامكة وبني سهل بن نوبخت وكافور الأخشيدي وابن أبي عامر وأمثالهم ، فغير نكير الالماع بآبائهم والاشارة إلى أحوالهم لانتظامهم في عداد الملوك .

فائدة :

ولنذكر هنا فائدة نختم كلامنا في هذه المقالة بها وهي أن التاريخ إنما هو ذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل ، فأما ذكر الأحوال العامة للآفاق والأجيال والاعصار فهو أس للمؤرخ تبنى عليه أكثر مقاصده ، وتتبين

به أخباره . وقد كان الناس يفردونه بالتأليف كما فعله المسعودي في كتاب « مروج الذهب » شرح فيه أحوال الأمم والآفاق لعهده في عصر الثلاثين والثلاثمائة غرباً وشرقاً ، وذكر نحلهم وعوائدهم ووصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم فصار إماماً للمؤرخين يرجعون اليه ، وأصلاً يعولون في تحقيق الكثير من أخبارهم عليه ، ثم جاء البكري من بعده ففعل مثل ذلك في المسالك والممالك خاصة دون غيرها من الأحوال لأن الأمم والأجيال لعهده لم يقع فيها كثير انتقال ولا عظيم تغير .

قول ابن خلدون :

قال ابن خلدون : وأما لهذا العهد وهو آخر المائة الثامنة . فقد انقلبت أحوال المغرب الذي نحن شاهدوه وتبدلت بالجملة واعتاض من أجيال البربر أهله على القدم بمن طرأ فيه من لدن المائة الخامسة من أجيال العرب بما كسروهم وغلبوهم وانتزعوا منهم عامة الأوطان . وشاركوهم فيما بقي من البلدان لملكهم . هذا إلى ما نزل بالعمران شرقاً وغرباً في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف الامم ، وذهب بأهل الجيل وطوى كثيراً من محاسن العمران ومحاها ، وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها فقلص من ظلالها وفل من حدها . وأوهن من سلطانها وتداعت إلى التلاشي والاضمحلال أحوالها . وانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر ، فخربت الأمصار والمصانع ودرست السبل والمعالم ، وخلت الديار والمنازل ، وضعفت الدول والقبائل . وتبدل الساكن وكأني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب . لكن على نسبته ومقدار عمرانه . وكأنما نادى لسان الكون في العالم بالخمول والانقباض فبادر بالاجابة والله وارث الأرض ومن عليها .

مملكة الهند :

قلت : وهذه الحال هي بعينها حال مملكة الهند في هذا العصر وهو آخر المائة الثالثة عشرة من سني الهجرة منذ ذهبت منها دولة الاسلام ،

واندرست معالم ملوكها وسلاطينها العظام . وصارت تلك الدولة بأيدي البريطانية أعني الانكليز ، وإذا تبدلت الأحوال جملة فكأنما تبدل الخلق من أصله ، وتحول العالم بأسره . وكأنه خلق جديد ونشأة مستأنفة ، وعالم محدث فاحتاج لهذا العهد من يدون أحوال الخليقة والآفاق وأجيالها والعوائد والنحل التي تبدلت لأهلها .

ويقفوا مسلك المسعودي لعصره ليكون أصلا يقتدى به من يأتي من المؤرخين من بعده . وقد ذكر ابن خلدون بعد هذا البيان ما أمكنه منه في القطر المغربي وكذلك غيره ما أمكنهم منه في الأقطار الشرقية والجنوبية ، ولكن المحقق من ذلك في كتب القوم ما خلا ابن خلدون وأبا الفداء نبذة يسيرة ، والأقاصيص المختلفة والأساطير المفتعلة كثيرة جداً ، ومرد العلم كله إلى الله سبحانه وتعالى والبشر عاجز قاصر والاعتراف متعين واجب ، ومن كان الله في عونه تيسرت عليه المذاهب وانجحت له المساعي والمطالب . وههنا تمت كلمة التأليف والالتقاط من كتب الثقاة على الارتجال مع تبلبل البال ، وتحول الحال ، وسميت تلك « لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الانسان » على يد جامعه الفقير الجاني . والعبد الفاني ، سلالة الماء والطين ، وسليل المسنونين أبي الطيب صديق بن حسن ابن علي الحسيني القنوجي البخاري ، ختم الله له بالحسنى ، وجعل له لسان صدق في الآخرين .

وكان تنميقه بيمناه الداثرة ويده القاصرة في شهر ربيع الأول ، لعله الرابع عشر منه سنة تسعين ومائتين وألف من سني الهجرة القدسية على صاحبها ألف ألف صلاة مقبولة ، وتحية مرضية ببلدة دار الامارة العلية بهوبال المحمية ، لا زالت ملحوظة بعين الله وألطافه الخفية ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وسلام على المرسلين أولاً وآخراً .

فهرس كتاب لقطة العجلان

الموضوع	الصفحة
خطبة الكتاب	٣
تاريخ الخليقة	٥
تاريخ الطوفان	٨
تاريخ بخت نصر	٩
تاريخ فيلبش	١٠
تاريخ الاسكندر	١٠
تاريخ اغشطش	١٣
تاريخ الظينس	١٣
ذكر السنة الشمسية والقمرية	١٤
ذكر الأيام	١٦
ذكر أسابيع الأيام	١٨
تاريخ العرب	٢٠
التاريخ من الهجرة النبوية	٢٧
ابتداء تاريخ الهجرة	٢٨
تاريخ الفرس	٣٠
تاريخ الهند	٣٠
تاريخ البرطانية	٣٠

الموضوع | الصفحة

ذكر ابتداء الدول والأمم والكلام على الملاحم والكشف عن
مسمى الجفر ٣٢
ذكر ما قيل في مدة أيام الدنيا ماضيها وباقيها ٤١
قول أصحاب السند هند ٤٧
قول أصحاب الهازروان ٤٨
قول أصحاب الأزجهير ٤٨
قول أبو معشر وابن نوبخت ٤٨
ذكر أمم العالم واختلاف أجيالهم والكلام على الجملة ... ...
في أنسابهم ٦٦
أما سام ٧٢
وأما يافث ٧٥
وأما حام ٧٦
وأما كنعان بن حام ٧٧
ذكر طرف من تاريخ بعض الرسل والأمم الماضية ٧٩
وأما سبب تبلبل الألسن ٨٤
ولادة داود ٨٨
ولادة سليمان ٨٨
تولي بخت نصر على بابل ٨٩
ظهور طبقة الكيانين ٩٠
تعمير بيت المقدس على يد كورش ٩٠
يونس بن متى عليه السلام ٩١
أرميا بن خلقيا عليه السلام ٩١
ولادة اسكندر اليوناني ٩٢

الموضوع	الصفحة
زكريا من ولد سليمان بن داود عليهما السلام	٩٢
ذكر خراب بيت المقدس	٩٤
الفرس وهم أربع طبقات	٩٥
الأولى والثانية والثالثة والرابعة	٩٦
انتباه أصحاب الكهف من نومهم	١٠٠
ذكر فراعنة مصر	١٠٤
ذكر الأمم	١٠٦
أمة السريان	١٠٧
أمة القبط	١٠٧
أمة الفرس	١٠٨
أمة اليونان	١٠٨
أمة اليهود	١١١
أمة النصارى	١١٢
أمة الهند	١١٣
أمة السند	١١٣
أمم السودان	١١٤
أمم الصين	١١٤
بني كنعان	١١٥
أمة البربر	١١٥
أمة عاد	١١٥
أمة العمالقة	١١٦
أمم العرب	١١٦
العرب العاربة	١١٧

الموضوع	الصفحة
العرب المستعربة	١١٩
مولد رسول الله ﷺ	١٢٤
ذكر تجديد قريش عمارة الكعبة وما كان من اجتماع العرب على الاسلام بعد الابابية والحرب	١٣٢
ذكر مبعث رسول الله ﷺ	١٣٤
ذكر تاريخ الهجرة النبوية	١٣٤
التواريخ القديمة	١٣٥
ذكر اختلاف التواريخ القديمة	١٣٧
ذكر نسخ التوراة التي عليها مدار التواريخ القديمة	١٣٨
ذكر وفاة رسول الله ﷺ	١٤٢
ذكر طرف من هيئة الأفلاك	١٤٥
زحل والمشتري والشمس والزهرة وعطارد والقمر	١٤٦
ذكر محاسن الفصول الأربعة للسنة على لسان الأدب	١٥٣
ذكر علم الهيئة	١٥٦
ذكر صورة الأرض وموضع الأقاليم منها	١٥٩
فالاقليم الأول	١٦٦
والاقليم الثاني	١٧٠
والاقليم الثالث	١٧١
والاقليم الرابع	١٧٢
والاقليم الخامس	١٧٢
والاقليم السادس	١٧٣
والاقليم السابع	١٧٣

الموضوع	الصفحة
ذكر المعتدل من الأقاليم والمنحرف	١٧٥
ذكر المساجد العظيمة في العالم	١٨٠
البيت الحرام	١٨٠
وبيت المقدس	١٨٥
وأما المدينـــة	١٨٨
ذكر حكم الصلاة والصوم في أرض التسعين	١٩٣
ذكر حكم الصلاة والصوم بأرض البلغار	١٩٧
وأما مسألة الصوم	٢١١
ذكر الأرض الجديدة	٢١٣
ذكر فن التاريخ	٢١٤
ذكر فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والالماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط والأوهام وذكر شيء من أسبابها	٢١٧
جيوش بني إسرائيل	٢١٨
جيوش الفرس	٢١٨
جموع رستم	٢١٨
تشعب النسل	٢١٩
أيام سليمـــان	٢١٩
ملوك اليمن وجزيرة العرب	٢٢٠
ذا الاذعار	٢٢٠
تفسير سورة الفجر	٢٢١
الرشيـــد	٢٢٢
يحيى بن أكثم	٢٢٣
العبيديـــين	٢٢٣

الموضوع	الصفحة
دولـة مصر	٢٢٦
الحجـاج	٢٢٧
أحوال القضـاة	٢٢٨
فائـدة	٢٢٩
قول ابن خلدون	٢٣٠
مملكة الهنـد	٢٣٠
فهرس الكتاب	٢٣٣

طبع على مطابع دار الكتب العلمية